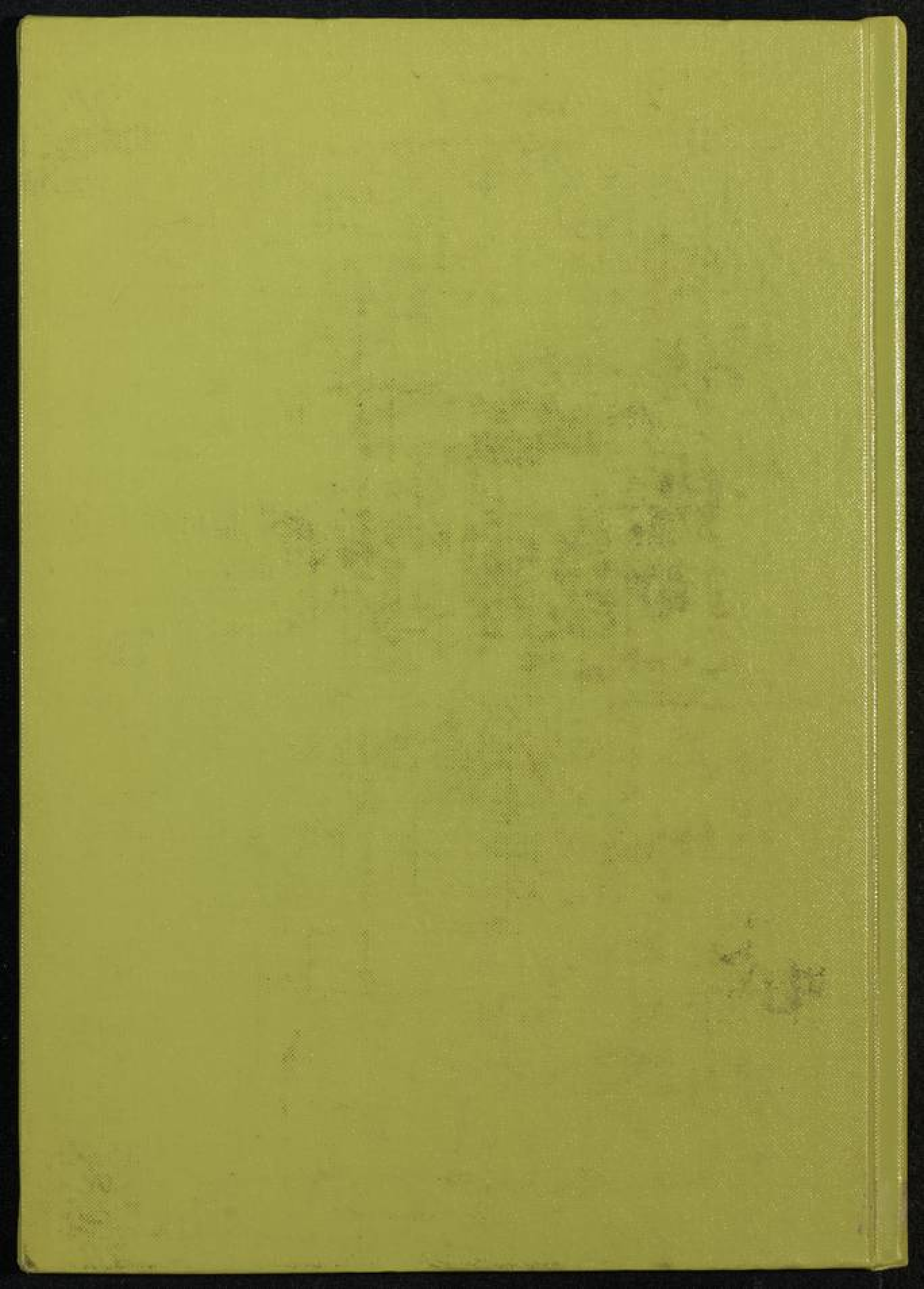
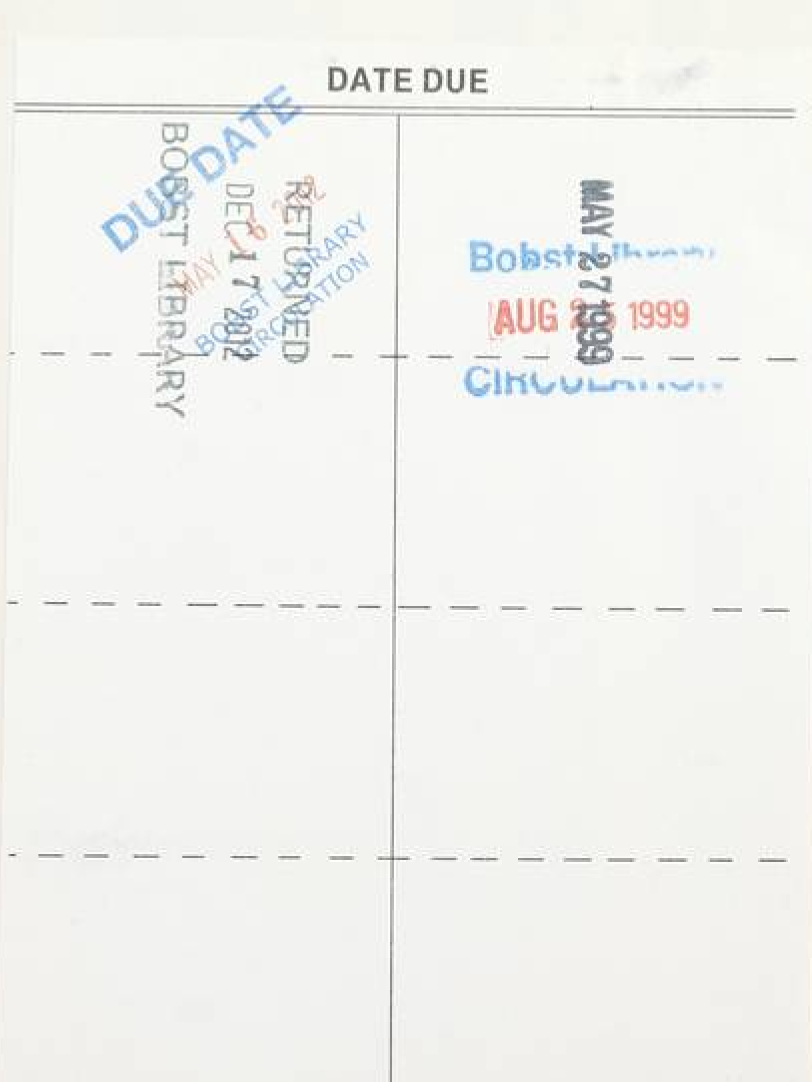
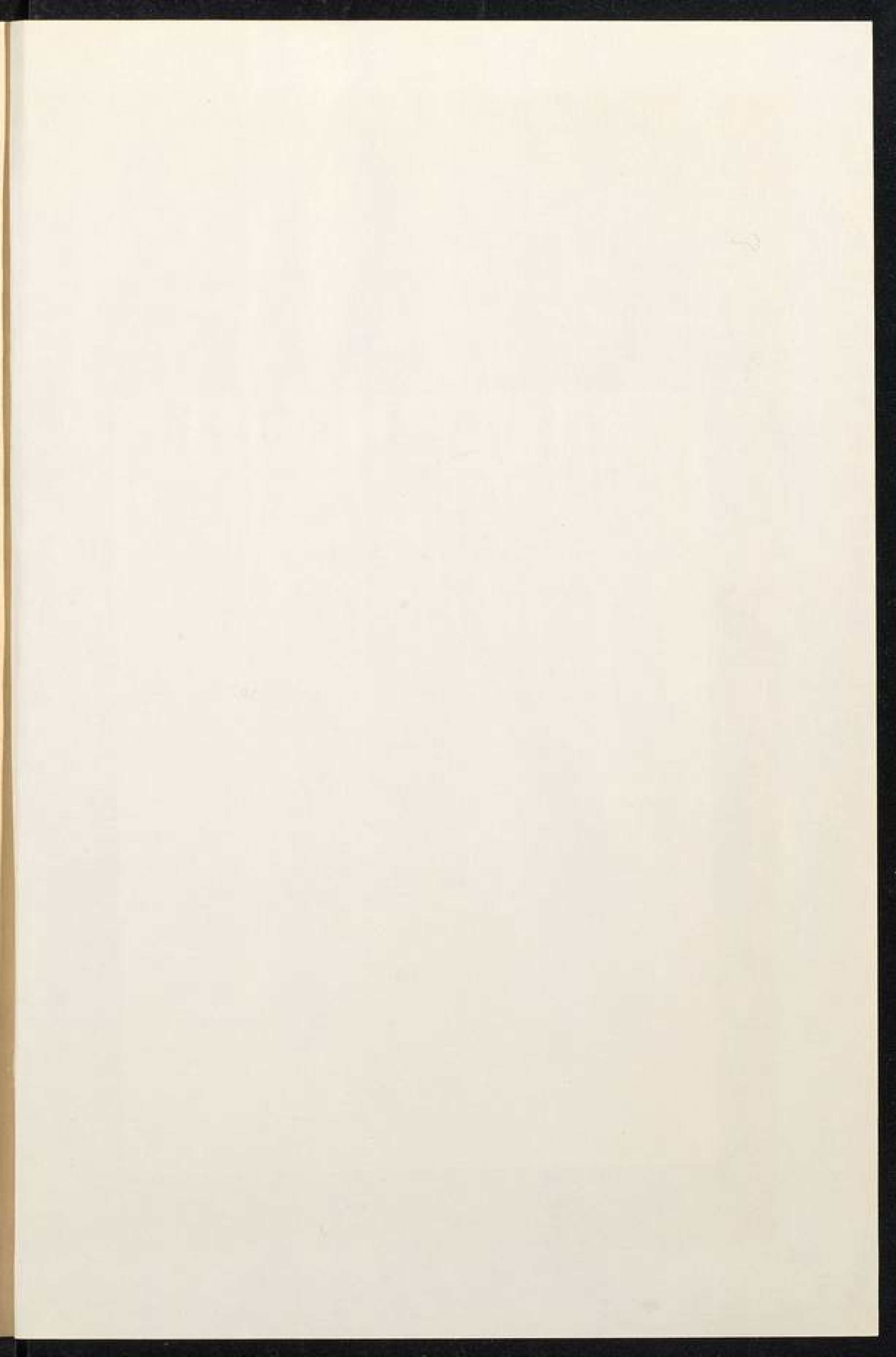



DATE DUE
DUE DATE
RETURNED
DEC 1 7 2012
BOBST LIBRARY
BOBST LIBRARY CIRCULATION
MAY 27 1999
AUG 2 1999



تراثنا

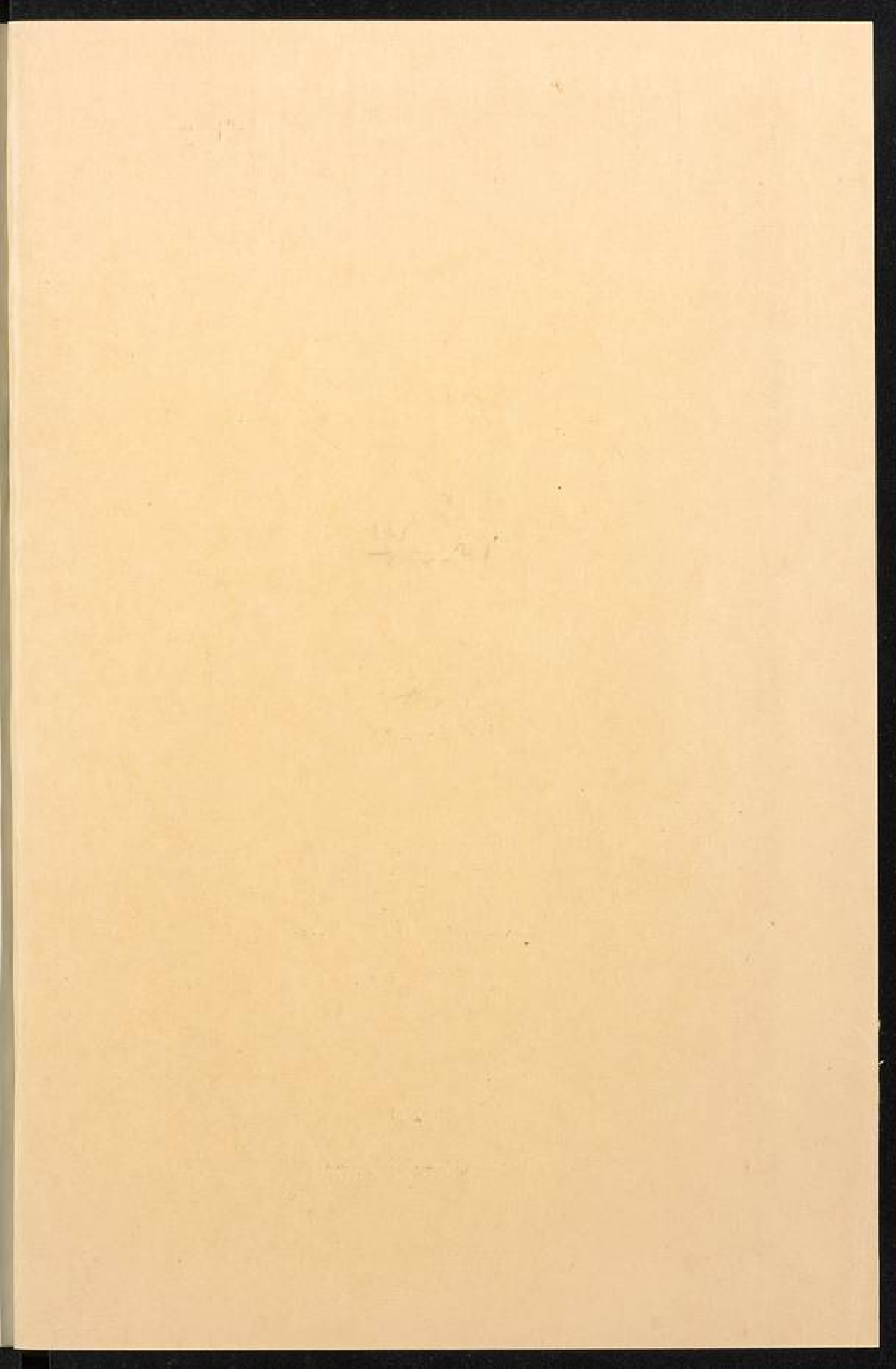
صالح بن عبد القدوس البصري

نحو ٧٧ هـ - ١٦٧ هـ

تأليف وجمع وتحقيق
عبد الله الخطيب

البصرة : ١٩٦٧ م

الناشر
دار منشورات البصري - بغداد



تراثنا

صالح بن عبد القدوس البصري

نحو ٧٧هـ - ١٦٧هـ

تأليف وجمع وتحقيق

عبد الله الخطيب

البصرة : ١٩٦٧ م

الناشر

دار منشورات البصري - بغداد

المقدمة :ـ

بعد الانقلاب السياسي الذي حدث في عصر مروان بن محمد الأموي ونجاحه وانتقال السلطة من الأمويين الى العباسيين ، حدثت تغيرات اجتماعية وسياسية كثيرة ، كونت في مجموعها تياراً جديداً ، شق المجتمع العربي الى صفين ، صف آمن بتلك التغيرات ، والآخر وقف معارضاً لها ، مدافعاً عن القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في العهد المنهزم .

ومن تلاحم متناقضات الصفين، تكون المجال الفكري والنفسي للأدب الذي ظهر في عهـد الأسرة العباسية ، وتعمقت تلك المتناقضات بدخول آراء وأفكار أمم اخرى فيها . فظهرت اغراض جديدة في الأدب العربي، وانماط من التفكير كانت غير واضحة في العصر الأموي ، وعلى الأخص التفكير الفلسفي المنظم الذي انشطر الى شطرين ، انتهى الاول الى الفلسفة العقلانية ، واتجه الآخر الى التجربة والتفكير المادي ، وبينهما التفكير السلفي القديم الذي استمر يكافح بشدة الأنماط الجديدة مدة طويلة من الزمن .

وحياة صالح بن عبد القدوس الشاعر الحكيم ، الميدان الفسيح لصراع هذه الاتجاهات الفكرية الصاخبة ، والتي دفعته أخيراً الى يـد الجلاد بتهمة الزندقة .

وقد رأيت تكملة للبحث أن افرد فصلاً لمميزات عصره ، وآخر عن الزندقة ومضمونها الفكرين ، ثم آخر عن حياته وأخبـار محاكمته ، وما جمعته من شعره ، وألحقت في آخر الكتاب النصوص التي عثرت عليها عن اخباره ، اتماماً للفائدة ، وألحقت بهـا « قصة صالح بن عبد القدوس مع راهب الصين » كاملة .

واشكر السادة الأفاضل الذي ساعدوني في توفير المصادر والمقالات

والبحوث وأخص بالذكر منهم الأستاذ محمد عبد الجبار المعيبد ، والأستاذ عبد الأمير دكسن ، والسيد حاتم بخيت الذي اجهد نفسه في ترجمة المقالات والنصوص الألمانية .

وإني لأشكر استاذي الجليل جاسم محمد الرجب على قراءته الكتاب وتوجيهاته القيمة ، والاستاذ هاشم الطعان على اهتمامه بشعر صالح بن عبد القدوس وتعديل ما غاب عني تعديله .

ولا بد ان اشير في الخاتمة الى أن الدكتور الشيبي كان مزمعاً البحث في الموضوع نفسه ولما فاتحته بإنجازي لما انجزته حثني على المبادرة بالطبع واتاح لي بذلك ان اقدم ما قدمته . . . فشكراً ؟

البصرة في ١٧ / ٧ / ١٩٦٧ م

عبد الله الخطيب

ـ الفصل الاول ـ

مميزات عصر صالح بن عبد القدوس
في القرنين الأول والثاني للهجرة

مميزات عصر صالح بن عبد القدوس
نحو ٧٧ هـ - ١٦٧ هـ

مصرت مدينة البصرة سنة ١٤ هـ ، وقيل سنة ١٦ هـ او سنة ١٧ هـ ، على طرف البر الى جانب مدينة عتيقة من مدن الفرس كانت تسمي - دهشتاباذ اردشير - وفي الفارسية الحديثة - بهشت اردشير - اي جنة اردشير ، فخربها المثنى بن الحارثة الشيباني بشن الغارات عليها (١) .

لهذه المدينة ، تاريخ حافل وطويل، في التمازج الحضاري، والعقائدي ، في تمازج العلاقات الإجتماعية للمجتمعات الزراعية الروحية ، والقيم البدوية الحسية ، والآراء التجارية المادية . فضاعت فيها مميزات مدن القرون المغلقة ، وطغت عليها روح حرة لا يحدها تقليد ولا يلزمها حد ، دينياً كان ذلك الحد ام اجتماعياً ام خلقياً .

كانت ميداناً لاختلاط الشعوب المتباينة والأفكار المتناقضة والأديان السماوية وغيرها ، ومن كل ذلك التناقض والتناغم اصبحت مشعلا من مشاعل الحضارة البشرية حقبة طويلة من الزمن .

فالبحث في امور هذه المدينة التاريخية معناه البحث في امور الخليج العربي كله وتاريخها الفكري في القرنين الاول والثاني الهجري مرتبط اشد الارتباط بماضيها الحضاري الموغل في القدم . مرتبط بالتأثيرات الحضارية الفنيقية والفارسية والرومانية والهندية والصينية والعربية ، ثم بالفكر العربي والفارسي والهندي الاسلامي . وعلى هذا ، فإن دراسة هذه المدنية من الناحية التكوينية صعب ومتشعب ، لاشتباك تلك الحضارات المتباينة

---

(١) راجع المسعودي ، مروج ٢ /٣٢٨ وما بعدها، البلاذري / فتوح ٢ /٢٩٦، معجم البلدان ١ / ٣٢٦ وما بعدها ، الطبري / تاريخ ٣ / ٥٩٠ ، اليعقوبي البلدان ص ٨٠ [النجف] ، الدينوري ، الأخبار ص ١١٧ .

الجذور فيها ، وفعاليتها المميزة في سلوك الانسان الفكري والعقائدي .

عناصر سكان مدينة البصرة :

منذ انهيار دويلات المدن الفنيقية التجارية التي دمرتها الزلازل استوطن الفنيقيون « في الأهوار بين دجلة والفرات » (١) . وعلى ضفاف شط العرب ، وفي القرن السابع ق . م . سيطروا على تجارة ذلك الأقليم ، وانتشرت حضارتهم وعقائدهم وعلومهم بالبحر والأنواء الجوية وسلوك البحار وصناعة السفن فيه .

وبعد الصراع الطويل بين الفرس والرومان ، وانتصار الروم اخيراً اصبحت « موانيء هذا الاقليم من اهم الموانيء الرومانية ، إذ كانت من اوفاها بالاغراض التجارية » (٢) . ثم إن الاسكندر انزل منها كثيراً من الجند الذين لم يعودوا قادرين على حمل السلاح « ولعل هؤلاء كانوا نواة الجالية اليونانية التي اخذت تكبر منذ ذلك الحين » (٣) . ثم سيطر الفرس على هذا الاقليم . وكان استيطانهم فيه له اثره الفكري البليغ الذي ظهر مفعوله بعد الفتح الاسلامي لهذا القطر .

وقد كان المجتمع البصري قبل الفتح الاسلامي خليطاً من « العشائر العربية التي كانت تستوطن قرب الأبله » (٤) . ارض الهند او فرج الهند كما كان يطلق العرب على تلك المنطقة ، مع جماعات اخرى كالفرس (٥)، والنبط (٦) ، والزط (٧)، الى جانب الهنود والروم والاحابيش (اخلاط

---

(١) أوليري ، انتقال علوم الاغريق الى العرب ص ١٣١ .

(٢) الحاجري ، الجاحظ ص ٢٢ .

(٣) الحاجري ، الجاحظ ص ٢٣ .

(٤) صالح أحمد العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٢٢ .

(٥) المصدر نفسه ص ٦٨ .

(٦) راجع جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٣ ، ٩ وما بعدها .

(٧) راجع البلاذري ، فتوح ٢ / ٤٥٩ وما بعدها .

من اقوام مختلفة) .

وبعد الفتح الاسلامي للعراق اصبحت مدينة البصرة بفعل السـياسة العربية الاسلامية الجديدة مدينة مفتوحة لسكنى العناصر التي دخلت في الاسلام ، او التي رضيت بالسيطرة العربية وسالمت القوة العسكرية العربية المسلمة .

وبعد الاستقرار السياسي فيها ، واطمئنان العناصر غير العربية الى سياسة العرب انهال على مدينة البصرة سيل من المهاجرين من عمال وفلاحين ممن « دمرت مدنهم وقراهم في الحرب التي نشبت اثناء الفتح الاسلامي » (١) باحثين عن عمل لهم ومستقر يطمئنون فيه .

إن اغلب هؤلاء العمال من الفرس والهنود ، اصحاب حرف وصناعات حضارية دقيقة فيها كثير من الإتقان والفن ، وأصحاب اديان وثنية او غير وثنية ، وآراء وفلسفات في الحياة والخلق وما بعد الحياة ، ولهم تقاليد وعادات ولغات ، كل ذلك كان ذا فعالية حركية في مجتمع البصرة الذي تعقد كثيراً ، إضافة الى تسامح الدين الاسلامي (٢) مع تلك الفعاليات الدينية ، فشجع بذلك هؤلاء الاقوام والجماعات على توضيح معتقداتهم وتبرز كيانهم الفكري والاجتماعي .

ومن تلك العناصر الجديدة التي دخلت في المجتمع العربي الاسلامي بعد الفتح والتي استسلمت للقوات العسكرية الاسلامية ، السيابجة (٣) ، وهم من اصل فارسي (٤) ، وقيل من اصل هندي (٥) . وكان السيابجة قوة

---

(١) صالح أحمد العلي ، التنظيمات ص ٧٤ ، والطبري ، تاريخ ص ٢٠٣٦ .

(٢) بدر ، محاضرات الموسم الثقافي ٦ / ٦١ — ٦٢ . وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق - .

(٣) البلاذري ، فتوح ص ٤٦٠ .

(٤) صالح أحمد العلي ، التنظيمات ص ٧٠ .

(٥) المصدر نفسه ، حاشية ص ٧٠

عسكرية بحرية تجوب جزر البحرين وسواحل الخليج العربي ، فاستقدمت للعرب « فأسكنوهم البصرة ووكل اليهم حراسة بيت المال والمسجد الجامع ودار الامارة والسجن » (١) وجماعة اخرى تعرف بالأنداغار واصلهم من السند قد « استوطنوا كرومان مما يلي سجستان » (٢) ، ولكن بعضهم « وجد بالبصرة حيث حالفوا بني تميم واشتركوا في الحروب الأهلية التي نشبت يومئذ » (٣) . وقد جلب عبيد الله بن زياد من اواسط آسيا جماعة من الاتراك ، اطلق عليهم العرب اسم - البخارية - (٤) بالاضافة الى قوميات اخرى ، وجماعات صغيرة ، منتشرة في هذه المدينة الواسعة .

وزادت الطرق والاتصالات التجارية ، وازدهار التجارة ، وارتفاع مستوى الاجور بالنسبة الى مستوى الحياة الاقتصادية من الاستقرار الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية فأصبحت البصرة الارض الجاذبة للإنسان من كل صوب وحدب ، فاختلطت العناصر والافكار والتقاليد والعادات والآراء الفلسفية . فأصبح المجتمع البصري في حركة متدفقة لا تعرف السكون ولا الاستقرار في الحياة الفكرية والاجتماعية والتجارية

أثر هذا الوسط على الذهنية العربية :-

يتميز الفكر العربي بصفات لها علاقة عضوية بطبيعة الصحراء ، وبمميزات الطابع الفكري للمدن التجارية التي تحيط بها الارض الصحراوية ، لذلك نرى العنصر العربي ذا عقلية ثاقبة بصفاء وواقعية مادية تعتمد على الحس والشك والموضوعية (٥) .

---

(١) صالح أحمد العلي ص ٠٠ .

(٢) البلاذري ، فتوح ص ٤٦٣ .

(٣) بلات - الجاحظ ص ٧٥ .

(٤) ياقوت - معجم البلدان ١ / ٥٢٢ .

(٥) راجع ، فروخ - تاريخ الفكر العربي ص ١٠٢ ، قير - أصول ص ٩ ، ديلاس أوليري - الفكر العربي ص ٨٣ ، براون - تاريخ الأدب الفارسي ١ / ١٨٩ وما بعدها .

وقد تفاعل هذا العقل مع القواعد والاسس الفكرية الجديدة التي جاء بها الاسلام ، وكان ذلك التفاعل صاخباً . ثم تطور الى ازمة سياسية ودينية في آن واحد بعد أن توفي الرسول الأعظم (ص) وانحدر الانسان العربي الى التصارع السياسي المحض بدلاً من التصارع الديني أيام الثورة الاجتماعية التي عمت كيان الأمة الاسلامية في عهد عثمان (ر) والتي يطلق عليها البعض خطأ الفتنة الكبرى، وبعد تلك الهزات الفكرية وقعت حوادث جسيمة لها طابعها الديني والفكري والسياسي ، منها حرب الجمل وصفين . وكانت صراعاً طبقياً شديداً يشوبه كثير من التفكير الطبقي والتخطيط السياسي . وانعكست آثارها في اسس المنطق الديني والسياسي والاجتماعي الذي تجزأ من جرائها الى عدة اتجاهات فكرية ، يقوم كل اتجاه على منطق معين جديد . ثم تبلورت في احزاب لها اثرها في تسيير الأمة العربية فيما بعد كالخوارج والشيعة والمرجئة (١) .

وتناحرت هذه الاحزاب فيما بينها واقتتلت بكل قسوة وعنف ومن تناحرها الفكري والحرب تكون لها منهج في السياسة والدين والأدب (٢) . كل فئة لها حججها ومنطقها الخاص . ولو ترك العرب وحدهم، لربما حلت مشاكلهم وسويت امورهم . إلا أن العقلية العربية بمشاكلها الفكرية الأولى، وبفعل عوامل الحضارة، اختلطت بعقليات اخرى، عمقت تلك الاختلافات وعقدت تلك المشاكل . وذلك لأن الذهنية التي احتك بها العرب كانت معقدة اشد التعقيد لسبقها الحضاري للذهن العربي .

إن تلك المشاكل التي اعترضت سير العرب الحضاري اثرت تأثيراً بليغاً في تفكيرهم الديني والسياسي ومهدت الطريق الى الشك في كثير من الامور

---

(١) راجع ـ البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص ١١٩ وما بعدها ، الدينوري ـ الأخبار الطوال ـ ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٢) بلبع ـ أدب المعتزلة ـ ص١٢، أحمد أمين ـ فجر الاسلام ـ ص ٣٠٦ وما بعدها.

الدينية ، وفي قيمة الرجال الذين قوموا هذه الامبراطورية الواسعة . وقـد نظمت ذلك الشك ووجهته الفلسفات والمقولات التي احتك بها العرب بفعل الاوضاع الجديدة للإمبراطورية الاسلامية . إن تلك الفلسفات الوافدة كانت بالنسبة لمعارف العرب العامة شيئاً معقداً يصعب الغوص فيه ، لأن العلوم العربية التي لخصها الاصفهاني بقوله « علوم العرب علم بديع الشعر ، وبلاغة المنطق وتشقيق اللفظ وتعريب الكلام وقيافة البشر وقيافة الأثر وصدق الحس وصواب الحدس ، وحفظ النسب ومراعاة الحسب وحفظ المناقب والمثالب وتعرف الانواء والإهتداء بالنجوم والتبصر بالخيل والسلاح واستعمالها والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس ويبلغون بالزجر ما يقصر عنـه غيرهم » (١) . علوم خالية من المنهج والتدقيق العلميين ، بالإضافة الى أن أكثرها ذاتي فردي يعكس بعض وجوه حضارة اهـل البادية البعيدة عن التعقيد والتأمل الفلسفي والصبر على الاستنتاجات العلمية والدقة في التجربة الموضوعية . حتى العلوم الاسلامية الاولى كانت عبارة عن امتداد للعلوم السابقة للإسلام ، والتي لم تزدهر إلا بعد النضج الحضاري الذي وصل اليه العقل العربي بعد محنته الكبرى في صراعه مع حضارات قديمة أرادت ان تقف حائلا دون تقدم الدين الاسلامي في الأمصار التي فتحها العرب لولا التناقض الاجتماعي الذي انفجر فيهـا وقوة المسلمين وسياستهم . تلك السياسة التي استغلها بعض القوميين من الذميين المجوس لصالحهم لأن العرب « لم يرغموا الشعوب التي غلبوها على اعتناق الاسلام بل سمحوا للسكان المغلوبين أن يظلوا على دينهم وقوانينهم وتقاليدهم الخاصة وأن يستعملوا لغتهم القومية على أن يدفعوا لهم الجزية » (٢) . وقد كانت الجزية ضريبة الدفاع عن ارواحهم

(١) الراغب الأصفهاني ـ محاضرات الأدباء ـ ١/ ١٥٢ .

(٢) أوليري ـ انتقال علوم الاغريق ـ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

وممتلكاتهم وحريتهم ، وقد قال رسول الله بشأن معاملة هؤلاء « ومن ظلم معاهداً او كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » (١) .

وقد برهن العقل العربي بأن له القابلية على التطور الخلاق والدفاع عن معتقداته ودينه بكل جدارة وإبداع ، فاشتبك العرب مع خصومهم بصراع فكري حاد خرج منه العرب بمدارس فكرية ناضجة وعلم تجريبي له حدوده ونتائجه الواقعية في كافة حقول المعرفة .

بل تمكن العرب في اوائل القرن الثاني الهجري من هضم الثقافة الآرية واليونانية وغيرهما ، وصبها في قالب عربي ، وأصبح من العسير التمييز بين الثقافة الدخيلة والثقافة العربية الاسلامية .

وكان لتلك العملية ، عملية إخضاع الأصول الحضارية للأمم المغلوبة للطابع العربي الاسلامي ، أثرها في تطور العقلية العربية ، حيث أخرجتها من مفاهيمها البسيطة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتنظيم ونظام الحكم الى مجال اوسع فيه كثير من التعقيد والتركيز بحيث أصبح مجال الفكر العربي قادراً على احتواء علوم الروم (٢) ، واليونان (٣) وصناعات الصين (٤) ، وحضارة الهند (٥) . ومن مقارنة هذه العلوم المعقدة والمتطورة ، بعلوم العرب وفنونهم نجد فروقاً حضارية كثيرة كونها التمايز بين البيئة العربية وتلك البيئات التي تكونت فيها حضارات الامم المغلوبة (٦) .

كانت البصرة ، ميداناً واسعاً لاصطراع هذه الأفكار والآراء المتباينة التي انساحت فيها ، والتي نمت في أطراف متباعدة من العالم المعمور آنذاك في الهند وفارس والصين واليونان .

إن دراسة ذلك الصراع الفكري وبيان جذور الأفكار التي ظهرت في

---

(١) ابن القيم الجوزية – أحكام أهل الذمة – ١ / ٣٢ .

(٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، الراغب الأصفهاني – محاضرات الأدباء ١ / ٩٤ .

(٦) راجع ، ابن خلدون – المقدمة ص ١٤٩ وما بعدها .

الفكر العربي بصورة عامة ، وفي مجال الفكر الاسلامي في مدينة البصرة وأثرها في العقلية الاسلامية النامية ، وبصورة شـاملة ، محتاج الى بحث منفصل ، ولا مجال له في هذا البحث القصير السريع . فالعناصر الفكرية التي احتك بهـا العرب عديدة ، أهما الهندية ـ البوذية ـ والفارسية من زرادتشية ومانوية، وطوائف اخرى كالديصانية والمرقونية (١) والصابئة، وصابئة حران ، ثم اليهودية والنصرانية والافلاطونية الحديثة ، فضلاً عن فلسفة اليونان القديمة التي أثرت تأثيراً مباشراً في جانب من جوانب العقلية العربية الاسلامية . وقد عم تأثير هذه الثقافات المتباينة جميع المدن . وظهر ذلك التأثير بعد انتشار الاسلام في الحواضر التي دخلت فيها تلك الثقافات وكان ذلك واضحاً بعد فترة الاستقرار للإمبراطورية الاسلامية الواسعة.

ولا يمكننا أن نفصل في هذه الحقبة التصارع الفكري للبصرة عن الكوفة وبغداد او الاسكندرية وحران ونصيبين او جنديسابور والمدائن ، لأن النشاط الهيلبني (٢) عم كل أنحاء هـذه المنطقة ولكن النتائج التي ظهرت من جراء ذلك كانت مختلفة الى حـد ما في هـذه المدن ، وذلك بالنسبة لتركيبها الاجتماعي والاقتصادي وموقعها الجغرافي .

وإن من الصعوبة بمكان تشخيص المذهب الديني او الاتجاهات الفلسفية التي أثرت اكثر من غيرها في العقلية البصرية او غيرها من المدن . هناك من يرى أن الثقافة اليونانية كان لها النصيب الأوفر في العقلية العربية أكثر من اي اتجاه آخر (٣) . وإن صح هذا الزعم فإن هـذا التيار أتعب العرب

(١) راجع الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ ١ / ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) ـ الهيلينية ـ تطلق على طابع الفكر والحضارة القديمة في العصر الذي بـدأ من فتح الاسكندرية للشرق وانتهى بعصر أوغسطس أي من ٣٣٦ ق . م ـ ٣ ق م تقريباً . بدري ـ التراث اليوناني ـ ص ٤ .

(٣) راجع ماجد ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ـ ص ١٣ .

كثيراً وأساء في العديد من المواقف الى معتقداتهم الدينية ، لأن هذه الثقافة وردت الى البصرة في ثوب « الهيلينية المتأخرة اي في صورة المسيحية الشرقية واليهودية ، ثم في صـورة المانوية والزرادتشية المشبعة بالروح اليونانية» (١)، وقال آخرون: المانوية، هي التي كان لها النصيب الأوفر في العقلية العربية وهي التي أثارت القضايا الدينية (٢) التي اهتم بها المسلمون اهتماماً بالغاً . وقد أثرت تلك القضايا أخيراً في أكثر من مجال واحد من مجالات نشاط العقلية العربية . وسوف يأتي تفصيل ذلك في البحث الخاص عن الزندقة .

وهكذا اصطدم العرب بأديان وفلسفات لها مناهجها في البحث وآراؤها في الخلق، ولها آراؤها الاجتماعية والسياسية، الروحية أو المادية والغنوصية(٣) .

غذت تلك الآراء كثيراً من المشاكل الدينية والسياسية والاجتماعية التي كانت تمور في المجتمع البصري في القرنين الاول والثاني للهجرة ، أما المشكلة الدينية الاولى وربما تكون الكبرى فهي مشكلة التطور الحضاري - إن رأي المحافظين (أصحاب السنة والحديث) في التطور الحضاري غائي ، لأن قمة نضجها وصل الى غايته في عهد الرسول الأعظم (ص) ثم بدأ يضمر ويتراجع كلما بعد عن عصر النبي (ص) وعصر الصحابة والتابعين وهكذا، وعلى ذلك يجب أن يقاس التشريع والقانون وكل ما يتعلق بالإنسان وحياته

(١) بدوي - التراث اليوناني - ص ٦ ، وانظر أوليري - انتقال علوم الاغريق - ص ١٠ وما بعدها .

٢) أحمد أمين - فجر الاسلام - ص ١٢٧ .

(٣) الغنوص : كلمة يونانية معناها في الأصل (المعرفة ولكن معناها الاصطلاحي هو النزعة الى ادراك الأسرار الربانية بواسطة هذا النوع السامي من المعرفة الذي يقابل ما يسمى عنـــد الصوفية المسلمين باسم (الكشف) أو هو الكشف نفسه . بدوي - التراث اليوناني ص ٧ .

بما كان في عصر النبي (ص) . وبدون ذلك القياس لا يتم الالتزام بقواعد الدين والتشريع الناضج بينما نرى أن مفهوم الحضارة عند غيرهم – وعلى الأخص - من تأثر بالفلسفة اليونانية - مفهوم تصاعدي، تطوري الى أمام .

وأما المشكلة الثانية ، فهي سبل الهداية والإرشاد ، حدد الفقهاء سبل الهداية بالأنبياء كمثل عليا يسترشد بها الانسان . بينما ترى الفلسفة اليونانية ، وعلى الأخص الوثنية منها ، أن العقل هو السبيل الوحيد للهداية .

ومن هذه الاتجاهات نلمس الصراع الفكري الذي حدث في المجتمع بصورة عامة والمجتمع البصري خاصة . ومن هذا الصراع لا بد أن تتكون مدارس فكرية متعددة وآراء وفلسفات متباينة ، وقد ساعد موقع البصرة الجغرافي على زيادة المفاعلات الفكرية مع مقولات شرقية وغربية ؛ لأن موقعها هذا بحري أولا شدها عن طريق التجارة الى الهند وفارس والصين. وقربها ثانياً من بابل الموطن الاصلي للمانوية ، والبطائح (١) موطن الصابئة والديصانية، والمدائن(٢) معقل الأفكار الفارسية القديمة . ساعد ذلك القرب على التفاعل والتداخل الفكري بين مع تلك الآراء التأثرة بالإفلاطونية الحديثة(٣)

---

(١) راجع ابن النديم ، فهرست س ٤٨٨ ، ابن حزم ـ الفصل ١ ٣٦ ، أمالي المرتفى ١/١٠٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ١/١٦٣ .

(٢) المدائن ـ طيسفون في الشرق وسلوقية في الغرب ، هاتان المدينتان قد ورثتا منذ ألفي سنة المدينتين الكلدانيتين ـ أوبي وأكشك ـ فلقـــد كانت عاصمة الشرق الفارسي كله وكانت تعـدل في حضارتها منافستها البيزنطية ، وكانت رأس الجسر الوحيد صوب فارس وآسيا العليا والمركز للبطارقة النسطوريين والمانوية ولرؤساء الجالية اليهودية والعاصمة المالية والعلمية لبلاد الشرق ، فتحها المسلمون عام ١٥ هـ ـ بدوي ـ شخصيات قلقة ـ ص ٣ .

(٣) الافلاطونية الحديثة : بعد وفاة افلاطون ، أخذ أتباعه يحاولون وضع فلسفة دينية أو دين .

قبل غيرها من المدن العراقية بالاضافة الى ما كان معروفاً في تلك المناطق من تأويلات يهودية وتأملات نصرانية (١) ، وبين الاسلام وهذا الخليط من الأفكار ، المادية وبقايا خرافات الاديان الوثنية المندرسة فرق شاسع ، في الأسس المنطقية والنظرة الاجتماعية للإنسان ، وإذا تركنا تلك الأديان ومقولاتها البدائية ، وأخذنا الأساس الفكري للفلسفة اليونانية التي اصطدم بها التفكير الاسلامي ، كانت المشكلة الثالثة وهي « العلاقة بين الإيمان والعقل ، بين اللاهوت المستمد من الوحي واللاهوت القائم على العقل »(٢) علماً بأن أكثر هذه الآراء الفلسفية التي وصلت الى العرب كانت محورة الى الروح المسيحية ، إلا أن الجاحظ يؤكد على « أن المسلمين مدينون ثقافياً وحضارياً لليونانيين القدماء لا للروم المسيحيين » (٣) ورأي الجاحظ هذا أقرب الى الصواب لأن النزعة المادية التي ظهرت عند مفكري الاسلام ، تأثرت بالفلسفة اليونانية القديمة الخالصة لا بالفلسفة اليونانية التي أخضعت لقواعد التفكير المسيحي ، وعلى كل حال ، فإن تلك الآراء الغريبة عن روح الدين الاسلامي ، وجدت لها مكاناً ملائماً عند العناصر غير العربية ، فازدهرت وسرى مفعولها في الحياة العامة .

مفلسف ، فالافلاطونية الجديدة مذهب قام على أصول افلاطونية ، تمثل عناصر من جميع المذاهب فلسفية ودينية ، يونانية وشرقية ، بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة غير أن رجالها رصوا على الاحتفاظ بالروح اليوناني خالصاً ، أي بالعقلية العلمية التي تنظر الى الوجود كأنه هندسة كبرى ويعتبر أمونيوس ساكاس (الحال) أبرز افلاطوني الأسكندرية ومن بعده تلميذه افلوطين (٢٠٥ ـ ٢٧٠ م) أنظر كتاب ، الفارابي ـ الجمع بين رأي الحكيمين ـ ص ٤١ ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت .

(١) أنظر ، بطرس نصري ـ ذخيرة الأذهان .

(٢) فالتزر ـ الفلسفة الاسلامية ـ ص ٩٧ .

(٣) روزنتال ـ مناهج العلم عند العرب ـ ١٩٧ .

وقد قامت حركة الترجمة ، وكانت ضرورة حضارية لا كما يعزوها بعض الكتاب والمؤرخين الى رغبة ذاتية صدرت من أحد الخلفاء او غيره ، وإن كنا لا ننكر دور بعض الخلفاء في تنشيطها وتنظيمها وتسهيل أمرها ، وقد ساعد العرب في هذا الباب كثير من النصارى النسطوريين والسريان واليهود والفرس (١) ، الذين ترجموا معظم تراث فارس واليونان والهند . وانتشرت حلقات الدروس في «الدور والقصور والمساجد ولم تكن وحدها ذات الأثر في توجيه الحركة العلمية والأدبية وإنما شاركها في ذلك السوق» (٢) . وانكب العلماء يدرسون كل شاردة وواردة وصلت اليهم عن طريق النقل او الترجمة وكثرت أبواب المعارف والعلوم فتعددت تبعاً لذلك حلقات الدرس «حلقات للأدب وأخرى للشعر وغيرها للنحو وكان أحفل الحلقات على الاطلاق حلقات المتكلمين» (٣) . ومن كل هذه الدراسات والجدلات المتنوعة التي ظهرت في مدارس ومساجد وأسواق البصرة تكون طابع عام للعقلية البصرية قوامه السعة في المعارف والثورة على القديم والشك فيه (٤) .

فبدأ المنهج العلمي تظهر بوادره والفلسفة تأخذ مكانها، اي أن الإتجاه العام في معالجة الامور عند مفكري البصرة أخذ يتجه اتجاهاً عقلياً فيه كثير من المنطق ، وربما كان الاساس الاقتصادي لمدينة البصرة مساعداً على تركيز المنهج العقلي في العلوم والفلسفة والدين، ودافعاً لظهور الاتجاه الواقعي

---

(١) فالتزر س ٢٢ وما بعدها ، ديلاس أوليري ـ الفكر العربي ـ س ٢٢ وما بعدها .

(٢) أحمد زكي ـ الحياة الأدبية ـ س ٥٠ ، سعيد الأفغاني ـ أسواق العرب ـ س ٤٤٩ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق س ٤٨ .

(٤) عبد الرحمن صدقي ـ ألحان الحان ـ س ٤ وما بعدها .

المادي ، للعلاقة العضوية بين نوع التفكير العملي الذي يزاوله الانسان ، وما يتوصل اليه من أفكار عامة في الحياة . إن الأساس الاقتصادي في البصرة ، كان تجارياً وصناعياً ، والتجارة وما يصاحبها من اعمال ، والصناعة وما يرافقها من تفكير يربطان الفكر بالواقع المادي الملموس الخاضع لإرادة الانسان بعكس المدن التي يكون أساسها الاقتصادي الزراعة او الرعي فإنهما يربطان الانسان الى الغيب الذي لا يخضع لإرادته ؛ فيدفعه الى التأمل الذاتي المنفصل عن الواقع المادي . وفي إطلاقنا كلمة مادي او فلسفة تطرف كثير لأن هذا الاتجاه أو النضج الفلسفي لم يظهر في القرنين الأول والثاني الهجريين بل ظهر بعد ذلك بفترة تكاد تكون طويلة عند الرازي الطبيب وابن الراوندي المتكلم الفيلسوف .

وكان هذا الاتجاه المادي من أبرز ما يتميز به العقل البصري ومن أهم العوامل التي صنفت الاتجاهات الفكرية في هذه المدينة ، وكانت بدايته على صورة الشك الذي تغلغل في مختلف طبقات السكان . جاء في كتاب (الفلاكة والمفلوكون) قال الطبراني : سمعت أبا يحي زكريا بن يحيى الساجي قال « كنا نمشي في بعض الأزقة الى باب بعض المحدثين بالبصرة فأسرعنا المشي وكان معنا رجل تاجر متهم في دينه فقال ارفعوا ارجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزيء ، فما زال في موضعه حتى حفيت رجلاه وسقط » (١) . وقد دفع هذا الشك الى ضعف الإيمان « فالحياة الجديدة تطلب ذلك ، حياة البصرة القائمة على التجارة والمادة والكسب تمجد المال وفي سبيل المال تشك في الدين وتعبث بـه وتسخر منه » (٢) . والثعالبي يذكر أن شهر بن حوشب المحدث الناسك دخل بيت المال ذات مرة فأخذ

(١) الفلاكة والفلاكون الدلجي ص ٧١ ، أنظر الأصفهاني ـ الأغاني ـ ١٤/٣ ، « قصيدة ابن يسير » .

(٢) أحمد زكي ـ الحياة الأدبية ـ ص ٤٢٠ .

خريطة فيها دراهم فقيل فيه :

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر (١)

ومن نتيجة هذا الشك والإصطراع الفكري ظهرت أربعة اتجاهات فكرية قوية في البصرة : إتجاه مدرحي عند المعتزلة ، واتجاه محافظ عند اصحاب الحديث والسنة ، وآخر مادي عند بعض المفكرين ، واتجاه آخر - لا أدري - وهو اتجاه غير واضح المسالك والغاية إلا أنه خطير في النواحي السياسية ، ظهر عند بعض الشعراء والأدباء ، ومن بين هذه الإتجاهات المهمة العميقة ظهرت الحكمة في شعر وأقوال الحكماء الذين ظهروا في هذه المدينة الكبيرة ، وفي فترة المعارك الصاخبة التي قامت بين الاتجاهات الأربعة المذكورة ، وأشهر من مثل هذه الفترة ، الشاعر بشار بن برد (٢) والحسن بن هانيء (ابو نؤاس) وصالح بن عبد القدوس ، وابن أبي العوجاء ، وواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وغيرهم .

والملاحظ أن تلك الثورة الفكرية لم تنحصر في هذه المدينة في مجالس العلماء وحلقات المناظرة والمجادلة ، بل انعكس تأثيرها على العامة كذلك . وما الحلقات الكبرى التي كانت تعقد في المجالس والمساجد وانتشار أخبارها في الاسواق والمحلات العامة إلا دليل على اهتمام عامة الناس بالأمور الفكرية والمجادلات الدينية والادبية والفلسفية حتى وصلت أخبار العلماء الى مخوفي الطرق وقطاعها « يحكى أن أبا الهذيل العلاف لقي مسقفاً فقال له « انزع ثيابك » وأخذ بمجامع جيبه ، فقال ابو الهذيل : استحالت المسألة ، قال: كيف ؟ قال تمسك بموضع النزع وتقول لي : إنزع ! أتراني أنزع القميص من ذيله أم جيبه ، فقال له : أنت ابو الهذيل ؟ قال : نعم ، قال : إمض

(١) ثمار القلوب ص ١٣٣ ، في الحياة الأدبية ص ٤٢٠ .

2 - Nyberg ; OLZ (p) 426 .

راشداً » (١) . ومهما يكن من امر واقعية هذه الحادثة فإنها تدل على مدى انتشار معرفة العامة بالعلماء وأصحاب الفكر .

وفي تلك الفترة اتهم كثير من الشعراء والحكماء في دينهم ، والمتهم في دينه يحرم ويقاطع أو على الأقل يهجر من قبل عامة الناس . أما الذي حدث في البصرة فكان العكس فبالرغم من الشبهات التي حامت حول الشاعر الحكيم صالح بن عبد القدوس (٢) مثلا فقد اعتبره المجتمع البصري من الحكماء ، واستمع اليه الناس في المسجد وهو يقص عليهم ويعظهم في امور دنياهم ويحلل لهم مشاكل الفكر ، والمجتمع ونقائضه ونقائصه ، بقصصه وقصائده وبحكمته الواقعية . ثم إنه يحضر مع المصلين في المسجد يؤدي فريضة الصلاة مع الناس على أتم وجه، ولم نعثر في بطون الكتب التي تروي أخبار هذا الحكيم على أن المجتمع البصري قد حاربه أو قاطعه او ضايقه ، وكذلك فعل مع غيره كبشار بن برد ، والحمادين وأبي نؤاس ، فكان بشار المولى يتمتع بمنزلة كبرى في المجتمع البصري كما قال نجم بن النطاح « عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة إلا يروي من شعر بشار ولا نائحة ولا مغنية إلا تتكسب به ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرة اللسان»(٣) . إن هؤلاء الأشراف لا يخافون لسان هذا المولى الأعمى فحسب ، بل إن منزلته الفكرية ، وقيمته الأدبية هما اللتان أوجدتا حوله هذا الإطار من الخوف والإحترام، وما تلك المنزلة وهذه القيمة إلا من خلق المجتمع وذلك لتفهم الأفكار وتقييم أصحاب المواهب وهذا دليل على ارتفاع مستوى الوعي والادراك والثقافة العامة في مدينة البصرة في ذلك العصر .

وربما كان العامل المساعد على إبراز هذا النهج الفكري في البصرة

---

(١) الخطيب البغدادي ــ تاريخ بغداد ــ ١٢ / ٢١٨ . القاهرة ١٩٣١ .

(٢) الصفدي ــ نكت الهميان ــ ص ١٧١ .

(٣) أبو الفرج ــ الأغاني ــ ١/ ١٩٤ .

ووضوحه العقلي والمادي ، هو الوضع الاقتصادي ، كما مر سابقاً ، إضافة الى نوعية تركيب سكان البصرة الاجتماعي المذكور في أول هذا الفصل ، ومدى استعدادها لتفهم المشاكل التي أثارتها الإفلاطونية الحديثة والفاسفة اليونانية القديمة . والافكار الوافدة الاخرى والمحلية، لأن الذهنية التجارية ذهنية مادية فردية نفعية ، وفي كثير من الأحيان تكون سريعة الحركة تبحث عن أدلة واقعية تكون في الاغلب في متناول اليد، تسند بها فعالياتها الاقتصادية التي تستند على اعمال الصيرفة وحساب التداول والارباح والفوائد ، وفي بعض الاحيان الربا ، فيكون القياس المنطقي لمدن التجارية قياساً مادياً ملموساً له تأثيره في هذه الحياة الدنيا ، وله تأثيره فى تأويل وخلق القيم الاجتماعية التي تناسب الحياة الآنية ، والتي تحقق اكبر قسط ممكن من النفع المادي . إن الحالة الذهنية هذه والتي تختلف عن ذهنية اكثر المدن العراقية وصل تأثيرها حتى الزهاد فنرى « أنهم يمجدون التقوى لا الفقر » (١) ، بعكس المدن التي تعتمد على الزراعة اكثر من أي شكل اقتصادي آخر ، فإنها تدفع سكانها الى التأمل الذاتي ، وتفرض عليهم طبيعتها الاقتصادية ، التفكير الغيبي واللاهوتي المحض .

ثم إن التجارة قد ساعدت على تحقيق مستوى اقتصادي رفيع في البصرة ولو أن هذا المستوى الرفيع كان حكراً لبعض الناس دون غيرهم (٢) . وهذا الاحتكار أثر في سكان البصرة تأثيراً بالغاً انعكس في نتاجهم الأدبي وفي سلوكهم الاجتماعي والثوري ، وقد قال الجاحظ « إن خراج البصرة ستون الف الف وهو اكثر من نصف خراج العراق الذي يذكر إنه « مائة الف الف وأثني عشر الف الف » (٣) ومن « العشور ستة ملايين درهم

---

(١) صالح أحمد العلي التنظيمات ص ١٨٥ .

(٢) راجع شعر الشمقمق الشاعر البصري الواقعي .

(٣) الحاجري - الجاحظ ص ٣٩ نقلا عن مخطوطة للجاحظ - الاوطان والبلدان - .

سنوياً » (١) . أما عدد سكان المدينة فقد كان « يبلغ ستين ألفاً من الرجال المحاربين المسجلين في ديوان العطاء » (٢) . على أن هذا العدد لم يشمل جميع السكان المقيمين فعلا في البصرة من النساء والإطفال والشيوخ والعجزة ومن العبيد وأهل الذمة والاعاجم وكل من لم يخوله مركزه الاجتماعي او غيره أن يسجل في ديوان العطاء .

نستدل من كل هذا ، ان مدينة البصرة كانت من المدن الكبرى في الأهمية الاقتصادية والفكرية ، وعدد السكان بالنسبة لمدن العراق ، وربما الامبراطورية الاسلامية كذلك ، لهذا وصفها اليعقوبي بأنها « مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها » (٣) .

وقد ساعدت عوامل عديدة على تكوين هذا الثراء ، وحصره في طبقة معينة منها انحلال روح الدين الاسلامي الاولى في النفوس ، وعدم الشعور بروابطها الاجتماعية الاولى ، وعدم تنظيم الضرائب وعلى الاخص ضريبة الزكاة الخاصة بالمـال ، والتي فرضت ايام الرسول (ص) ، لمستوى إقتصادي معين ولوضع اجتماعي ونفسي خاص ، والتي مقدارها ٢,٥ بالمائة من المال الفائض الذي يحول عليه الحول ، اقل من أن يكفي للقضاء التام على تكدس الاموال والثروات ، التي تكونت في القرن الاول والثاني الهجري في مدينة البصرة وذلك لتطور وسائل الكسب واتساع حجم التجارة ، عما كانت في أيام الرسول (ص) ، ويعلق صالح أحمد العلي بقوله « هذا الى أني لم اجد دليلا قاطعاً يثبت ان الحكومة كانت تجبي بنفسها او تجبر الناس على دفع ما يستحق عليهم من الزكاة على النقود والعين » .

---

(١) العلي – التنظيمات ص ١٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ .

(٣) اليعقوبي البلدان ص ٣٧٣ ، ضمن كتاب الأعلاق النفيسة ، لأبن رسته . ليدن ١٨٩١ .

وقد كتب عمر بن عبد العزيز الى « عدي بن ارطاة امير البصرة : فمن ادى زكاة ماله فاقبل منه ومن لم يأت فالله حسيبه » (١) . فترك بذلك المسألة الى قوة التدين لدى الافراد ومقدار صدقهم وتعلقهم بالدين. الامر الذي كان مصدر شكوى امير البصرة لامتناع الكثيرين عن دفع الزكاة . أما الربا الذي كان يعين التنظيمات الاقتصادية المكملة للتجارة فقد اخذ طريقه بصور متعددة ، منها تفريق تجار البصرة بين الفوائد التي يستحصل عليها من إقراض رؤوس الاموال لقصد الاستهلاك وبين اقراضها لقصد التجارة والانتاج فامتنعوا من الاقراض الاول تمشياً مع التشريع الاسلامي ولو بصورة علنية وزاولوا الثاني باسم المؤسسات التجارية .

إن هذا الوضع المالي ، والاقتصادي ، أثر كثيراً على التعجيل في تخطيط المجتمع البصري بظهور الطبقات الاجتماعية وعلى تعميق الاختلافات الفقهية والسياسية وعلى الخصوص عندما استعمل الرقيق والعبيد سبايا الحروب(٢) كأدوات إنتاجية غير حرة وبلا اجور، وقد غنمهم العرب في الحروب وكان لهم بموجب احكام الاسلام ان يقتلوهم او يسترقوهم او يفادوهم او يمنوا عليهم فيطلقوهم احراراً . ولم يكن عدد هؤلاء العبيد قليلا ليمكن إهمالهم، بل كان عددهم كبيراً ؛ ففي الحملات التي قام بها الربيع بن زياد الحارثي مثلا ، كان ما غنمه العرب من حاميات سجستان فقط اربعين الفاً من الرقيق(٣) هذا بالاضافة الى سخط الموالي الاجتماعي والسياسي، وانتشار

---

(١) العلي – التنظيمات ص ١٨٦ ، (معتمداً على طبقات ابن سعد ٢٨٣/٥)

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠ ، وانظر حسن ابراهيم حسن وأخيه – النظم الاسلامية ص ٣٠٢ وما بعدها ، قاسم بن سلام أبو عبيدة – كتاب الأموال ص ١٢٤ (باب الحكم في رقاب أهل العنوة من الأسارى والسبي) ،

(٣) البلاذري ، فتوح ص ٤٨٥ ،

B , Roberts ; Das Familier - skalven und Erbsechr .

الافكار الجديدة ، من يونانية وفارسية ، وأخرى تولدت من متناقضات الحياة الاجتماعية في البصرة ، أدى الى ظهور بوادر الثورة الفكرية ، وعلى الأخص بين صفوف مثقفي الموالي ، فاحتدم الجدل وكثرت المناظرات ، وظهرت التيارات الفكرية في الأدب والسياسة والدين وفي جميع المجالات الأخرى، واصبح « التفكير والتحليل والموازنة والنقد منافذ لقوى الموالي، وقد كانوا ينزعون الى التحرر والانطلاق (١) . ثم إن الحرية التي كانت تتمتع بها مدينة البصرة في اوائل العصر العباسي شجعتهم على الجهر بما يعتقدون « فراحوا يسيرون سيراً منطقياً لا يرهبون شيئاً ولا يخافون الاصطدام بالنصوص ويعللون آراء غيرهم في حرية تامة » (٢) ، فتبلورت حركة نقدية لها اهميتها السياسية والفكرية في المجتمع البصري كرد فعل لآراء المحافظين والسلطة الحاكمة العربية (٣) . وقد اتخذت تلك الحركة اوجهاً مختلفة في الامصار الاسلامية ، كالثورة على السلطة في بلدان شرق الامبراطورية الاسلامية ، بينما اتخذت شكلا آخر في مدينة البصرة ، وهو الثورة الفكرية في اوسع مجالاتها، شملت كل نشاط المجتمع البصري الفكري في الدين والسياسية والاقتصاد وكانت القاعدة الكبرى فيها، هي - الشك - في كل ما هو معروف آنذاك . وكانت النتيجة الخطيرة التي ظهرت بوضوح لهذه الثورة العميقة، اضمحلال عاطفة الناس الدينية وانحلال اركان روحيتهم الاولى، وانتشار الآراء الغريبة عن الدين الاسلامي ، واختلاط تلك الآراء بخصائص العقل الآرامي و لايراني واليوناني والهندي (٤) . إضافة الى

(١) أحمد زكي - الحياة الأدبية ص ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٦ .

(٣) أنظر بندلي جوزي - من تاريخ الحركات الفكرية ص ٤٠ وما بعدها .

(٤) الحاجري - الجاحظ ص ٢٧ .

النزعة الواقعية (١) التي هي من ابرز صفات الذهنية العربية مثل الدين الاسلامي ، ولأول مرة ، وبعد الحركة المعاكسة التي قامت بها السلطة ضد هذه التيارات الفكرية الهدامة ، ظهرت كلمة - الزندقة - كاصطلاح لذلك المزيج الفكري المعقد الذي عم مدينة البصرة واكثر مدن العراق الكبيرة . وأولى بوارد التفكير الديني المنظم والمناقض لجذور التفكير الملي ظهرت في العصر الأموي عند معبد الجهمي (٢) والجعد بن درهم (٣) وسار هذا النهج بالرغم من كل المعقبات ، تارة بشكل تمرد على القيم السائدة دينية كانت ام اجتماعية ، وقد ظهر هذا التمرد بصورة واضحة عند الشعراء والادباء كابن مناذر وابن يسير ، وأبي نؤاس .. الخ وقد جمع هذا التمرد والشك ابو نؤاس في هذين البيتين :

يا ناظراً في الدين ما الأمر   لا قدر صح ولا جبر
ما صح عندي من جميع الذي   تذكر إلا الموت والقبر

وقد ذكر طه حسين (٤) ، قصة بعض مجان ذلك العصر وقد حضرتهم الصلاة فأقاموها ، ثم حدث ان اخطأ الإمام - ولعله كان ثملا (٥) وهو يقرأ « قل هو الله أحد » فإذا بأبي نواس يقول :

اكثر يحيى غلطاً   في قل هو الله احد

فيرد عليه العباس بن الاحنف :

قام طويلا ساهياً   حتى إذا أعيا سجد

---

(١) العلي ،محاضرات في التاريخ الاسلامي ص ١٥٧ .

(٢) معبد الجهمي : أول من تكلم بالقدر في مدينة البصرة وقتله الحجاج

(٣) الجعد بن درهم : أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، وتعطيل الله عن صفاته وقتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤ هـ على الزندقة ، في عيد الأضحى .

(٤) طه حسين — حديث الأربعاء ص ٢٣ .

(٥) أحمد زكي — الحياة الأدبية ص ٤١٩ .

ويكمل الحسين الخليع :

يزحر في محــرابه زحير حبـلى بولد

وهذه ابيات أبان اللاحقي التي كتبها لمعاذ بن معاذ عقب توليه قضـاء البصرة، وهي اعنف صورة للنفاق والعبث في الدين والتحلل الخلقي والديني والرياء صفــات المدن التي تقوم على التجارة وعبادة المال .

يا معاذ بن معــا ذ الخير يا خير حكيم(1)

قـد تهيــأ اللاحقيـ ـون وأصناف تمـيم

لزموا مسجدنا في ضيقــه أي لزوم

شمروا القمص وحكوا موضع السجد بثوم

كلهم يأمل ان تو دعــه مال يتـيم

وتارة اخرى ، بشكل ثورة على المقولات السلفية ، عنــد اصحاب الكلام ، او ثورة سياسية على نظام الحكم ، واحتجاج على التفاوت الطبقي الذي ظهر في هذه المدينة التجارية الكبرى .

وكان رد الفعل المعاكس عند المحافظين من المفكرين والساسة والولاة لا يقل عن ثورة احرار الفكر عنفاً ، وعلى الأخص ضد الآراء الفارسية ، والفلسفة الذرية (2) اليونانية المتناقضة تمام التناقض مع الآراء الاسلامية ،

---

(1) أحمد زكي ـ الحياة الأدبية ص ٤٢ ، معتمداً على (الأوراق / ٢٨)

(2) راجع ـ E . Zeller ; outlines of the history , of Greek philosophy , pp , 64 . London , 1931 .

And . B . Russell , History of western philosophy, pp , 81, London , 1947 .

وأحمد زكي ـ الحياة الأدبية ص ١٤ ، علي سامي النشار ـ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ١ / ١٥٧ وما بعدها .

وأحمد أمين ورفيقه / قصة الفلسفة اليونانية ص ٦٩ وما بعدها .

واتهم كل من يعمل بحقل الفلسفة والعلوم بالزندقة ، وأصبحت هذه التهم سلاحاً جاهزاً بيد السلطة والمحافظين ضد كل من لا ينضوي تحت لوائهم ويخضع لسيطرتهم الفكريه والسياسية . وفي هذا الجو الفكري المضطرب كان صالح بن عبد القدوس يصوغ حكمه وأشعاره ومواعظه ، مصوراً بها المجتمع البصري من كل جوانبه .

- الفصل الثاني -

تطور الفكر الإسلامي
والزندقة

تطور الفكر الاسلامي والزندقة

حددنا في الفصل الاول معالم مدينة البصرة الفكرية ، وبينا الاسس المادية لتلك الانجاهات الفكرية الجديدة ، التي ظهرت فيها . وأوضحنا أثر الاساس الاقتصادي في ذلك التطور وتلك الانجاهات ، وعلاقة ذلك الاساس بالبناء الاجتماعي للمدينة ، وتحديد عناصر السكان وحركتهم الفكرية بالنسبة لعلاقاتهم الاقتصادية ومستوياتهم في ذلك . ورأينا أن ابرز نتاج ذلك الوضع الفكري المعقد هو تبدل (المنطق) الذي كان سائداً عند المسلمين في ايامهم الاول ، الى منطق آخر اتخذه البعض اساساً لبناء آراء جديدة حول الدين والسياسة والاقتصاد ونظام الحكم . وكان ذلك التبدل عميقاً في الاسس اليقينية التي يقوم عليها الإيمان في كل شيء ، حيث لا دين بدونه ، وقد قيل « من طلب الدين بالكلام ألحد » (١) ، ومعنى هذا لا يكون طلب الدين إلا بالتسليم والايمان الكلي المطلق ، لا بالجدل والكلام والشك والتفلسف والتأمل ، إلا في حدود معلومة لا تمس الجوهر والاسس والغاية في الدين .

وهذا الاختلاف في الاسس المنطقية بين فريقين من المسلمين ، والذي غذته فلسفات اجنبية شرقية وغربية ، مادية وروحية ، مؤمنة وملحدة ، أدى الى ثورة فكرية في الوسط الاسلامي ، وكانت تلك الثورة ، قوية ونشطة فيها قوة الخلق والابداع والاقناع فتصدع الكيان الفكري الاسلامي أمامها ، الى عدد كثير من الانجاهات الفكرية ، لكل اتجاه منطق خاص ، له اسسه وقواعده وغايته . فكانت كل فرقة تحاول السيطرة على ميدان الفكر بوضع الاسس الواضحة لمنطقها وتوضيح الخطوط العامة والخاصة لفلسفتها ، وهنا ظهرت بوادر انحلال الوحدة الفكرية وظهور

---

(١) التوحيدي ـ الأمتاع والمؤانسة ١ / ١٤٢ .

المدارس الفكرية والمناهج الفلسفية ، فكانت مدرسة اهل السنة وجماعاتها ، والشيعة وفرقها ، ثم الخوارج وغيرهم .

وكان اثر ذلك التبدل المنطقي أكثر وضوحاً وخطراً ، في مدارس اخرى ابتعدت عن السياسة في الظاهر على الاقل ، ومنهم اصحاب الدهر (الدهريين) الذين يمثلون الاتجاه المادي بكل أبعـــاده العلمانية ، والمدرحيين (اصحاب الاعتزال) ، والشكاك ، والبراكماتيين (الحسيين) اولئك الذين يعتمدون على الحواس فقط .

وهذا امر طبيعي بالنسبة للشعوب التي تتمتع بقوة الانفتاح والابداع الحضاري بعكس الشعوب المغلقة الراكدة التي تعيش على اجترار ما توصل اليه السلف بعد تشويهه وتخبيطه ، خائفة من كل جديد وتغيير .

والواقع إننا « اذا استعرضنا التاريخ الفكري في الآماد البعيدة او في العصور الحديثة ، فإننا نجد في كل امة من الامم متبدية كانت او متحضرة ثلاثة اتجاهات تعمل في آن واحد :

(١) - إننا نجد الماديين ، الذين يرون ، على حد تعبير الغزالي « إن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان في النطفة ، والنطفة في الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابداً » .

(٢) - ونجد الاتجاه العقلي ، الذي يرى أن مشاكل ما وراء الطبيعة ومشاكل الاخلاق مشاكل الدنيا ، ومشاكل الآخرة ، إنما يحلها ، العقل بأقيسته وبراهينه ومنطقه .

(٣) - الاتجاه الثالث هو الاتجاه الروحي او الإلهامي او البصيري (١) .

إن هذه الاتجاهات الثلاثة ، توجد في كل امة ، على تفاوت فيما بينها بتأرجح ارتفاعاً وانخفاضاً ، بحسب الظروف الاجتماعية والثقافية ، ثم إنها حالة نفسية فردية تنطلق من وضع الفرد الاقتصادي والاجتماعي ، وبامتداده

---

(١) عبد الحليم محمود ـ التفكير الفلسفي في الاسلام ١ / ٢٢٧ .

هذه الحالة وانسياحها في المجتمع تظهر بشكل تيار فكري يخطط المجتمع من الناحية الآيدولوجية ، وفي الامور الطبيعية كذلك ان تلك التيارات الفكرية تميل الى إحداث ثورات اجتماعيا اذا عاقها عائق من الانسياح . تحمل جميع التغيرات التي طرأت على البناء الاجتماعي ، والتي تكون هي تجسيدات لهـا ، ولذلك نجد ميلا الى تهديم او تعديل او اصلاح بعض الامور كلية او جزئياً في تلك الثورات ، وبما أن نظام الحكم هو من الامور الكبرى التي تستهدفها تلك الثورات ولميله الى الاستقرار والاستمرارية فإنه يحاول دائماً ان يقف وقفة الحذر ضدها ، ويكون اعتماده الكلي في كثير من الاحيان على التفكير الذي لا يؤمن بالتغيير ، لهذا نرى اتخاذ الحزب الاموي الدين وسيلة لمكافحة بوادر التفكير الثوري الذي ظهر في زمن عبد الملك بن مروان ، بالرغم من انتقادات الفقهـاء ورجال الدين لنظام الدولة آنذاك ولسلوك بعض الخلفاء المتناقض مـع اصول الدين في الامور الشخصية والعامة . وكذلك نلمس نفس الشيء عندما اصبحت السلطة بيد حزب العباسيين .

إن هذا الموقف من قبل السلطة وبعض رجال الدين السلفيين أدى الى الاحتكاك الفعلي مع التفكير الجديد مما أضرم نار الثورة الفكرية ، فجردت السلطة الحاكمة أقوى اسلحتها لكبحها وتفتيتها ، وهي الاتهام بالكفر ، والخروج من الدين ، ثم تمكن الحكام ، وأدباء القصور من تحويل الثورة الفكرية العربية عن وجهتها التاريخية العلمية الى معركة كلامية استنفزت كل قوى العرب العقلية الحضارية ، وحصرت الطاقات المتبقية في نطاق لغوي سلفي بحت . كما حدث في تحديد معنى الزندقة .

الزندقة :

البحث في امر هذه الكلمة او بتعبير ادق ـ المصطلح ـ صعب ، والتعرض

لها تاريخياً او دينياً فيه كثير من المتاعب ؛ لغموضها اولا ، وقلة الموارد الموثوق بها ثانياً . ولا بد من هذا التعرض ، اذ اردنا ان ندرس سير الحضارة العربية دراسة علمية وأن نطلع على مفاعلاتها مع غيرها من الحضارات ، ثم إن النهج الزندقي خلق تياراً فكرياً كان من اقوى التيارات التي سارت مع تيار التفكير اليقيني ، الذي كان له اكبر الاثر في ازدهار وتطور العقلية العربية في المجالين الديني والعلمي .

يقال - إن كلمة - الزندقة - ليست عربية دارجة فيها ، وليس لها اصل سامي . وحركتها غامضة الحدود ، والمعالم ، ومفهومها يتبدل حسب الزمن والفترات التاريخية ، واتجاه الخليفة الثقافي . فالأمور التي كانت زندقة في زمن المهدي او الهادي ، كانت تعبداً وإنقاذاً للدين من الضلال زمن المأمون وكذلك « ما كان في عهد المأمون والمعتصم يعرف بالزندقة صار في عهد المتوكل شرطاً ضرورياً لتعاليم السنة » (١) . إن هذه الحركة اللولبية لهذه الكلمة تدعو الى البحث الشامل الدقيق ، وتدل على أن هذه الكلمة لها من العمق والسعة ما لا تكفيه دراسات القواميس اللغوية ، حيث إن الدراسة القاموسية لأي كلمة ثابت ثبوت اصل الكلمة المادي ، بينما نرى كلمة الزندقة هذه ، تأخذ في كل دور من الأدوار التاريخية مفهوماً يناقض مفهومها الاول تمام التناقض .

ولو كانت الزندقة هي ، الكفر ، والزنديق هو ، الكافر ، فقط كما وضع واصل بن عطاء « كتاب الف مسألة للرد على الزنادقة »(٢) ، لكان الأمر بسيطاً كما كان مع المنافقين ايام الرسول (ص) او مع اي فرد من

(1) I , Goldziher / Salih B . Abd Al - Kuddus und Das zindikthum wahrend derregierung Des chalifen Al - Mahdi P . 104 .

(٢) محمد أبو زهرة - تاريخ المذاهب الاسلامية ١٦٧/١ .

الملاحدة ، ثم إن تجنيد العلماء من اهل السنة (المحافظين) انفسهم وإعلان الجهاد ضد هذه الكلمة معناه ، انها ليست كلمة يحتفظ بها اي قاموس في اللغة ومن التتبع التاريخي للمناظرات القليلة و المناقشات النادرة التي احتفظت بها كتب الرد عليهم او كتب الفقه والتاريخ، ومن مناظرات متكلمي المعتزلة معهم ، يمكننا الاستنتاج بأن الزندقة ليست - كفراً - فحسب ، بل إنها حركة فكرية صلبة ، لها جذور عميقة في المجتمع البصري بصورة خاصة . ذات منهج منظم، وتاريخ طويل يشمل مكة والحيرة والبصرة ، ومجال واسع يحتوي على قضايا عديدة منها ، العلمية ، والاجتماعية ، والسياسية ، بطريقة واقعية تجريبية .

لهذا ، شعر دارسو الحضارة الاسلامية ، بأهمية ذلك التيار ، وتلك الحركة لكونها وجهاً من اوجه الحضارة الاسلامية ، ولا يتم فهم تلك الحضارة بدون تحليل ودراسة تلك الحركة من زاوية سيرها العام. وعلاقتها بانبثاق الحضارة الاسلامية ، المذهل الذي تولد من تيارين متناقضين اصطدما اصطداماً عنيفاً ، وكان احد التيارين ، هو تلك الحركة الواقعية ثم تطورها السريع الرائع ، والذي تولد كذلك من تيارات متعددة متناقضة إحتكت احتكاكاً مباشراً وشديداً . ثم انهيارها ، لا بسبب المغول والفيضانات ، بل بسبب فقدان الحركة المناقضة لطبيعتها ومقولاتها العامة

ومما يؤسف له ، أننا لم نجد لدى المؤرخين والمفكرين الذين عاصروا إعصار الزنادقة شيئاً يكشف بدقة لنا عن حقيقة تلك الحركة ، بل اهتموا بأصل الكلمة ، بعد أن حولوا الصراع الفكري الى مجادلات لغوية فارغة وبعد اندحارهم أمامها ، طوروا ذلك الى مباحث فقهية ، ليجدوا أحكاماً جديدة ، رادعة يسندها الدين لهؤلاء الخارجين على منطقهم ، تاركين **جذورهـا** التاريخية العميقة ، وعلاقاتها بالفلسفة اليونانية القديمة وطبيعة التفكير العربي الفطري ، وتأثرها من بعض الجوانب بفلسفة الهنود

وآراء الفرس .

يقول سبستيان رنزتال « كثر ما قرأت عن اسم الزنادقة ووصف زندقتهم من تآليف الشرقيين ولا اذكر إني عثرت مرة على هذا الاسم دون أن اراجع كتاباً أو قاموساً لاستخراج معناه الصحيح أملاً بأن اظفر بما يرتاح اليه لبي، ويقنع به تماماً عقلي فطاش سهمي مع ما وصلت من السعي وتحملت من الكلف والجهد » (١) . ثم يستعرض ما كتبه ابن النديم ، والطبري واليعقوبي والمسعودي (٢) . ويقول « لم أنل منهم المرغوب » (٣) . ويزيد قوله « وكذلك لم اجد من تصانيف اللغويين ما به اشفي غليلي » (٤) .

ويقول آدي‌شير (٥) :

الزنديق ، فسر بالقائل بالنور والظلمة او من لا يؤمن بالآخرة او من يبطن الكفر ويظهر الإيمان قال البعض إنه معرب عن ـ زن دين (٦) . أي دين المرأة . وقيل إنه تعريب زنديك، وهو الذي يعمل بموجب ما هو مسطور بكتاب الزند . لكن الزنديق ورد ذكره في كتاب أفراهاط الحكيم الفارسي الذي عاش في الجيل الرابع للمسيح . وورد أيضاً ذكر الزنادقة قبل تأليف الزند أي في كتاب الأبستاعينه

---

(١) سبستيان رنزتال ـ مجلة المشرق ص ٦٨١ .

(٢) راجع ابن النديم ص ٤٧٠ ، الطبري سنة ١٦٧ ، اليعقوبي ٣/١٣٠ ، المسعودي ٢٧٤/١ | دار الأندلس | .

(٣) مجلة المشرق ص ٦٨١ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) آدي‌شير ـ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨٠ ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨ .

(٦) راجع غياث الدين ـ غياث اللغات ص ٢٥٦ سنة ١٣٠٢ هـ . (فارس) .

حيث قيل : « إننا جعلنا الصلاة . . لكي نحارب الزند
والساحر ونخريبهما جميعاً » فالزندي إذاً في التاريخ القديم
ساحر قبيح المذهب . وقد اتخذ هذه الكلمة الفرس المحدثون
فتلفظوا بها على صورة « زنديك » ومنها اشتقت لفظة زيديق .

نلاحظ في هذا النص تناقضاً واضحاً لتفسير كلمة « زنديق » فهو تارة من يقول بوجود إلهين إله النور - إله الخير والبركة - وإله الظلمة - إله الشر او إبليس - والمقصود بذلك المانوية دين ماني بن فاتك ، وهو تارة اخرى - المنافق - والمنافق غير المانوي ، بينما هو مرة ثالثة لفظ يطلق على من لا يتم الفروض الدينية المطلوبة منه شرعاً كالصوم والصلاة . . الخ كالمرأة(١) او أن الزنديق هو من يؤمن بكتاب الزند ، وأخيراً هو ساحر قبيح يحاول تهديم اركان الخير والسعادة للإنسان .

ويزيد في تعقيد مفهوم هذه الكلمة ابن قتيبة (٢) . إذ أنه يعتبر الزندقة مذهباً من المذاهب المعروفة عند العرب ، له ما لباقي الأديان من اتباع وشريعة وقوانين ، فيقول ما نصه « كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعه وكانت اليهودية في حمير وبني كنانه وبني الحارث ابن كعب وكندة . وكانت المجوسية في تميم منهم - زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب بن زراره وكان تزوج ابنته ثم ندم ، ومنهم الأقرع بن حابس وكان مجوسياً ، وأبو سود - جد : وكيع بن حسان - كان مجوسياً ، وكانت الزندقة في (قريش) أخذوها من من الحيرة » والحيرة كانت تحت حكم الفرس . فوضع ابن قتيبة الزندقة مع اليهودية والنصرانية والمجوسية ، ولكنه لم يبين حدود الزندقة التي كانت في قريش ، وربما قصد ابن قتيبة

---

(١) بالنسبة لما يعترضها من أمور طبيعية تمنعها من الاستمرار في أداء الفروض الدينية لحين معلوم ، كالطمث والولادة .

(٢) ابن قتيبة – المعارف ص ٦٢١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٠ .

بالزندقة ـ المانوية ـ التي كانت منتشرة في الحيرة والطائح في العراق، ولكن الشيء الذي يدعو الى التفكير في هذا النص هو : لماذا لم يذكر ابن قتيبة اسم ـ المانوية ـ إن كان يقصدها بالزندقة ؟ ولماذا حصر الزندقة بقريش، ويمكننا بالرغم من ذلك ان نستنتج من قول ابن قتيبة أن الزندقة عنده ليست صفة لشيء بل إنها مذهب من المذاهب، واتجاه فكري خاص .

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة (زنديق) :

« زنديق ـ والجمع زنادقة، والمصدر زندقة ـ مصطلح في الجريمة عند فقهاء المسلمين يطلق على الملحد الذي يكون تفسيره لنصوص الشرع خطراً على سلامة الدولة . وجريمة الزندقة تعرض صاحبها للقتل، وذلك عملا بآية ٣٦ ـ سورة المائدة وآية ٤٩ ـ سورة الشعراء وفيها : إن كلمة (زنديق) قد عربت في العراق أخذاً من المصطلحات الايرانية ايام حكم الساسانيين، ولما كانت كلمة (زندقة) ايرانية فإن (صديقي) قد أثبتت أنه يجب التخلي عما يقترحه بيفان من أن الكلمة ترجع الى اصل آرامي (زديق) كما لا بد من نبذ ما يقترحه فولوز من أنها من أصل اغريقي . ولا بد أن تكون كلمة (زنديق) قد عربت بين ظهراني حمراء الموالي في الحيرة والكوفة، وكان هؤلاء الموالي خليطاً من العرب والإيرانيين، والواقع انها ظهرت أول ما ظهرت في العراق سنة (١٢٥ هـ) عند قتل الجعد بن درهم .

والتعريف الرسمي الذي يروى عن الخليفة المهدي لمعنى الزنديق ـ هو، إنه زاهد ثنوي، فهو مسلم يبطن المانوية وفيها، إن المحافظين في مناظراتهم يطلقون اسم الزنديق « المفكر الحر » على من يبدو إنه في اعترافه بالاسلام بلسانه

يعوزه الصدق الكافي ، وهذا التفكير الحر في المتطرف هو الذي كتبه أبو عيسى الوراق ، وابن الراوندي والطبيب الكبير الرازي » .

نرى في تحليل دائرة المعارف الاسلامية لكلمة الزندقة نقطة جديرة بالتأمل وهي : اخراجها من مفهومها الإلحادي الضيق الى مجال السياسية العامة وسلامة نظام الحكم ، إلا أنها لم تأت بشيء جديد ، وأن تأكيدها على الجذر الفارسي للكلمة يعوزه الاسناد اللغوي والتاريخي ، اما نقدها لرأي بيفان حول اصل الكلمة فضعيف ، ونعتها الزنديق - بالفكر الحر - الذي كشفه كراوس غامض ، إذ هو المقصود بالمفكر الحر ؟

يقول بيفان (١) :

إنا نرى في كلام الفهرست والبيروني ان المانوية يطلقون كلمة « السماعين » على من لم يرقوا الى الدرجة العليا من المانوية ولم يلتزموا أن يؤدوا كل الواجبات التي تفرضها الديانة من رهبانية وزهد . . الخ ويقابلهم « الصديقون » وهم الراقون الملتزمون بأداء تلك الواجبات يفضلون الفقر على الغنى ، ويزهدون في العالم وشؤونه ، وكلمة صديق عربية ولها اصل آرامي وهو صديقي (Saddiqai) وقد اخذها الفرس فحوروها الى زنديق فوضعوا (نـد) موضع (dd) كما قالوا شنباذ في سباذ .

إن تفسير بيفان لكلمة (زنديق) هو أقرب التفاسير الى الواقع

---

(١) بيفان – في فجر الاسلام – أحمد أمين ١٣٠/١ وما بعدها ، مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٨ .

وراجع ابن النديم – الفهرست ص ٤٨٢ وما بعدها ، البيروني – الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٠٧ .

التاريخي لها ، لأن كلمة (الصديق) التي حورت الى زنديق كانت تطلق كصفة على طبقة خاصة من طبقات رجال الدين المانوي ، وهم الرهبان والزهاد . وأن اكثر الذين اتهموا بالزندقة، كانوا يميلون الى حياة الزهـد والرهبنة ما عدا بعض الشعراء الذين شعروا باليأس والهجر والعبث، وهؤلاء لا علاقة لهم بالزندقة ، كحركة دينية او فكرية ، الا إن هذه التهمة عممت على كل من يخالف اهل السنة في شيء له علاقة بالدين ومجاله التعبدي او الفكري ، ويؤكد بيفان على أن اصل الكلمة عربي . او بصورة أعم سامي، والواقع إن القواميس السريانية ـ الآرامية تفسر هذه الكلمة تفسيراً ينطبق تمام الإنطباق على مفهومها عنـد المانوية في صفات (الصديقين) تحت مادة (زدق) .

زدق (بضم فسكون) ـ زدق (بضم ففتح) ـ واجب، عادل، يليق،لائق

زدق ـ أقارب .

زدقن ـ عادل .

زدق (بفتح الثلاثة) ـ حق ، واجب ، شريعة ، أمر .

زادق ـ صدق .

زاديق ـ صديق .

زاديقون ـ قداسة ، اخلاص . . . الخ (١) .

وليس بالبعيد أن المانوية ، اخذت هذا الجذر من اللغة الآرامية علماً بأن منشأ ماني والمانوية كان في منطقة بابل (٢) . التي كانت تحت تأثير الفكر السرياني واللغة السريانية مباشرة . ويقول الشيخ السفاربني (٣) :

---

(١) لويس كوستاز ـ قاموس سرياني عربي ص ٨٤ . بيروت ـ المكتبة الشرقية .

(٢) ارثر كريستنس ـ ايران في عهد الساسانيين ص ١٧١ سنة ١٩٥٧ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة .

(٣) السفاريني ـ كتاب لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ١ ٣٣٥ .

والزنادقة ، جمع زنديق ، قال في المطلع ، الزنديق
فارسي معرب ، وجمعه زنادقة ، قال سيبويه : الهاء
في زنادقة بدلا من زناديق ، قال الجوهري : وقد تزندق
والاسم ، الزندقة ، وقال ثعلب ، ليس زنديق ولا
فرزين من كلام العرب إنما يقولون زندق وزندقي
اذا كان شديد البخل وفي القاموس الزندبق بالكسر من
الثنويه او القائل بالنور والظلمة او من لا يؤمن
بالآخرة ، وبالربوبية او من من يبطن الكفر ويظهر
الايمان او معرب «زن دين» اي دين المرأة قال والجمع
زنادقة او زناديق .

نرى في النصوص المذكورة سابقاً ، أن البحث في قومية هذه الكلمة يبدأ من ظهورها في المجال السياسي ، عندما اشتبكت مع الزرادشتية ، الدين الرسمي للدولة الفارسية ، ومع الدين الاسلامي . تاركين الزمن الذي ظهرت فيه ، والموقع الجغرافي ، او الرقعة الجغرافية التي انبثقت منها ولم يذكروا لنا شيئاً عن مجالها اللغوي في اللغة الفارسية واستعمالاتها قبل ظهور ماني ، وحتى بعد ظهوره . فقد حصر استعمالها في الهجوم الديني ضد المانوية في الربوع العربية ، ومنها انتقلت الى اللغة الفارسية اما في هجوم الزرادشتية ضد المانوية ، فلم نعثر على استعمالها في الكتب الفارسية وفي الفترة التي سبقت الهجوم الاسلامي على ماني والمانوية ، أما كلمة (زند) الواردة في نص آدي شير المذكور سابقاً فلا علاقة لها بكلمة (زاديق ، زاديقون ، الصديقون ، الزنادقة) المانوية ، ولا علاقة لهـا كذلك بمفهوم كلمة (الزندقة) العباسي . بينما نرى الى الآن أن (زادق ، زاديق ، زاديقون) كلمات حية وفعالة في اللغة السريانية ، وهذا دليل على أن رأي بيفان هو أقرب الآراء الى الصحة في اصل كلمة الزندقة .

وجاء في رسالة ابن كمال باشا (١) :

لفظ الزنديق فارسي معرب على ما نص عليه أئمة اللغة (٢)، اصله زنده او زندي ، على اختلاف القولين ، والراجح هو الاول ، وأما ما نقله الإمام المطرزي (٣) : في كتاب (المغرب فى ترتيب المعرب) عن ابن دريد (٤) من أن « صلة زنده اي بقول بدوام بقاء الدهر ، فبناه على

---

(١) راجع مجلة كلية الآداب ، العدد الخامس - نيسان ١٩٦٢ م بغداد .

(٢) جاء في حاشية (ص ١) من المقال : ما يأتي : -

جمهرة اللغة	٥٠٤/٣ زندكر
المخصوص	٤٣/١٤ زندكر
لسان العرب	١٢/١٢ زندكر
المزهر	٢٧٨/١ - ٩ زنده كرد
المحيط للصاحب بن عباد	٤٤٠/١ زنده
شفاء الغليل	ص ١١٢ زنده كرد . زند ، زندي ، زن دين ، زنده .
تاج العروس	٣٧٣/٦ زن دين
المعرب	ص ١٦٦ - ٧ زنده كرد ، زينده
منتهى الأرب	٥١٨/١ - ٩ زن دين
مجمع البحرين	ماده (زن دين) زند : زندا . زن دين
القاموس المحيط	٢٤٢/٣ زن دين
أقرب الموارد	٤٧٧/١ زنده
محيط المحيط	٨٨٩/١ زن دين
اللسان	١٠٠٧/١ زن دين

(٣) أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي الحنفي ، توفي سنة ٦١٠ هـ (وفيات الأعيان ١٥١/٢ - ١٥٢)

(٤) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد البصري الأزدي ، توفي سنة ٣٢١ هـ (وفيات الأعيان ٤٩٧/١ - ٥٠٠)

عدم الفرق بين الزنديق والدهري » .

وأما الذي ذهب اليه صاحب القاموس (١) ، من « أنه معرب زن دين فلا وجه له كما لا يخفى ، وزند اسم كتاب أظهره مزدك (٢) رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية في زمن كسري قباذ ، ونسبت الى أصحاب وهم الزنادقة ، وقتله كسرى أنو شروان . وفي (ص ٥٧) من الرسالة المذكورة جاء « وأن كان مع اعترافه بنبوة النبي محمـــد (ص) وإظهاره عقائد الاسلام ، ويبطن عقائد هي كفر بالإتفاق ، خص باسم الزنديق وهو في الأصل منسوب الى زند ، اسم كتاب أظهره مزدك في ايام قباذ ، وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت (٣)، الذي يزعمونه نبيهم » وكذلك جاء في تفصيل الكفار ما يأتي :

الانسان إما معترف نبوة محمد (ص) او ، لا . والثاني إما معترف بالنبوة في الجمـلة وهم اليهود والنصارى وغيرهم - يعني المجوس - فإنهم معترفون بالنبوة ، حيث زعموا أن زرادشت الحكيم نبي - وأما غير معترف بها - أصلا - وهو أما معترف بالقادر الجبار ، وهم البراهمة ، او لا ، وهم الدهرية . ويختصر المشكلة موفق الدين بن قدامة المقدسي بقوله « إظهار الحق واعتقاد خلافه وهو النفاق الذي كان على عهد رسول الله (ص) وتسمي اليوم الزندقة » (٤) .

وإن احمد بن حنبل (ر) يأخذ عليهم ، أنهم يؤولون القرآن تأويلا

---

(١) مجد الدين بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي توفي سنة ٨١٦ هـ (وفيات الأعيان ٤٩٠/١ - ٥٠٠)

(٢) راجع أدي شير المذكور سابقاً .

(٣) زرادشت - راجع كتاب غياث اللغات - غياث الدين ص ٢٥٢ .

(٤) موفق الدين - كتاب تحريم النظر في كتب أهل الكلام ص ٧ ، م/ ليدن .

فاسداً (١) . وتكاد كلمة زندقة عنده ترادف كلمة « بدعة » او « إلحاد » (٢) . وعند الطبري (٣) أن الزنادقة هم أتباع ماني ، وعند الخوارزمي (٤) ، أنهم اتباع مزوك ، المسعودي (٥) يقول : إن الزنادقة هم الثنوية ، والقباني في هامش نشرته لكتاب (فيصل التفرقة للغزالي ص ٣١ / ٣٢) إن كلمة زنديق تطلق على من ينكر وجود الله او على المشرك ، او على من ينكر الحكمة الإلهية أو لا يتدين بدين .

وقد وسع الغزالي ، الفيلسوف الرسمي للخلافة ، نطاق الهجوم على التفكير العلمي ، توسيعاً خطراً بالنسبة لسير الحضارة الإسلامية ، فإنه أخضع نتاج العلماء في الحقول العلمية وإبداعات الشعراء والأدباء والفلاسفة كافة الى مقياس ضيق جداً ، واطلق على كل من لا ينطبق عليه ذلك المقياس - زنديق - فاتسعت دائرة الزنادقة : وأصبحت (مكافحة) كل هؤلاء الناس باسم الزندقة تشكل خطراً جذرياً على تطور الحضارة .

جاء في كتابه المنقذ من الضلال (٦) : ما يأتي :-

إعلم أنهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ، ينقسمون الى ثلاثة أقسام . الدهريون ، والطبيعيون ، والإلهيون . الدهريون ، وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر

---

(١) رجع كتاب شذرات البلاتين - باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن للامام أحمد بن حنبل . القاهرة - ١٩٥٦ .

(٢) دائرة المعارف لاسلامية - ج ١٠ - ع ١٢ - ص ٤٤٥ .

(٣) راجع الطبري - تاريخ الرسل والملوك - حوادث سنة ١٦٧ هـ .

(٤) راجع الخوارزمي - مفاتيح العلوم ص ٢٥ - ٢٦ . القاهرة - ١٣٤٢ هـ .

(٥) راجع المسعودي - مروج الذهب ٢/١٦٧ .

(٦) الغزالي - المنقذ من الضلال ص ١٨ ، وفيصل التفرقة ص ١٣٥ ، وتهافت الفلاسفة ص .

العالم القدير ، وزعموا أن العالم القدير لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان، كذلك كان وكذلك يكون ابداً . وهؤلاء هم لزنادقة.

ثم يقول عن الطبيعيين : وهؤلاء أيضاً زنادقة لأن أصل الإيمان هو الايمـان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وإن آمنوا بالله وصفاته .

ثم يقول بشأن اهل الرياضة والعلوم الهندسية .. والخ ما يأتي :

فكلام الأوائل في الرياضيات برهاني ، وفي الإلهيات تخميني لا يعرف ذلك إلا من جربه وخاض فيه ، فهذا اذا قرر على هذا الذي اتخذ بالتقليد ، لم يقع منه موقع القبول ، بل تحمله غلبة الهوى والشهوة الباطلة ، وحب التكايس على أن يصير على تحسين الظن بهم في العلوم كلها ، فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم ، فإنها وإن لم تتعلق بأمر الدين ، ولكن لما كانت من مبادىء علومهم سرى اليه شرهم وشؤمهم فقل من يخوض فيها إلا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى (١) .

ثم يقول عن الطبيعيين :. الآتي :

إن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ، ظهر عندهم ، الاعتدال المزاج ، تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به فظنوا أن القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضاً ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم ثم اذا انعدمت ، فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا . فذهبوا (الى) أن النفس تحدث ولا تعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار ، (والحشر والنشر)

---

(١) المصدر السابق ص ٢١

والقيامة والحساب ، فلم يبق عندهم للطاعـة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فانحل عنهم اللجام ، وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام (١) .

وهكذا يهاجم الغزالي كل من خرج بتفكيره عن الأسس السلفية الموضوعة ضمن حدود معلومة بل يهاجم ويتهم بالزندقة كل محاولة فردية مستقلة في اي حقل من حقول المعرفة الانسانية . ومن هـذا نستنتج أن الزندقة ليست حركة إلحادية غرضها هدم الأسس الدينية ، بل انها حركة واسعة المجال تشمل سـير الحضارة الاسلامية وتقدمها وإن ما وضعه الغزالي وغيره في تعريف وتحديد الزندقة ، أضاع على الباحثين معرفة التيار المعادي للإسلام فعلا من الناحية الدينية الذي ظهر عنـد بعض الأفراد الحاقدين على الاسلام ديناً وقومياً .

وأما المعري (١) فإن الزندقة عنده هي القول بالدهر، وإنكار النبوات والكتب المنزلة . وتعريف هذا المتهم بها ، هو أدق وأشمل تعريف لجماعة معينة من الزنادقة وهم (الماديون) وهؤلاء هم الزنادقة فعلا ، الذين لا يؤمنون بغير المادة ، ومفاعلاتها رصورها اللامتناهية ، ولا بشيء لا يخضع للبرهان التجريبي المحسوس . قالوا « ليس لأحد أن يثبت لنفسه رباً ، لأن الاثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله وما لا يدرك لا يثبت » (٣) . إن هذه العبارة الجريئة سددت ضربة قوية الى أساس المنطق الديني ، وإن المذهب هو الذي يمثل الزنادقة تمثيلا واقعياً ، وإن المعري قصد بتعريفه للزنادقة اصحاب المذهب بالذات ، لا كما ذهب الغزالي وعمم الزندقة على كل من يعمل في العلوم على اختلاف أنواعها وفروعها .

---

(١) الغزالي ـ المنقذ من الضلال ص ١٩ .

(٢) المعري ـ رسالة الغفران ص ٤٢٩ ، تأليف بنت الشاطيء .

(٣) ابن الجوزي البغدادي ـ نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس ص ٢٠ .

قال النوبختي ، ومن هؤلاء من قال « إن العالم ذوب وسيلان ، قالوا ، ولا يمكن الانسان أن يتفكر في الشيء الواحد مرتين (١) ، لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم، وربما كان احدكم الذي يجيبه الآن غير الذي كلمه (٢) ومن يتدبر هذا القول لا يجد فيـه خروجاً على التفكير الديني بل إنه وجهة نظر علمية بحتة ، يعترف بها اليوم علماء الفيزياء الحديثة .

وقد ظهرت جماعة مادية اخرى وهم الطبائعيون (٣) ، ويقول هؤلاء « ما من شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربعة فيه ، فدل على أنهـا الفاعلة » (٤) . نلمس من هذه الأقوال مدى اندفاع الفكر الاسلامي الى التحرر من المنطق اليقيني الى التفتيش عن براهين ملموسة أرضية لا علاقة لها بالغيب لذلك لجأوا الى الفلسفة اليونانية الوثنية التي كانت تتمتع بنوع من الحرية ، ومن هذه النقطة انطلق الخطر الحقيقي الذي أحدق بالتفكير الاسلامي القائم على ما جاء في القرآن الكريم ، حتى وجد من يصرح « بأن لا صانع للعالم » (٥) .

---

(١) هذا ما جاء به الفيلسوف اليوناني هرقليطس . راجع قصة الفلسفة اليونية ـ أحمد أمين ونجيب محفوظ ص ٥٧ ، وكتاب

E . Zeller - Out lines of the history of Greek philosophy . P . 44 , London 1931 .

(٢) ابن الجوزي البغدادي ـ تلبيس ابليس ص ٤٠ .

(٣) الطبائعيون ـ نسبة الى الطبائع الأربعة ـ التراب ، الماء ، النار ، الهواء .

(٤)هذا رأي الفيلسوف اليوناني امبذقليس ـ ولد في صقلية (حوالي سنة ٤٩٥ ق . م . وتوفي سنة ٤٣٥ ق . م .) وراجع قصة الفلسفة ص ٦٢ وكتاب :
E ؛ Zeller. P؟6;

(٥ ابن الجوزي ـ تلبيس ابليس ص ٤٠ .

وقد زعموا أن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك وأن في كل كوكب عوالم كما في هذا الأرض وانهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع واكثرهم اثبت علة قديمة للعالم ثم قالوا بقدم العالم، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاته ومساويا غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة، والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان (١). وان العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله (٢).

ومن مذاهبهم، إن العالم باق ابداً كما لا بداية لوجوده فلا نهاية له(٣).

هذا وقد أصبح واضحاً، اثر الفلسفة اليونانية القديمة، على التفكير الاسلامي (الخاص) والذي اطلق على أصحابه اسم الزنادقة.

ان ما حفظته لنا الأيام مبعثراً في كتب التراث حول موضوع الزنادقة او التيار الفكري المادي، يكاد يكون عديم النفع للباحث لقلته اولاً ولاختلاطه مع فلسفة اليونان القديمة ثانياً، ولكن بالرغم من هذا يتمكن الباحث من أن يرسم خطاً عريضاً يوضح فيه اتجاههم وطريقة تفكيرهم، وفهمهم لعلاقات الطبيعة بالانسان، وطبيعة الخلق وسير العالم وقواه الداخلية والخارجية، ثم ان الأشياء المتبقية عن هؤلاء الزنادقة تكاد تكون محصورة في الاطار الديني فقط، أما رأيهم في الروابط الاجتماعية او السياسية، فلا أثر لها وسبب ذلك إن منهج البحث عند مؤرخي الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى كان منهجاً عمودياً فردياً بالرغم من التيار الفكري الذي برز في الدين الاسلامي كمحاولة جديدة لبحث قضايا

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق ص ٤٥، وراجع فلسفة امبذوقليس وديمقريطس ـ قصة الفلسفة اليونانية ص ٤٤.

(٣) المصدر السابق ص ٤٤.

الانسان كمخلوق اجتماعي يحتاج الى تنظيم في جميع فعالياته الحياتية ، ولكن ذلك التنظيم فهم على أنه صورة متكاملة استنفدت قابلية الامتداد والتوسع ولا مجال لتوسع جديد آخر ، وكل محاولة لتطوير ذلك التنظيم يعتبر خروجاً من النطاق الفكري الاسلامي جملة ، وعلى ذلك احتسبت كل محاولة فردية لإصلاح عوج في المجتمع او النفس ، أو لتفسير ظاهرة من ظواهر حياة الانسان الفرد او المجتمع ، بدعة ، والبدعة حرام . ولذا لم نجد في كتب التراث الاسلامي محاولات فردية انسانية تهتم بالانسان الاعتيادي ككائن حضاري ، وتكاد تكون الروح البدوية هي المنتصرة والمتميزة في كتبنا القديمة والمتمثلة بالروح والنهج الارستقراطيين البارزين في التآليف التي لا تعد ولا تحصى في سير الأعلام والنبلاء وأكابر الأثرياء والقواد والخلفاء ... الخ وكتب الحسب والنسب والمناقب ، بالرغم من تأكيد القرآن الكريم على أهمية الانسان في مجالات عديدة وواسعة ، وقد انعكست تلك الروح او انعكس ذلك النهج فى الكتابة عن اشياء يمكن أن نطلق عليها ، موضوعات شعبية كأخبار المغفلين والبخلاء وأصحاب الحرف والمعلمين، وبنفس الاتجاه كتب الأوائل عن الثورات الاجتماعية والفكرية ، فكل الحركات التي كانت موجهة ضد السلطة او ضد وضع فكري خاص ، يطلق عليها ـ زندقة ـ ، وإن بحثوا في مثل هذه الأمور لم يهتموا بطبيعة الحركة او البدعة ومقولاتها او هدفها، بل كانوا يدرسونها ليفتشوا عن الأشياء التي لا تنطبق او لا تتفق مع القواعد الفكرية السلفية القديمة ، فتنحصر البحوث في حدود شرعيتها الدينية ، كما حدث في بحث الزندقة ، إذ تركوا كل مصاحباتها وجذورها الفكرية وغايتها السياسية او الفلسفية وطرحوا بدلا من ذلك كله مسألة دينية ضيقة ـ هل الزنديق كافر ؟ أم منافق ؟ وما عقاب الزنديق ؟ وهل يستتاب الزنديق ؟ (١) . الخ .

---

(١) راجع مقالة مجلة كلية الآداب المذكورة سابقاً .

ثم إننا لم نعثر على صورة واضحة او نص كامل لمناظرات ومناقشات او محاكمات هؤلاء الزنادقة كاملة ، ولم نهتد الى طرق تفكيرهم بشكل متكامل فيما تركه لنا الأوائل ، علماً بأن ذلك التيار الفكري المحرم كان له أثر فعال في كثير من الفرق الكلامية والدينية التي ظهرت في العصر الأموي والعصور العباسية .

وحتى في الرد على اصحاب البدع الكفرة لا نجد غير النقد لهم إلا فيما ندري ككتاب الخياط (١) في الرد على ابن الراوندي، وفي المجالس المؤيدية (٢)، وفي كتاب نقد العلم والعلماء (٣) وبعض الكتب والرسائل القليلة النادرة .

وقد أنكر الإمام احمد بن حنبل على الحارث المحاسبي رحمهما الله تصنيفه في الرد على المعتزلة ! فقال الحارث : الرد على البدعة فرض فقال أحمد : نعم ، ولكن حكيت شبهتهم اولاً ثم اجبت عنها فبم تأمن أن يطالع الشبه من يعلق ذلك تفهمه ، ولايلتفت الى الجواب ، او ينظر في الجواب ولا يفهم كنهه » (٤) .

أما رد الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ على اهل الكلام فكان رداً جامعاً مانعاً بقوله « حكمي في اهل الكلام ، أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » (٥) ، ولكن « التطور الفكري كان يجب أن يذهب الى مداه رغم العقبات السياسية والدينية والأحداث التاريخية التي كانت تقف

---

(١) الخياط ـ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد .

(٢) راجع كتاب من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) ابن الجوزي البغدادي ـ نقد العلم والعلماء ص ٢٠ وما بعدها .

(٤) الغزالي ـ المنقذ من الضلال ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٩ .

(٥) ابن تيمية ـ الرسالة التدمرية ص ١٦٣ .

بالمرصاد لأي انحراف عن مذاهب اهل السنة » (١) . الا أن تلك العقبات في العصور العباسية كانت قوية، وتمكنت ان تقف بوجه التيارات المعارضة، مما ادى الى ظهور الفرق السياسية والدينية وحتى الفقهية بأعداد كثيرة .

ومن استقراء هذه الشذرات المبعثرة عن الزنادقة يتمكن الباحث من معرفة محاولاتهم الفكرية لفهم ظواهر الكون . وبذلك يمكننا ان نرسم خطاً عريضاً موازياً لخط العلوم السلفية ، وبغير هذا لا يمكن فهم الحضارة الاسلامية فهماً حركياً متعلقاً بتطور الانسان ، وكذلك « لا يمكننا أن ندرك التطور الروحي في بلاد الاسلام والحياة العقلية عامة على حقيقتها الا اذا نظرنا الى حركة الزندقة بحسبانها عاملا من اخطر العوامل التي لعبت دورها في ذلك التطور وتلك الحياة فسيرت الأول في اتجاه معين، وحددت له خطوطاً رئيسية مشى عليها ، وكيفت الثانية تكييفاً محدداً وصبغتها بصبغة خاصة لم تبهت على مر الزمان (٢) . ذلك لأن النهضة العميقة والواسعة التي حدثت في العصر العباسي ما هي إلا رد فعل للعلوم الدخيلة وعلى الأخص عندما دخلت الفلسفة في نطاق التفكير الاسلامي ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى ، كرد فعل لما أثارته الفلسفة اليونانية والأديان الشرقية ، في نفوس بعض المسلين من ثورة فكرية على قضايا كانت من الامور المسلم بها إما إيماناً بها كحقيقة لاهوتية او انها لا تقبل المناقشة والجدل ؛ لأنها حقيقة واضحة كالبديهيات لتعلقها بالمطلق كذلك ، وكانت الزندقة تمثل إعصار الفلسفة اليونانية الذي هب يهدد المقولات الاسلامية المستقرة .

وأما ما جاء به ابن النديم (٣) ، الذي اهتم بأمر الزنادقة فلا جديد فيه ، وذلك أنه لم يتمكن من التخلص والابتعاد عن التفكير العمودي ،

---

(١) محمد علي أبو ريان ـ أصول الفلسفة الأشراقية س ٥ . القاهرة ١٩٥٩ .

(٢) بدوي ـ من تاريخ الالحاد في الاسلام س ٢٤ .

(٣) ابن النديم الفرست س ٤٨٧ .

وعلى هذا فقد قسمهم الى طوائف ثلاث :

١ ـ رؤساء المنانيه في الاسلام .

٢ ـ طائفة المتكلمين .

٣ ـ طائفة الأدباء من كتاب وشعراء .

ثم يعدد اسماء كل طائفة حسب الأهمية التي حددها ابن النديم نفسه ، وبدون اي شيء آخر ، ويضيف بدوي ، الى ذلك التقسيم العمودي ، أسباباً ثلاثة لظهور الزندقة (١) : ـ

١ ـ فمن هؤلاء الزنادقة ، من كانوا يؤمنون بالزندقة (اي المانوية) إيماناً صحيحاً صادراً عن رغبة دينية صادقة ، فكانوا مخلصين في اتخاذها مذهباً ، حريصين عليها كأشد ما يكون الحرص .

إن كان حال هذه الطائفة من الزنادقة كما يه فهما بدوي ، فلماذا ؟ نطلق عليهم اسم الزنادقة ، انهم أتباع ماني ، كباقي الطوائف الذين يتبعون مثلا بوذا او غيره ، فإن هؤلاء بنظر المسلمين ، كفار وكفى .

٢ ـ ومنهم من وجد في الزندقة (المانوية ايضاً) تراثا قومياً خلفه الآباء فيجب الحرص عليه وتعهده ، لا لصلاحيته في ذاته ، ولا لأنه يستحق الإيمان به كما هو وانما لأن في هذا الحرص وذلك التعهد نوعاً من الارضاء للنعرة القومية والاتباع للنزعة الشعوبية وفيها أيضاً موضعاً للتفاخر ومجالاً لكي يقارنوا تراث العرب ودين العرب بما خلفه لهم الآباء من تراث ودين ومن أجل هذا كان جميع هؤلاء من الموالي الفرس .

أما هذا السبب فضعيف من الناحيتين المنطقية والتاريخية ؛ لتناقضه مع ذاته ، فكيف يمكن للفرد أن يحتفظ بشيء رديء وغير صالح ولا يستحق الايمان به ، ثم يحرص عليه هذا الحرص الشديد للتفاخر به والاستعلاء على آخر انضج منه وأهميته بالنسبة للإنسان واضحة وعملية ، كمن يتفاخر

(١) بدوي - من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٣٤ .

بالحنظل على البرتقال ، لماذا لم تكن الزرادشتية بدلا من المانوية ،علماً بأنها اكثر جذباً للفرس من المانوية المتشائمة المتقشفة التي تدعو الى التعجيل في فناء العالم ، ثم إن دين الامبراطورية الفارسية التي دك حصونها العرب كان زرادشتياً لا مانوياً ، وكان زارا رمز القومية الفارسية لا ماني النبي المشرد بل إن المانوي زنديق بنظر الزرادشتي .

٣ ـ وطائفة من الزنادقة ، كانت تتخذ من الزندقة وسيلة من وسائل العبث الفكري التي يلجأ اليها الشكاك دائماً ، ويرومون من ورائها أن يعبثوا بعقائد الناس وكل هذا لا لشيء إلا ليجدوا السلوى حيث لا سلوى ، ويعثروا على العزاء وليس ثم عزاء فهي حالة نفسية عنيفة تتحكم فتدفعهم الى ما هو أشبه باللهو الفكري والمجون الشكي منـه الى اي شيء آخر ، ثم يضيف بدوي الى هذا التصنيف الثلاثي ، صنفاً آخر بقوله « ويضاف الى هؤلاء جميعاً صالح بن عبد القدوس » (١) . اي إن هـذا الشاعر الحكيم موجود في جميع هذه الأصناف ، ثم يقول ايضاً « نحن نرجح إذاً أن تكون الزندقة التي عناها المهدي والهادي في هـذه الاضطهادات التي قاما بها سنة ١٥٣ هـ وسنة ١٧٠ هـ هي المانوية ، ولكن هذا لا يمنعنا ان نقول كذلك إن معنى الزندقة قد اتسع وامتد حتى أصبح يشمل اشياء اخرى لم يكن للمانوية بها صلة ولا سبب » (٢) .

فإن كانت الزندقة في هذه الطائفة منهم على هذا المنحى الفردي والذي اساسه إحساس بالضيق والهجر الفكريين ، ونفسية قلقة غير متزنة ، فليس يحتاج كبحها هذا المخطط الواسع الدقيق الذي وضعته السلطة ، علماً بأن هذه الصفة ـ الشك والثورة ـ هي من مميزات عصر المهدي وما بعده ، وإن آثار تلك الثورة الفكرية استمر بعد قطع رؤوس الزنادقة وبعـد انتهاء ايام

---

(١) بدوي ـ مصدر سابق ص ٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣ .

المهدي والهادي ، ويمكننا القول بأنها استمرت بعد سقوط بغداد سياسياً ، سائرة مع تاريخ العرب الحضاري . وإن هذا التمرد النفسي لا طاقة له على العبث بعقائد الناس ، لأن العقائد اقوى بكثير من التمرد الفردي ، ثم إن المانوية كدين او كفلسفة او كنهج صوفي ليست لهـا تلك المقدرة الفعالة بحيث تخلق جيلا له القوة الكامنة لمحاربة الأفكار الاسلامية التي يسندها كتاب سماوي وقوة عسكرية منظمة ، فإنها من حيث هي ـ دين ـ بدائية وسطحية ومملوءة بالخرافات والفروض ، وتتلاقى في كثير من النقاط مع أديان قديمة بائدة (١) . وإنها كفلسفة ، بعيدة عن هذا المجال ، وقد تسامح المشرع الاسلامي واعتبر المجوس (ككل) من اهل الذمة ، وأصحاب شبه كتاب (٢)، ولو أن المقصود بذلك كان اصحاب زرادشت بالدرجة الأولى .

أما تقسيم صاحب الفهرست الزنادقة الى ثلاثة اصناف ، فإن شأنه كشأن المصنفين والكتاب القدامى، الذين عنوا بالكتابة عنهم او الرد عليهم، فكلهم جردوا حركة الزندقة من صفاتها التاريخية باعتبارها هدامة شيطانية لا علاقة لها بالتطور الفكري ، والتعقيد الحضاري ، والتغيير الاقتصادي ، والتصير الاجتماعي ، وهذا ما نجده اليوم تقريباً عند المفكرين المعاصرين ، اذ يرونها حركة فردية طارئة ، تارة يغذيها التعصب الديني او القومي ، وأخرى اوجدها العبث الاجتماعي المقصود وغير المقصود ، او الضياع الذاتي والشعور بالهجر وعبثية الحياة ، او يتخيلونها صورة ـ للشك ـ الذي يتكون بسبب الإنحباس الروحي عند بعض الأدباء والشعراء ، الذين

---

(١) راجع كريستنس ـ ايران في عهد الساسانيين ص ١٦٥ ـ ١٦٩ ، وراجع يوحنا قمير ـ أصول الفلسفة العربية ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) ابن قيم الجوزية ـ أحكام أهل الذمة ٩١/١ ، وراجع يوحنا قمير ـ أصول الفلسفة العربية ص ١١ ص ص ٢٦ [اعتبر المسلمون زرادشت نبي المجوس ، وكتابه الأفستاشية كتاب] .

استولى عليهم اليأس من الحياة ومن اصلاح مفاسدها الاجتماعية ، فهاموا يسفهون معتقدات الناس ويعبثون بالقيم الروحية والدينية والاجتماعية ، بصورة فردية غير موجهة ولا مقصودة ، فهو العبث ، ما دامت الحياة كلها عبثاً .

إن كانت الزندقة هي العبث ، فأين العبث في تفكير ابن الراوندي الرأس الناضج في الزندقة او اين نضع رأس ابي العلاء المعري ذلك - الزنديق - الذكي ، وابن المقفع الزنديق المثقف والعبقري البارع ، والجاحظ ذلك - السفسطائي - صاحب اخطر منهج فكري في القرنين الثاني والثالث للهجرة، في زعزعته الأفكار اليقينة، وتهديم الحقائق التاريخية والاجتماعية الثابتة .

إن الزندقة ، كأي حركة اجتماعية لها أسبابها ومقولاتها وأهدافها ، وكأي حركة لها صلة بنشاط الانسان الفكري فلا بد لها من اسباب تاريخية وحضارية يمكن حصرها في اساسين رئيسيين هما :

١ - الأساس السياسي الثوري .

٢ - الاساس الفكري الفلسفي .

الأساس السياسي الثوري :

لماذا لم تظهر حركة الزندقة في عصر الراشدين ؟ بمفهومها العباسي ! علماً بأن الزندقة كانت في قريش قبل الاسلام (١) ، وعصر الراشدين اقرب الى زمن المجوس من عصر بني العباس، وكان الناس من غير (قريش) على دين غير دين الاسلام كذلك ، فدخلوا فيه مع ما هم فيه ، من أفكار وطقوس وعبادات لما تزل حية وفعالة . ولماذا ظهرت « طلائع الزندقة في عصر عبد الملك بن مروان »(٢) . وأصبحت ظاهرة اجتماعية ، اعتبرتها السلطة خطرة ؟ .

---

(١) ابن قتيبة - المعارف ص ٦٢١ ، والمحبر ص ١٦١ .

(٢) الدوري - مقدمة فى تاريخ الاسلام ص - ٧٤ ، م الكاثوليكية ١٩٦٠ .

السبب في وجود هذه الظاهرة هو التطور الذي حصل في نظام الحكم ، وحياة الناس ، تبعاً لتطور الحضارة ، فكانت النتيجة ابتعاد الحكم عن اساسيات الدين الاسلامي ، وتحضر البدو مادة الجيوش الاسلامية الفاتحة ـ وتحول « أشراف القبائل الى ارستقراطية حضرية مالكة » (١) ، ثم حدوث التناقض الاجتماعي بين تحضر الناس وهذا التحول الذي حصل عند أشراف القبائل لأنهم « بقوا في نظرتهم الاجتماعية يحتقرون المهن وينظرون الى المسلمين من غير العرب نظرة تنطوي على عـدم المساواة ، وكان عامة اهل المهن من الموالي، وهؤلاء كثروا في المدن وأثروا في تطورها الحضري وصاروا مصدر قلق فيها » (٢) . وكان موقف الفقهاء والأتقياء بجانب هؤلاء (المحطرين) وضد السلطة بعد أن « حددوا موقفهم من الوضع القائم على أسس من التقوى والمثل الاسلامية ووقفوا يسندون كل حركة معارضة باسم العدالة والمساواة ، وكان دورهم كبيراً في تشجيع الموالي وتنشيط مقاومتهم ، وكان تأثيرهم واضحاً في صفوف عامة الناس » (٣). ولكن ليس كل الفقهاء وقفوا مع تلك الحركات وضد السلطة بل إن هناك كثيراً منهم ساندوا السلطة حتى بوضع الأحاديث والكذب على رسـول الله (ص) ، ثم نرى أن العباسيين قـد اعتمدوا اعتماداً كبيراً على الموالي (الفرس) في قلب نظام الحـكم عن طريق الثورة وانتزاع السلطة من ـ الارستقراطية العربية ـ والتي كان حكمها « فترة ظلم طغيان من جانب الحكام العرب (الأمويين) على رعاياهم من عير العرب ، وبخاصة على الموالي ، وهم الذين اعتنقوا الاسلام من أبناء الأقاليم المفتوحة ، ولم يكن هؤلاء معاملين معاملة المساوين للعرب ، كما تقرر مبادىء الاسلام ، ولكنهم

---

(١) المصدر السابق ص ٨٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٥ .

كانوا يعاملون معاملة القطين » (١) وإن ذلك الاعتماد من جانب العباسيين على الموالي كان أساس حركتهم السياسية ضد الأمويين ، فكان الموالي يقاتلون « تحت ألوية عربية لأهداف دعا اليها العرب » (٢) ، مستمدة من كتاب الله ، وبعد أن اضمحلت قوى الحزب الأموي وتفتت ، تحولت حركة الموالي الثورية الى « شعوبية وزندقة تتمركز في العراق » (٣) لا غير وإن هذه الزندقة « لم تكن إلا نشاطاً مركزاً للمانوية أرادت تحت ستار اسلامي شفاف وبطريق التأويل وبالتشكيك بالقيم والعقيدة أرادت تهديم الكيان القائم والسلطان العربي بنسف الاسلام » (٤) . لماذا كان الموالي يقاومون بالدم الحزب الأموي جنباً الى جنب مع العرب وتحت الراية التي رفعها العرب (الحكم لآل البيت) وشعارات اسلامية أخرى مستمدة من القرآن ؟ . وبعد سقوط الحزب الاموي سياسياً ، وظهور الحزب العباسي على مسرح السياسة ، أصبحت تلك المقاومة الثورية حركة خارجة عن الإطار الاسلامي والدين الاسلامي ؟ وحتى (جب) في كتابه دراسات في حضارة الاسلام (٥) ، يمر بظهور حركة الزندقة مراً سطحياً ، ويربطها بالبناء الفوقي للمجتمع العباسي في القرن الثاني للهجرة ، ولم يحاول توضيح جذور تلك الحركة الخطرة ، وأسبابها التاريخية ، والاقتصادية .

إن الاعتماد في كتابة التاريخ على النصوص فقط لا بد أن تكون النتيجة المستخلصة منه الى حد ما بعيدة عن الواقع التاريخي لأمور عديدة ، ثم إن للنص روحاً ، وتلك الروح هي ذاتية الكاتب والظرف السياسي الذي كان

---

(١) دي‌لاس أوليري الفكري العربي ومكانه في التاريخ ص ١٠٥ .

(٢) الدوري ـ المصدر السابق ص ٩٣

(٣) الدوري المصدر السابق ص ٩٣ .

(٤) الدوري - المصدر السابق ص ٩٣ .

(٥) جب ـ دراسات في حضارة الاسلام ص ٩٢ .

محيطاً به ، يجب استقراء باطن النص ودراسته في ضوء آخر ، ضوء تاريخي مقارن ، ولو أن هذا الضوء تشوبه كثير من الظلمة او الغبش ، عسى أن يتمكن الباحث من ابعاد روحية النص التي فرضتها ظروف خاصة ، علماً بأن كثيراً من النصوص في تاريخنا وضعت لغاية آنية غير الغاية التاريخية الواقعية . وإلا لماذا تحولت حركة الموالي الثورية الى حركة هدامة ؟ الى زندقة ؟ بعد ذلك الاندماج الفكري والسياسي والديني الذي حصل بين الموالي والعرب والذي كان نتيجة تاريخية ومنطقية بالنسبة للسياسة التي قام عليها الحزب الأموي (١) المخالفة للأصول التي بشر بها الدين الاسلامي ، والتي ساندها الفقهاء ، والمخالفة لكثير من القيم السلفية (٢)، تلك القيم التي لها الاثر الكبير على نفوس المسلمين من غير العرب .

يقول الدوري أما « العامة ، من موالي وذميين فإنهم وقفوا ضد الكيان القائم الذى لم يغير وضعهم بصورة جذرية ، وساهموا في الحركات الثورية » (٣) ، وذلك لأن التمييز العنصري والاستعلاء القومي الذي كبحه الدين الاسلامي بمثله الانسانية العليا ، عاد مرة أخرى الى الحياة العقلية بعد الفتح واستقرار الجيوش الفاتحة في الأمصار بصورة اعمق وأكثر تنظيما وقد وصل هذا الاستعلاء الى درجة أنهم لم يسمحوا لغير العرب إلا بالاشتغال « بالحرف والأمور الكتابية ، والمهم أن لا يشاركوا العرب في العطاء ، وهو حقهم ، وأن لا يولوا وظائف عامة تؤدي الى التسلط عليهم كالقيادة والقضاء كما لم يروا تزويج بناتهم منهم ولم يرتضوه » (٤) .

إن ظهور هذه الحركة المعاكسة للتعاليم الاسلامية في الحياة الاجتماعية

---

(١) راجع بندلي جوزي ـ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ١/٤٠ ـ ٤٧ .

(٢) راجع ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة ١/ ٢٠٩ (موقعة الحرة)

(٣) الدوري ـ المصدر السابق ص ٨٨ .

(٤) الدوري ـ المصدر السابق ص ٨٧ .

والعدل الاجتماعي والاقتصادي ، كانت السبب الاساس في ظهور حركة سياسية معارضة بين صفوف المسلمين من غير العرب لتلك الحركة، عرفت عرفت « باسم الشعوبية » وهم اهل التسوية على اساس البحث عن حياة أفضل (١) . وكان لا بد لهذه الحركة من تنظيم نفسها ، ولا يتم هذا التنظيم بدون منهج فكري يستند على قواعد واضحة في السياسة والدين (٢) لتتمكن تلك الحركة من الوقوف امام نقيضها .

وإن توفرف النقائض يحتدم الصراع، وكانت تلك النقائض من جانب العرب المحافظين (زندقة) ثم شملت تلك الزندقة جوانب فكرية وثورية عديدة ، ووجد في تاريخنا من يتهم صحابياً زاهداً كبيراً طيب السيرة والنفس كأبي ذر الغفاري (ص) ويعزو ثورته المالية الى « مزدكية العراق او اليمن» وقد اعتنقها أبو ذر حسن النية في اعتقادها وصبغها بصبغة الزهد التي كانت تجنح اليها نفسه » (٣) وكان الأجدر بالخليفة عثمان (ص) ان يوجه مثل هذا الاتهام اليه ، لمعرفته بمذاهب الفرس، ولقرب قريش بعهدها،وكما سكتت الارستقراطية العربية آنذاك عن هـذا الاتهام الخطير ، علماً بأنها كانت تفتش عن ثلم بسيط تهاجم منه .

ومن تراكم الحوادث التاريخية ، منذ أن سيطر الحزب الأموي على الحكم حتى عهد عبد الملك بن مران ، تبلورت حركة المقاومة الفكرية والعسكرية، ثم تفتحت وامتدت في العصر العباسي الأول، عصر قوة الخلافة ، وتماسك المجتمع الاسلامي في الظاهر على الأقل ، وبعـــد التجارب التاريخية التي خاضها الموالي مع العرب وضد العرب . ويقول أبو زهرة « إنه في آخر

---

(١) عبد المنعم ماجد ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ص ١٨ ، وانظر حاشية رقم «٢» من الصفحة .

(٢) راجع الفصل الأول من هذا الكتاب .

(٣) أحمد أمين فجر الاسلام ١٣٢/١ ، مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٢٨ .

العصر الأموي وصدر الدولة العباسية كثر الزنادقة واندس بين المسلمين من كانوا يحملون في قلوبهم بقايا الديانات الفارسية وغيرها ومعها أحقاد على المسلمين وكانوا تارة يكشفون القناع وأحياناً كثيرة ينفثون تعاليمهم مستترين بلباس الاسلام متسربلين بسرباله ليدسوا السم من غير أن يشعر بهم احـد فلا يحترس منهم » (١) . إن ظهور الزنادقة على هذا المنحى الغامض وهذا الاتجاه العاطفي يشبه كثيراً قصة ظهور المدعو عبد الله بن سبأ، ونشاطه الديني التخريبي والسياسي الهدام ، بينما ظهور حركة الزندقة كان له ما يبرره حسب ما بينـا سابقـاً . وملخصه بعـد أن تخلص الشعب الفارسي من نظم الامبراطورية الفارسية والتمايز الطبقي الذي كان أساسها ، بسيوف العرب الماهرة وبمبادئهم الاجتماعية والاقتصادية السامية، وبدينهم السمح الرائع تباشر الفرس (بالخلاص) من عذابهم واستعبادهم، وبعد أن صدموا بسياسة العرب التعسفية بالنسبة لهـم ، تكونت المعارضة فكرية تارة وأخرى بالخروج على السلطة ، فكانت جميع تلك المعارضات والحركات الثورية وغيرها يطلق عليها اسم الزندقة وقد عمم هذا المصطلح على كل معارض من العرب او من غير العرب هـذا هو الأساس السياسي والاجتماعي لظهور تلك الحركة التاريخية الخطيرة ، وهذا هو النوع الأول من الزندقة ، اي (الزندقة السياسية) .

الاساس الفلسفي :ـ

إن هذا الأساس ، لحركة الزندقة ، في مجالها الفكري ، لا يمكن بحثه في نقطة صغيرة او في جزء من عمل يعتبره الباحث دليلا لغاية خاصة ، لشدة تعقيد جذوره ، وعمقها وتشعب دروبه الكثيرة ، ومسالكه الملتوية ، حتى اذا استطاع الباحث فكاكاً من أحدها وقع في آخر أشد إيغالاً في الإلتواء

(١) محمد أبو زهرة ـ تاريخ المذاهب الاسلامية ١٦٧/١ .

والغموض ، وذلك لاختلاط الزندقة السياسية بالزندقة الاجتماعية والدينية او لاختلاط كل ذلك في التفكير السلفي ، الذي نشأ خارج حدود جزيرة العرب ، ارض العراق وفارس والشام ، التي كانت تتمتع بقسط وافر من الحضارة النامية والعلوم المتعددة الناضجة، وكانت « شروط الفتح الاسلامي تسمح ببقاء تلك الحضارات عند طوائف كبيرة من الاهالي الذين واصلوا التمتع بعاداتهم وقوانينهم ولغاتهم » (١) فعملية الامتزاج الفكري مع المقولات الفارسية والفلسفة اليونانية ، أنتجت هذا النمط من التفكير الذي اطلقت عليه فئة متزمتة كانت تتمتع بسلطان مسيطر اسم - الزندقة .

تأثير الثقافة الفارسية :

كان تأثير الثقافة الفارسية، المباشر في الحياة الاجتماعية، والفنية، ونظام الحكم ، والشؤون الإدارية والادب والغناء والموسيقى ، خاصة عندما ارتقى بعض الفرس الى المناصب العالية والحساسة في الدولة ، وأما تأثيرها الديني او الفلسفي ، فكان تأثيراً بسيطاً يكاد لا يذكر وعلى الاخص في الجانب الفلسفي (المادي) الذي هو مدار البحث . ولا مبرر للمبالغات التي يذكرها بعض المستشرقين او الكتاب العرب ، من تأثير الفكر الفارسي في الفكر العربي وعلى الاخص في موضوع تطور الفكر العربي الفلسفي او الديني، وذلك لأن الاديان الفارسية القديمة، من زرادشتية الى مانوية او مزدكية، لا تختلف عن جميع الاديان غير السماوية في فرضياتها وغيبياتها وخرافاتها .

أما المانوية (٢) : التي يتهم بها جميع زنادقة البصرة والعراق بصورة

(١) الدوميلي - العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ص ١٢٣ ، وراجع لحاجري - الجاحظ ص ٥٩ ، وكتاب الانتصار ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) راجع قبر - أصول الفلسفة العربية ص ٤ وما بعدها ، الشهرستاني - الملل والنحل ١/٢٤٤ وما بعدها ، وابن النديم الفهرست ص ٤٧٠ وما بعدها ، والبيروني - الآثار الباقية ص ٢٠٧ وما بعدها، وآرثر كريستنس ايران في عهد الساسانيين -

عامة ، فإنها تهمة سياسية محضة ، او تهمة دينية وجهت الى الشيعة بالذات لأن المصادفات التاريخية « حملت البلدان ، التي رجحت فيها كفة الشيعة ، او الفرق المتولدة منهم ، او التي كان لهم بها على الأقل أثر ملحوظ ، على إتباع عقلية اكثر تسامحاً وحرية ، على الأقل في عصر الاسلام المجيد » . وذلك لأن المانوية ، ديانة ساذجة ، مملوءة بالخرافات ولا طاقة لها مطلقاً على تكوين رأي ديني او فلسفي يساعدها على الوقوف أمام - حركية - الدين الاسلامي العامة ، المملوءة بالتفاؤل والخير والحث على الخلق والإبداع في كل مجالات نشاط الانسان الحياتية وأما حركات الموالي ، فكانت حركات سياسية واقتصادية كما رأينا في العامل الأول لحركة الزندقة .

تأثير الثقافة الهندية :

« اهتم العرب بحساب الهند ، ونجومهم ، وطبهم ، أكثر ممـا اهتموا بحكمتهم على أن العرب ما أهملوا هذه الحكمة كل الإهمال ، ولا هم جهلوها كل الجهل » (١) . هذا هو واقع الحال ، بالنسبة لتأثير الفكر الهندي في الفكر العربي ، لأن الثقافة الهندية شأنها شأن الثقافة الفارسية في تأثيرها الفلسفي والديني او في تكوين نظرة مادية الى الكون كما ظهرت عنـد الزنادقة الحقيقيين ، إلا أن بعض المسلمين تأثروا بالنزعة الروحية الهندية السلبية ، وعلى الاخص المتصوفة منهم ، و ذلك التأثير سـلوكي ، تأملي لا عقائدي تعبدي للبعد الشاسع بين رأي الهنود بالوحي والأنبياء ، ورأى المسلمين، وللفارق الكبير بين مميزات المجتمع العربي وبيئته الطبيعية، وصفات المجتمع الهندي وبيئته الطبيعية . ولعل هذا هو معنى قول - سيدني - في كتابه

ص ١٦٩ وما بعدها ، وعبد الله رازي - تاريخ ايران ص ١٢٤ وما بعدها ، طهران ١٣١٧ هـ (فارس)

(١) القفطي في كتاب أصول الفلسفة العربية ص ٤٤ .

« الديانات الحية » . « إن الهندوكية (١) لا يميزها ما يميز الاسلام والمسيحية حتى أنها كثيراً ما تنقصها الشرائع ولكن لهم آراء نظرية يضعها كثير من الباحثين إزاء فلسفة اليونان ويطلقون عليها اسم الإلهيات، وإن كان غيرهم يرى أنها ترضى الخيال قبل ان ترضي العقل » (٢) . لذلك لا وجود لتأثير تأملات الهنود ، ومقولاتهم الإلهية ، في التفكير الاسلامي ، وعلى الاخص في منهج الزنادقة الفكري .

أثر الثقافة اليونانية :

إن تأثير اليونان على العقلية العربية من الامور الواضحة ، في مجالات كثيرة ، والتأثير هـذا كان منصباً من مصدرين رئيسيين ، المصدر الاول الفلسفة اليونانية القديمة (٣) ،والتي يمثلها ـ طاليس، هرقليطس، أمبدقليس ، أناكسجوراس ، والسوفسطائيون ـ والمصدر الثاني ، الفلسفة الافلاطونية الحديثة، والأول ، هو الذي كان له الاثر الكبير في تغذية الزنادقة الاصليين بالآراء المادية البعيدة عن التفكير الديني ، وهؤلاء هم ـ الدهريون ـ « إن هذه الطائفة تقابل ما يسمى بالماديين، فالمادة عندهم مبدأ كل شيء ومنتهاه، والعالم عندهم قديم خالد (لا يزال) ليس له علة خارجية ولا قيوم يقوم عليه من دونه ، لا يؤمنون بشيء مما وراء المادة وليس للمعرفة عندهم علة إلا المشاهدة فلا يقرون كما يقول الجاحظ ـ إلا بالعيان وما يجري مجرى العيان ـ فالأديان عندهم باطلة ، وجميع ما وراء المادة خرافة وجملة القول أنهم صرفوا عن انفسهم كل ما يتصل بالطـابع الباطني » (٤) . ويمكننا

(1) S. E. Frost. The Sacred Writings of the world's Great Religions. P. 1 sq.

(٢) كمال أحمد زكي ـ الحياة الأدبية ص ١٢٤ .

(٣) راجع يوسف كرم ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٢ وما بعدها .

(٤) الحاجري ـ الجاحظ ٦٠ .

القول بأن هؤلاء يمثلون الفلسفة اليونانية وطرائق بحثها في الوجود ، بكل وضوح . أما المصدر الثاني ، الذي اختلط بالتفكير الروحي عن طريق المسيحية او الآراء الشرقية الدينية، فكان أثره عند كثير من الفرق الاسلامية الروحية او المدرحية، وكان ذلك التأثير عميقاً جداً، وقد ظهر في مقولاتهم ومناهجهم وفلسفتهم الدينية .

وعلى هذا فقد اتضح أن الزندقة تيار فكري محض أحدثه التطور التاريخي للحضارة الاسلامية ، وقد اقترن وجودها « بالبحث العلمي والجدل الفلسفي حول قضايا الدين ومسائله الاساسية على نحو ما كان يبحث فلاسفة اليونان من أمثال سقراط وإفلاطون وأرسطو في مسائل العرض الجوهر ـ المادة والصورة ـ وفناء الروح وخلودها » (١) . وبهذا أري من واجب الباحثين العلماء أن يدرسوا هذا التيار الفكري تفصيلا وبصورة علمية ، لأنه يشكل تياراً قوياً ومهما في الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى وتطورهـا .

---

(١) بلبم ـ أدب المعتزلة ص ١٠٤ ، وراجع ضحى الاسلام ٣٧٩/١ .

الفصل الثالث

أخبار صالح بن عبد القدوس وحياته (٧٧-١٦٧هـ)

صالح بن عبد القدوس .

صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبـد القدوس الجذامي (١) . مولاه ابو الفضل ، وفي تاريخ بغداد (٢) : صالح بن عبد القدوس ، أبو الفضل البصري مولى لأسد ، وفي الأغاني (٣) صالح بن عبد القدوس بدون ولاء . وعند ابن شاكر الكتبي (٤) ، صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس . وفي معجم الادباء (٥) : صالح بن عبد القدوس بن عبد الله . وفي طبقات الشعراء (٦) : صالح بن عبد القدوس .

لم يختلف المؤرخون في اسمه ، ولا فى اسم أبيه ، ولا في منزلته الفكرية وحكمته الواقعية ، كما اختلفوا في أمر خروجه من الدين الاسلامي الى المانوية ، دين اجداده الفرس .

وقد أغفل المؤرخون ، سنة مولده ، ونشأته ، وعائلته ، وشيخوخته ، وحياته الخاصة والاعمال التي كان يتكسب بهـا في مدينة البصرة الثرية ، مدينة العلم والمال والنفاق ، مدينة الجد والعبث ، مدينة الدين والاستهتار ، مدينة الجوامع والحانات والمواخير وبالرغم من المكانة الكبرى التي كان يحتلها صالح بن عبد القدوس ، في المجالين الديني والفكري ، وعلى الاخص في مجال الحكمة وعلم الكلام ، كان نصيبه الإهمال .

ويمكن القول ـ إن عائلة صالح بن عبد القدوس كانت مهتمة بالشؤون

---

(١) الزركلي ـ الأعلام ٢٧٧/٣ .

(٢) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ٣٠٣/٩ .

(٣) الأصفهاني ـ الأغاني ٤٦/٣ .

(٤) الكتبي ـ فوات الوفيات ٣٩١/١ .

(٥) الحموي ـ معجم الأدباء ٦/١٢ .

(٦) لابن المعتز .

الادبية والدينية والسياسية ، ويمكن اعتبارها من العوائل المعارضة للأوضاع السياسية آنذاك ، ودليل ذلك ، أن السجون احتفظت بأفراد من عائلته مدداً طويلة ، كما أنه لم يسلم من ذلك (١) .

ومع هذا ، فقد ضاع هذا الشاعر الحكيم مع الضائعين ، أضاعته حكمته ودوي المنافقين والمتزلفين ، إلا أن الزمان احتفظ ببعض علامات الطريق ، تهدي الباحث اليه بعد مشقة وجهد طويل ، وإن كانت تلك العلامات ، منها المضللة ، ومنها التي تدل على الحقيقة ، حقيقة مكانة الرجل في تاريخ التطور الفكري ، وحفظت لنا الأيام بعضاً من قصائده ، بعد ضياع ديوانه الذي يقول عنه أبو بكر بن دريد « اجتمع في ديوان صالح بن عبد القدوس وهو رجل من شعرائهم (أي العجم) ألف مثل للعرب وألف مثـــل للعجم » (٢) . والامثال ، هي الحجر الأساس في دراسة عقلية الشعوب . إن عمل صالح بن عبد القدوس هـــذا في المقارنة بين عقليتين كبيرتين متناقضتين ، فريد في بابه ، ولو حفظ الزمن هذا العمل الجبار ، لكان خير مصدر لدراسة تطور تينك العقليتين ، وأثر ذلك في التفكير الاسلامي .

وإن ما بقي من شعره ، صورة للحياة الاجتماعية ، والعلاقات بين الناس والاخلاق التي كانت سائدة في مجتمع البصرة المادي الذي غلبت عليه النزعة العقلية المادية ، ومرآة تعكس لنـا كثيراً من معتقدات صالح بن عبـــد القدوس الدينية والسياسية والاجتماعية . بالرغم من أن بعض النقاد يرى شعر صالح الديني وتأملاته الفلسفية ستاراً يتستر بـه ليخفي زندقته وأفكاره الثنوية ، تلك الثنوية التي لم يحددها نقاد عصره بوضوح ولا نقاد العصر الذي سجلت فيه أخباره . وبالرغم من الإلتباس في ثنويته فقـــد

---

(١) راجع نص رقم (٥) ـ في الملاحق .

(٢) أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ـ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ص ٢١٧ [ضمن مجموعة رسائل مطبعة الجوائب القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ] .

أعدم بسببها .

وقد جعل أغلب المؤرخين سنة إعدامه ١٦٧ هـ الموافقة ٧٨٣ م وذلك إن امير المؤمنين المهدى العباسي (١) ، حكم عليه بالموت بعد محاكمة قصيرة سوف نأتي على ذكرها وتفصيلها ، بتهمة الزندقة ، في الفترة التي طارد فيها الزنادقة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً (٢) ، والتي تقع بين سنة ١٦٣ ـ ١٧٠ هـ ، اي في السنوات الأخيرة من خلافة المهدي وإبان خلافة الهادي القصيرة الأجل ، وكان « مما يصير به المرء معرضاً الى تهمة الزندقة أن يكون فارسي الاصل ، او أن يؤثر عنه بغض العرب ، او أن يكون من اهل الخلاعة والمجون او المزح فى الأمور الراجعة الى العبادات ، او ان يكون منكراً لشيء من أصول الشيعة العباسية ، او أن يكون لا يحفظ من القرآن شيئاً ، فقد أخذ بذلك محمد بن ابي عبيد الله وزير المهدي ، هذا هذا المهدي لم يكن له من أصالة الرأي ما كان للمنصور والسفاح فأغرق في تقضي أحوال الناس والرمي بالزندقة » (٣) . وكان « يقبض على الزنادقة لأقل شبهة ويؤدي بهم أمام القاضي فيطلب اليهم أن يرجعوا عن الزندقة إن اعترفوا بها ويطلق سراحهم إن رجعوا عنها ، ويقتلون اذا استمروا عليها ورفضوا الخروج عنها » (٤) الا أن المهدي قتل صالح بن

---

(١) راجع الصفدي ـ نكت الهميان ص ١٧١ ، المعري ـ رسالة الغفران ص ٣١ ، ابن المعتز ـ ص ٩٠ ، الأربلي ـ خلاصة الذهب المسبوك ص ١٠٠ ، اليعقوبي ـ تاريخ ١٣٨/٣ ، رغبة الأمل ١٠٧/٣ ، الخطيب البغدادي ـ تاريخ ٣/٩ ٣ ، الكتبي ـ فوات الوفيات ٣٩١/١ ، المرتضى ـ أمالي ١٤٤/١ ، الذهبي ـ ميزان الاعتدال ٢٩٧/٢ ، الدلجي ـ الفلاكة والمفلوكين ص ١٧١ ، اليعقوبي مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٤ ، أخلاق الوزيرن ـ التوحيدي ، معجم الأدباء ١٠/٤ .

(٢) راجع ابن الأثير ـ حوادث سنة ١٦٦ ، الطبري ـ تاريخ حوادث سنة ١٦٧

(٣) ابن عاشور ـ ديوان بشار ١٩/١ .

عبد القدوس ، مع ما أفصح عنه من البراءة وصحة الإيمان . ويروى عن القضاة في عصر المأمون أنهم كانوا يطلبون الى الزنديق أن يبصق على صورة ماني وأن يذبح طائراً بحرياً اسمه - التذرح - ليتأكدوا من انهم رجعوا حقاً عن الزندقة ، بينما تؤكد تعاليم ماني على عدم الاخذ بالتقية ، والمانوي الحقيقي ، يكون صريحاً مع نفسه ، ويعترف بمذهبه بكل اصرار وفخر ويظهر من محاكمات زنادقة العصر العباسي ، بأنهم لا علاقة لهم بمذهب ماني مطلقاً .

وذكر أن الرشيد (١) ، هو الذي قتله ، وفي رواية تقول إن الذي صلبه هو عبد الملك بن مروان (٢) . غير أن جل المؤرخين على أن المهدى العباسي هو الذى قتله شيخاً كبيراً فاقد البصر طاعناً في السن (٣) وذلك إن صالح بن عبد القدوس أرخ عمره بعد أن انهى العقد السابع من عمره حيث قال :

بلوت أمور الناس ستين حجة   وجربت صرف الدهر في العسر واليسر

ولو كان من الممكن تحديد الزمن الذى قال فيه صالح بن عبد القدوس هذا البيت لتمكننا من تحديد عمره بالضبط ، وهناك نص ، حول رؤساء المانوية في العصر الاموى ، لا يمكن تصديقه بالنسبة لعمر صالح بن عبد القدوس وهو « وبقوا حتى ولي الخلافة الوليد بن عبد الملك ، فكان من رؤسائها (المانوية) عبد الكريم بن ابي العوجاء ، وبشار بن برد ، وسلم الخاسر ، ومحمد بن خالد البرمكي وصالح بن القدوس » (٤) ، وقد ولى الوليد بن عبد الملك بعد ابيه سنة ٨٦ هـ ، وعلى اقل تقدير كان عمر صالح

---

(١) الأصفهاني - الأغاني ١٤/١٣٤ ، شيو - مجاني الأدب ٥/١٥٦ .

(٢) المبرد - الكامل ٢/٧ ح ، المبرد - الكامل ص٣٥٢ ح ، تحقيق زكى مبارك

(٣) زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ٢/١٠٠ .

(٤) أحمد زكي - الحياة الأدبية ص ١٤٥ - ١٤٦ معتمداً على ابن النديم .

ابن عبد القدوس آنذاك وهو من رؤساء المانوية ، ولا بد ان يكون من طبقة الصديقين (٤٠ سنة) او اقل بقليل فيكون عمره إذن (١٢١ سنة) ، وربما يكون هذا بعيد الاحتمال . فإن اعتبرنا أنه تجاوز العقد الثامن او في ابتداء التاسع من عمره او في نهايته فتكون سنة ولادته في سنة (٧٧ هـ) بدلا من سنة (٤٦ هـ) ، وهذا أقرب للمنطق والواقع ، وبهذا تكون ولادته في زمن عبد الملك بن مروان ، ولا يخوله عمره أن يكون من رؤساء المانوية في زمن الوليد بن عبـد الملك ، وبذلك يتضح خطأ الرواية التي تقول : إن عبد الملك الخليفة الاموي هو الذي قتـله ، ثم إن النصوص التاريخية لا تشير الى أن صالح بن عبـد القدوس كان له أي نشاط في العصر الأموي ، ولا اي نشاط معاد للعباسيين في عصرهم الاول ، بل بالعكس كان معهم وضد حركة الموالي الإنفصالية ، التي كان يفكر بها « ابو مسلم الخراساني » حيث جاء في الرسـالة العذراء « كيف استفزه ابن المقفع (المقصود ابو مسلم الخراساني ، وصالح بن عبد القدوس ، وجبل بن يزيد) واستمالوه بسحر ألفاظهم ، وبلاغة اقلامهم ، حتى نزل من باذخ عزه وجاء مبادراً حتى وقع في الشرك المنصوب له ، فتفرق جمعه ، وانطفأ نوره وصار خبراً سائراً ورسماً داثراً » (١) . وكان ذلك قبل أن ينكشف سلوك بني العباس في الحكم ، وميلهم الى مصادرة حرية الناس وحكمهم حكماً فردياً يقوم على نظرية الحق الإلهي .

وعلى هذا ، فإن صالح بن عبد القدوس قد عاصر العصر الاموى فترة قوته وطغيانه ، وعهد ضعفه ، وانهياره فقد ولد في زمن عبد الملك او قبله بقليل وعاصر الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز حتى سقوط مروان الثاني ، وعاش بإدراك نضال الموالي ضد الحزب الاموى القومي ، وأدرك سياسياً

---

(١) محمد بن المدبر ـ الرسالة العذراء في رسائل البلغاء ، ط ـ محمـد كرد علي ص ٢٤٩ ، سنة ١٩٥٤ .

اهمية اتفاقهم مع العباسيين، ضد الأمويين ، ثم عاصر مشاكل العهد الجديد وتطوراته ، والأزمة التي قامت بين الشيعة والسفاح ، ثم وعى سيـاسة المنصور حتى أواخر ايام المهدى حيث أعدم .

اتجاهات صالح بن عبد القدوس الفكرية ومعتقداته

إن هذه الفترة الطويلة من عمر العرب السياسية مليئة بالأحداث الجسام والتصارع السياسي العنيف بين اكثر من طرفين ، ومليئة كذلك بالنشاط الفكري ، والديني والعلمي والفلسفي لا سيما ان هـذه الفترة بداية الترجمة والاختلاط العضوي بين العقلية العربية والثقافات الاجنبية المختلفة .

ومن الامور الطبيعية أن ملتقى تلك التيارات والتغيرات الاجتماعية والسياسية والدينية والفلسفية يكون عنـد الشعراء والادباء ، وأصحاب الكلام على اختلاف امزجتهم الفكرية والطبقية ؛ لأن هؤلاء أرق حساً وأحد ذكاء واعمق إدراكاً للصيرورة الاجتماعية بكل مناحيها من غيرهم ، ولأنهم الطبقة المثقفة الواعية المدركة لمجريات الامور بدقة وعمق ، والمرتبطة بروابط عديدة مع أجهزة السلطة والحكم سلباً وإيجاباً .

والفترة التي عاشها صالح بن عبـد القدوس في العصر العباسي ، وفي البصرة ، فترة نضجه العقلي والعاطفي ، وتكامل تجاربه ، وفترة نمو مدينته الثقافي ونضجها العلمي ، وامتدادها التجاري ، واختلاطها مـع الموالي اختلاطاً شديداً ، قوامه « الآراء والمذاهب والخواطر الفلسفية والعلمية والأدبية (١) . ومن هذا الاختلاط بدأت خصائص جديدة تظهر في المجال العقلي في مدينة البصرة ، وقـد شرحتها بشيء من التفصيل في الفصل الاول من هذا الكتاب ، ومن أبرز تلك الخصائص تيار فكري « أضعف الخيال وقوى ملكة النقد والفهم ، وترك الأمة الاسلامية كأنها فارقت طفولتها

---

(١) طه حسين في حديث الشعر والنثر ص ٥٢ .

وشبابها فهي على التفكير والتروي أقدر منها على عمل الشعر » (١) . وكان صالح بن عبد القدوس يمثل تلك الفترة العقلية وذلك التيار الفكري أتم تمثيل حيث ظهرت بمقدرته مدرسة الحكمة في الأدب ، وقد أرجع مكانة الشعر الذي افتقدها بعد التطور الذي أصاب العقلية العربية ، وأخضع الحكمة والفلسفة له حيث شارك بمقدرته في مجال النظم والنثر الذي اختص بالمسائل العقلية والفلسفية والدينية .

يعتبر صالح بن عبد القدوس من مؤسسي علم الكلام في البصرة ، حيث كان فيها « ستة من اصحاب الكلام قبل ظهور المعتزلة يشاركه في تلك المنزلة بشار بن برد » (٢) . إلا أن سجلات التراث لم تحفظ لنا مناقشات صالح ابن عبد القدوس الكلامية التي وقعت بينه وبين خصومه ، وعلى الأخص مع المعتزلة بعد اختلافه معهم . وعلم الكلام كان صفة تميز العلماء الذين اطلعوا على التراث اليوناني القديم ، والمقولات الفارسية والاديان ، وقاموا بمهمة المقارنة والبحث الفلسفي في الآراء التي انحدرت الى القرن الثاني الهجري من عصور مختلفة وأمم وشعوب عديدة . وكانت صلة صالح بن عبد القدوس بمؤسس مدرسة الإعتزال في البصرة ، صلة فكرية وروابط فلسفية ، وكان يشاركه في هذه الزمالة مع واصل بن عطاء بشار بن برد ، وقد سبق صالح بن عبد القدوس واصل بن عطاء في وضع الاسس العامة للمدرسة العقلية الاسلامية ، وكانت مناقشته مع أصحاب المدرسة العقلية ، تكتنفها الحرية بكل معانيها .

حدث سعيد بن سلام حول اصحاب الكلام، الستة وقال «كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام ، عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وبشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم بن ابي العوجاء ورجل من

(١) المصدر السابق ص ٥٣ .

(٢) هدارة ـ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٣٤ .

الأزد (جرير بن حازم) فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده ، فأما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال ، وأما عبد الكريم وصالح فصحا التوبة ، وأما بشار فبقي متحيراً مخلطاً ، وأما الازدي فمال الى قول - السمنيه - وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقي ظاهره على ما كان عليه » (١) . فكان هؤلاء الذين يمثلون أرقى طبقة مثقفة في ذلك العصر في مدينة البصرة، يخوضون الموضوعات الجديدة بصراحة تامة، في الفلسفة والدين والأدب ، إلا أن التطور الذي حدث في اتجاهاتهم الفكرية فرقهم الى مدارس متعارضة ، متعادية ، وقد طمس الزمان او الانسان أخبارهم وموضوعات جدلهم ، وأبقى ما وضعه المعتزلة عن صالح بن عبد القدوس من تهم باطلة ، للتخلص من هذا الخصم القوي في حجته ، الواسع في معارفه وعلمه ، الواضح البليغ في كلامه ، وبالرغم من ذلك الهجوم العنيف الذي شنه خصوم صالح بن عبد القدوس ، بقي ثابتاً ، وقد حول ساحة المعركة من البيوت الخاصة ، والندوات الضيقة الى عامة الناس فجلس في المسجد يقص عليهم (٢) ، ويحلل لهم امور الدين ، ويرشدهم الى الطريق الذي اعتقد أنه ، موصل الى الحقيقة .

وفي فترة ، شعور خلفاء بني العباس بابتعاد الناس عنهم، وعلى الأخص الموالي ، ارادوا التقرب من العامة باسم الدين ، فشنوا حملة قاسية ضد خصومهم باسم القضاء على الزنادقة ، وفي هذه الفترة بالذات شن اعداء صالح ، هجوماً آخر - أشد مضاءاً من هجومهم الاول - منصباً على الطعن

(١) الأصفهاني - الأغاني ١٤٦/٣ ، دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٩ ، وهذا النص فى ديوان بشار بن برد ١٩/١ ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور بتعريف عبارة « وأما عبد الكريم وصالح فصحا التوبة » الى « أما عبد الكريم وصالح فصحا على الثنوية » والوجه الأول هو الصحيح .

(٢) الصفدي - نكت الهميان ص ١٧١ - ١٧٢ .

في دينه ، فاتهموه بالثنوية ـ المذهب المانوي ـ (١) الذي يقول حول اصل العالم بأنه تكون من امتزاج النور والظلمة .

بالرغم من وجود النصوص التي تتهم صالح بن عبد القدوس بالمانوية

---

(١) خلق العالم في المانوية :

«كان في مبدأ العالم كونان أحدهما نور الآخر ظلمة وان الأول هو العظيم الأول ـ او الاله (سروشاو) وهو يتجلى في خمسة أشياء ـ هي بمنزلة الوسائط بين الخالق والخلق وبمثابة أقانيم الأب الخمسة ـ الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة ـ ولإله الظلمات ـ الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة ـ وقد هاجم اله الظلمات اله النور بكل قواه حين رآه ، فنظم (العظيم الأول) دفاعه عن مملكته وذلك بخلقه أول المخلوقات ، فدعا ـ أم الحياة ـ أو ـ والدة الأحياء ـ التي تسمى أحياناً رام راتخ ـ ودعت هي بعد ذلك ـ الرجل القديم ـ الذي يشار اليه أحياناً باسم ـ أوهرمزد ـ والعظيم الأول وأم الأحياء والرجل القديم يكونون التثليث الأول الأب والأم والولد ـ وبعد هذا ولد الرجل القديم خمسة أبناءهم النسيم والريح والنور والماء والنار وقد جسدوا تحت اسم (المهرسندات الخمسة) وحينما أحاط (الرجل القديم) نفسه بالعناصر الخمسة كأنها جنة له ، نزل ليقاتل اله الظلمات الذي تسلح بعناصره الخمسة وقد وجد (الرجل القديم) أن عدوه أشد منه قوة فتركه يزدرد عناصره النيرة وقد اختلطت العناصر الخمسة النورانية بعناصر الظلمات الخمسة ونتج عن ذلك عناصرنا الخمسة التي لها صفتا الطيبة والخبث فساعد (العظيم الأول) الرجل القديم فخلق (صاحب الأنوار) الذي دعا (روح الحياة) وقد نسل روح الحياة خمسة أبناء (زينة المجد وملك الشرف وآدم النوراني وملك الافتخار والحامل) وهبط روح الحياة مصحوباً بأبنائه الخمسة الى مملكة الظلمات وان روح الحياة مستعيناً بأبنائه قتل ثم سلخ أراكين مملكة الظلمات ، ومن جلودهم خلقت (ام الحياة) السماء وكونت الأرض من لحومهم ، والجبال من عظامهم»

المصدر : آرثر كرستنسن ـ ايران في عهد الساسانيين ، وراجع الشهرستاني ـ الملل والنحل ١٣٠/١ ، ابن النديم ـ الفهرست ص ٤٧ وما بعدها ، البيروني ـ الآثار الباقية ص ٣٠٧ وما بعدها .

إن ان هناك أدلة يمكن استقراؤها من شعره واقواله وحكمه تثبت أن ثنوية صالح لا تمت بصلة الى ثنوية ماني ، البدائية ولكننا نستطيع ان نقول إنها ثنوية يونانية قديمة ، تجلت في منهجه الفكري القائم على الشك وربما كان ذلك الشك ، هو الشك الذي قامت عليه الفلسفة السفسطائية ، التي كانت اكبر معول في تهديم سمات المجتمع اليوناني القديم في الناحيتين الدينية والاجتماعية . علماً بأن الشك ، يصاحب كل فعالية فكرية عميقة ، ويلازم حتى الناس البسطاء ايام الثورات الاجتماعية الكبرى ، والمحن التي تفقد الناس الثقة بالقيم التي ضعفت قوتها واندثرت قابليتها على حل مشاكلهم . يقال ، مات لصالح بن عبد القدوس ولد ، فذهب اليه ابو الهذيل والنظام ، فرآه محترقاً : فقال ابو الهذيل : لا اعرف لجزعك وجهاً اذا كان الناس عندك كالزرع .

فقال صالح : يا ابا الهذيل إنما اجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك .

فقال ابو الهذيل : وما كتاب الشكوك ؟

قال صالح : كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان (١) .

إن عنصر الإفتعال والوضع في هذه الحادثة ، لا يحتاجان الى دليل او برهان . ولنفرض ، ان هذا الشيخ الحكيم مؤسس علم الكلام ، لا يبكي ولده بل يبكي ؛ لأن هذا الولد لم يقرأ كتاب الشكوك ، فما المقصود من ذلك ؟ إن كان هذا من الأدلة على مانوية صالح بن عبد القدوس ، فالعكس هو الصحيح . إن الشك يفسد المانوية وغيرها من الأديان ، ثم إن عبارة (الناس عندك كالزرع) فكرة مادية عميقة في ماديتها تنسف كل ما جاء به ماني من آراء دينية او اجتماعية ، مع هذا لم نعثر في شعر صالح بن عبد القدوس على ما يؤيد هذه الأفكار التي احتوتها هذه الحادثة .

---

(١) راجع نص رقم (١٨) .

ربما كان صالح بن عبد القدوس يؤمن بنوع خاص من الثنائية، التي ظهرت في الفلسفة اليونانية القديمة التي يمثلها - أناكسجوراس - الذي يؤمن بوجود مدبر لهـذا الكون ولكن ينكر علاقة ذلك المدبر بالخلق، وقد انتهى هذا الفيلسوف الى المادية الآلية التي توصل اليها الفلاسفة الذين سبقوه الى فلسفة ثنائية (١)، إذ « ايقن أن المادة وحدها لا يمكن أن تنتهي الى هذا التناسق والتناغم والجمال، بل لا بد أن عقلا حكيماً مدبراً يسلك بالمادة سبيلا سوياً في هدى وبصيرة الى غاية معلومة مقصودة »(٢). ومن هذا التفاعل بين العنصرين سار الكون بحركة المادة الى ما لا نهاية. وأول من استغل فلسفة أناكسجوراس وطبقوها اجتماعياً هم السفطائيون الذين وضعوا كأساس لفلسفتهم مبدأ الشك، في حركة هذا العالم، وعكسوا ذلك الشك على الحياة الاجتماعية وروابطها وتقاليدها بمـا في ذلك النظام والقوانين والمجتمع، وركزوه بسلوك الانسان كفرد، وعن هـذا الطريق الطريق تمكنوا من تهديم الدين القديم وزعزعة النظام الارستقراطي في المجالين الإجتماعي والسياسي، وقـد زعموا « أن الاشياء لا حقيقة لهـا، وإن ما يستعيده الانسان يجوز أن يكون على ما شاهده ويجوز ان يكون على غير ما شاهده وإن حال اليقظان كحال النائم »(٣). وعلى هذا الفرض يعرف

---

(١) وذلك ان العقل عند أكسجوراس لم يخلق المادة من عدم بل العنصران قديمان أزليان نشأ كل منهما بذاته ثم طرأ العقل على المادة فبعث فيها الحركة والنظام بأن اندس فى مركز تلك الكتلة المادية الأولى التي تمتد الى اللانهاية والتي امتزجت فيها ألوان المادة امتزاجاً بلغ حد الاندماج، ولما استقر العقل فى قلب المادة اضطرب بالحركة » راجع الشهرستاني - الملل والنحل ٢/٦٤ وما بعدها، قصة الفلسفة اليونانية ص ٨٧،

(٢) أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية ص ٨٠.

(٣) ابن نباته - سرح العيون ص ١٢٧.

صالح بن عبد القدوس كتابه الموسوم ـ بالشكوك ـ . إن كان لصالح بن عبد القدوس فعلا كتاب الشكوك ، فلا يستبعد ابن نباته (١) ، من أن صالح كان من أتباع السفسطائيين ، علماً بأن الحالة الاجتماعية في مدينة البصرة في القرن الثاني كانت مشجعة لمبدأ الشك ، إلا أننا لم نجد في شعره ما يؤيد ذلك .

وعلى هذا ، فإن اختلاف صالح بن عبد القدوس مـع المعتزلة ، كان اختلافاً فلسفياً ، فقد اتجه المعتزلة بفلسفتهم العقلية ـ الروحية الى الدفاع عن الدين وما جاء بـه القرآن على طريقتهم الخاصة ، وتثبيت حقائقه اليقينية بالأدلة العقلية ، بينما ينكر اصحاب الشك مقدرة العقل على التوصل الى الحقائق ، حيث لا وجود لها في صفتها الاطلاقية ، وذلك لتكونها آنياً من العقل، وبما أن عقول الناس مختلفة، لكل عقل مجاله الخاص، ومكونات فردية معينة ، فالحقيقة نسبية عندهم لا مطلقة كالإختلاف في الأخلاق والعادات والتقاليد وربما كان هذا الاختلاف أقوى جذراً بين المعتزلة وصالح بن عبد القدوس حيث يقول التوحيدي: «وهلا طرح النار في خزانة كتبه على قياس هذا ؟ فإن فيها كتب ابن الراوندي وكلام ابن ابي العوجاء في معارضة القرآن بزعمه وصالح بن عبد القدوس وأبي سعيد الحصيري مع غيره من كتب ارسطوطاليس وأشباهه ولكن من شاء حمق نفسه » (٢) .

وهناك حادثة اخرى بطلها العلاف كذلك وهي :

سأل ابو الهذيل صالح بن عبد القدوس حول اصل العالم ، من وجهة نظر المانوية ، وهي الإمتزاج بين النور والظلمة .

سأن ابو الهذيل عن امتزاجهما ـ أهو هما ام غيرهما ؟

فأجاب صالح ـ بل هو هما .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣ .

(٢) أبو حيان التوحيدي ـ أخلاق الوزيرين ص ١٦٢ .

فألزمه ان يكون ممتزجين إذا لم يكن هناك معنى غيرهما ولم يرجع ذلك إلا اليهما (١) . وثالثة : إن ابا الهذيل العلاف كذلك ، ناظره فقطعه ، ثم قال له على اي شيء تعزم يا صالح ؟ فقال : استخير الله واقول بالاثنين ، فقال ابو الهذيل : فأيهما لا ام لك ؟ (٣) .

وروى كذلك أن ابا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتزاج الذي ادعوه بين النور والظلمة ، فأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ يقول :

ابا الهذيل هداك الله يا رجـل فأنت حقاً لعمري مفضل جدل(٣)

إن هذا التناقض في اتهام صالح بن عبد القدوس يكشف امر الوضع عليه ، فإن المناقشة الأولى تتهمه بالسفسطائية التي تشك بكل القيم ، واعتبر صالح من الشكاكين، في الحوادث الأخرى التي وضعت عنه تتهمه بالمانوية، والمانوية والسفسطة على طرفي نقيض . فأما ان يكون الرجل سفسطائياً او مانوياً، كما يؤيد هذا ابن النديم بلا دليل، من أن لصالح بن عبد القدوس كتباً في هذا الاتجاه ، ولم يذكر اسماء تلك الكتب . كعادته في ذلك ، وهذا دليل على أن ابن النديم لم ير كتب صالح ، وإلا اثبتها في فهرسه إلا انـه اكتفى بقوله حول بعض اصحاب عـلم الكلام ومعهم ابن عبد القدوس « لهؤلاء كتب مصنفة في نصرة الاثنين ومذاهب اهلها وقـد نقضوا كتباً كثيرة صنفها المتكلمون في ذلك » (٤) . فإن كان هذا الإدعاء صحيحاً فمن الصعوبة ان يتقبل الباحث هذه المناظرات الخاطفة التي حدثت بين صالح والعلاف على علاقتها ، لأن صالح بن عبـد القدوس - المنهزم دائماً أمام العلاف - يكاد يكون في وزن ابي الهذيل من حيث المقدرة الكلامية

---

(١) علي سامي النشار - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ٢٥٦/١ .

(٢) راجع نص رقم (٠) .

(٣) راجع نص رقم (١٠) .

(٤) ابن النديم - الفهرست ص ٤٨٧ .

والإحاطة بالفلسفة واصول علم الكلام . إن لم يفقه في ذلك . وإن كان (صالح) حقاً من السفسطائيين فإن ابرز صفة فيهم هي السيطرة على فن الحديث ، واستعمال الكلمة ، والسعة في العلم والثقافة العامة .

وإن كان المقصود حقاً بالثنائية ، ثنائية ماني ، في جدلهم هذا ، فإن معرفة صالح - حسب النصوص الواردة عنه ومنزلته في المانوية - بسلوك النور والظلمة ، واستحالة الامتزاج بين الصفات المتناقضة ، التي تميز النور والظلمة وصفاتها ، في الدين المانوي كأصلين أساسيين للعالم ، وبكيفيه الامتزاج الأساسي لهما قبل خلق العالم ، واطلاعه على الصراع الذي حدث بين الرجل العظيم وإله الظلمة ، وخلق الانسان . الخ أدق من معرفة العلاف ، فلا يمكن ان ينحدر صالح بن عبد القدوس بهذه السهولة ، وبدون ان يبين رأيه في ذلك .

وإن كانت الثنائية التي اتهم بها (صالح) هي ثنائية يونانية . فإنه يعترف بوجود مدبر ، دبر امتزاج المادة بالفراغ ، لتكون الحركة ، بقوله هو : هما ، وإن كان الـ (هو) الذي دبر الـ (هما) فقد نقض صالح بن عبد القدوس ما جاءت به المانوية .

وإن هذه المناظرة لا تختلف عن المناظرة التي خاضها النظام مع احد المنانية حول الكذب والصدق وعلاقتهما بالنور (الخير) والظلمة (الشر) (١) . وقد جاء في الامتاع والمؤانسة ما يؤكد ان صالح بن عبد القدوس لم ينحط الى درك المانوية بل كان فيلسوفاً متأثراً بالفلسفة اليونانية ، بل اخذ منها الكثير حيث يقول في نقد الفلاسفة « قد دخلت هذه الآفة (الفلسفة) من قوم دهريين ملحدين ركبوا مطية الجدل والجهل ، وهذه الطائفة معروفة منهم صالح بن عبد القدوس وابن ابي العوجاء ، ومطر بن ابي الغيث وابن الراوندي والصيمري ، فإن هؤلاء طاحوا في أودية الضلالة واستجروا

(١) راجع كتاب الخياط - الانتصار ص ٣٠ - ٣١ .

الى جهلهم اصحاب الخلاعة والمجانة (١) . ثم يلخص آراء هؤلاء الفلاسفة بقوله « زعموا أن الفلسفة مواطئة للشريعة ، والشريعة موافقة للفلسفة ، ولا فرق بين قول القائل : قال النبي وقال الحكيم ، وإن النبوة فرع من فروع الفلسفة ، وإن الفلسفة اصل علم العالم ، وإن النبي محتاج الى تتميم ما يأتي به من جهة الحكيم ، والحكيم غنى عنه ، هذا وما أشبهه » (٢) . ويورد قول احدهم في تقييم الشريعة « اوائل الشريعة امور مبتدعة ووسائطها سنن متبعة ، وأواخرها حقوق منتزعة » (٣) . ثم يتعجب ابو سليمان من الاصطلاحات التي ترد في حديث الفلاسفة فيقول « ويسمع من الآخر الهيولي والصورة والطبيعة والأسطقس والذاتي والعرضي والأيس والليس ، وما شاكل هـ ذا مما لا يسمع من مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا مجوسي ولا مانوي » (٤) . ثم يقول : « من اراد ان يتفلسف فيجب عليه ان يعرض بنظره عن الديانات ، ومن اختار التدين فيجب عليـه ان يعرد بعنايته عن الفلسفة » (٥) .

نرى من كل ما تقدم ، ان اتهام هذا الحكيم العميق في حكمته وتجاريبه ، بالمانوية امر يحتاج الى ادلة ، اما ما ذكره القدماء من قصص او مناقشات جلها بل كلها واهية متداعية امام التحقيق التاريخي ، والمقارنة بين ما قاله صالح نثراً او نظمه شعراً مع فرضيات المانوية تظهر خطأ الرأي القائل بذلك . اما كونه متأثراً بالنزعة الاجتماعية المانوية ، فهـذا امر بعيد الاحتمال ايضاً ، اذا قارنا بين نقد صالح بن عبد القدوس للحياة الاجتماعية

(١) التوحيدي ـ الامتاع والمؤانسة ٢ / ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) المصدر السابق ٢١/٢ .

(٣) المصدر السابق ٢١/٢ .

(٤) المصدر السابق ١٨/٢ .

(٥) المصدر السابق ٨١/٢ .

العامة التي وردت في شعره ، ومطاليبه البناءة للمجتمع ، بمكافحة الأمراض الاجتماعية والخلقية النفسية التي اوجدها المجتمع المادي فى البصرة ، وبين نظرة المانوية للحياة ، والتي تعتبرها كظاهرة للعبث المطلق ، وحنينها الى الفناء ، والتعجيل في نهاية العالم بقطع النسل والعمل . وإن فلسفة صالح التشاؤمية لا علاقة لهـا بالنظرة التشاؤمية المانوية ؛ لأن منبع الاولى فساد المجتمع واليأس من اصلاحه . واما الثانية، فمنبعها ، فروض فكرية بدائية .

وحتى الثنائية اليونانية ، التي ربما يمكن تأويل شعر صالح والإعتماد عليه في إثبات بعضها ، إلا ان ذلك التأويل يكون من باب تحميل الشيء فوق طاقته .

صالح بن عبد القدوس الناقد الاجتماعي :

كان صالح بن عبد القدوس ، مرآة عصره ، عكس بإدراك العلاقات الاجتماعية ، والتمايز الطبقي والفردي الذي وصـــل الى الذروة في مدينة البصرة ، المدينة التجارية الصاخبة ، في قصائده وحكمه المنثورة والمنظومة . ونقد بعمق الفلسفة الذرائعية التي كانت اساساً لتلك العلاقات . تلك تلك الفلسفة التي صاغها التجار الكبار والصيارفة والسماسرة ، واصحاب الخطط والاقطاعيات الكبرى . وفي مثل هذا المجتمع يزداد عدد المنافقين والمرائين وضعاف النفوس ، وتسود الاخلاق الرديئة ، وتبرز النفوس الذليلة المتحللة التافهة ، وينفتح المجال أمام هؤلاء الممسوخين المشوهين ، الصغار النفوس ـ يقول صالح في ذلك :

رأيت صغير لأمر تنمى شؤونه   فيكبر حتى لا يحـد ويعظم

ويقول ايضاً :

وأسهرني طول التفكر ، إنني   عجبت لدهر ما تقضى عجائبـه
ارى عاجزاً يدعى جليداً لغشمه   ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وعفاً يسمى عاجزاً لغضاضة ولولا التقى ما اعجزته مذاهبه
واحمق مصنوعاً له في اموره يســوده إخوانــه واقاربه
على غير حزم في الامور ولا تقى ولا نائل جزل تعــد مواهبه

ويقول :

لو يرزقون الناس حسب عقولهم ألفيت اكثر من ترى يتصدق
لكنه فضــل المليك عليهم هــذا عليــه موسع ومضيق

يفهم بعض النقاد هذين البيتين على انهما انتقاد لموزع الأرزاق المطلق

وهذا تفسير بعيد ، إنهما يصوران الظلم الاجتماعي الذي كان في عهد صالح . فقد وجد في عهده من العلماء من أكل الطين وجاب الآفاق متشرداً جائعاً طريداً، والبله والحمق ، عاشوا في ترف ونعيم، في القصور والبلاطات يرفلون بالحرير .

وهـذه صورة دقيقة اخرى تصف التهريء الفكري والجهل الذي تفشى امره في مجتمع البصرة التجاري .

بقينـا في بهائم راتعات تجول ولا الى عقل تؤول
فإن حدثت عن سمك وبقل فأنت لديهم رجل نبيل
وإن حدثث عن ابواب علم فأنت لديهم فدم ثقيـل

أثار صالح بن عبد القدوس بنقده اللاذع هذا أصحاب السلطة ، وذيولهم من التجار والأغنياء بالإضافة الى عداء المعتزلة له ، وشعرت السلطة بخطره، فأخذ صالح يناورها تارة بنشر قصائده وحكمه تحت اسـم مستعار وهو صالح بن جناح (١) ، واخرى يصاولهم ويجادلهم ويثير العامة ضدهم ، وعندما كان يحدق بـه الخطر ، يهرب من مدينة البصرة الى الشام . كما فعل أيام حكم المهدي ، وهكذا تحول هذا الشاعر الكبير من عـلم الكلام

---

(١) راجع تهذيب ابن عساكر ٣٧٦/٦ .

والفلسفة والتأمل التجريدي الى ناقد اجتماعي كبير ، وفيلسوف عملي يدعو الى الاصلاح .

أما حياة العبث والمجون فلا مجال لها في حياته وعلى الأخص في الفترة من عمره التي قضاها في العهد العباسي ، لا كما صورها بعض المؤرخين . جاء في ترجمة الشاعر علي بن الخليل ما نصـــه « وعلي بن الخليل شاعر من شعراء الخمر ، سبق ابا نؤاس وكان معروفاً بوصفه الخمر في أيام المهدي ، وهو من أهل الكوفة ، من تلك الطبقة التي تلتقي اسماؤها في التاريخ مجتمعه أبداً ، رفاقاً في اللهو والشراب ، رفاقاً متلازمين حتى في التهمة والفسق ، صالح بن عبد القدوس ووالبه ابن الحباب والحمادان وغيرهم »(١) المعروف أن صالح بن عبد القدوس كان مكفوف البصر ، جاوز العقد التاسع من عمره ، وقد وصل الى ذروة زهده واعتزاله الناس ، فكيف يتمكن هذا الشيخ الطاعن في السن ، الوقور الأعمى أن يشارك في مثل هذه الاجتماعات الماجنة ، التي تحتاج على الأقل الى قوة الشباب ، وطيشه . وإن كان ذلك واقعاً فعلا ، فأين قصائد هذا الشاعر الماجنة الفاسقة ، وأين خمرياته ، وغزله ، ولياليه الحمراء ، ولماذا لم يحفظ تلك القصائد خصومه ، بل العكس الذي حفظته لنا الأيام من الضياع .

صالح بن عبد القدوس الحكيم :

صالح بن عبد القدوس حكيم الشعراء بلا منازع ، ومؤسس مدرسة الحكمة في الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة . وقـد قال عنه يا قوت الحموي ، « كان حكيماً اديباً فاضلا شاعراً مجيداً » (٢) . وقال عنـــه

---

(١) نجيب محمـد البهبيتي ـ تاريخ الشعر العربي ص ٤٢٣ ، وراجع الاصفهاني ـ الأغاني ١٤٦/٣ دار الكتب المصرية ، مطبعة وزارة التربية ١٧٤/١٤ القاهرة .

(٢) ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ٦/١٢ وما بعدها ط دار المأمون .

الجاحظ « لو أن شعر صالح بن عبد القدوس ، وسابق البربري كان مفرقاً في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ولكن العقيدة اذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر حتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك عنده موقع » (١) . إن رأي الجاحظ في هذا النوع من الشعر ، يمثل فلسفته في الأدب التجاري والسياسة المتقلبة مع الظروف ، وهذا النوع من الأدب - الذي انتج منه الجاحظ الكثير - يحتاج الى ترويق ونوادر ، وإثارات اخرى للقاريء لكي يجري الكتاب او تركض القصيدة بين الناس ، والفرق بين مفهوم صالح بن عبد القدوس عن الأدب ومفهوم الجاحظ عنه ، هو الفرق بين تركيب شخصيتيهما من حيث النفسية والإخلاص للناس .

بحث صالح بن عبد القدوس كثيراً من امراض المجتمع والعلاقات الفردية بين الناس ، وناضل كثيراً لإصلاح المجتمع ، وعمل في حقل السياسة والدين ، فترة طويلة من عمره الطويل ، وأخيراً وبعد تراكم التجارب الكثيرة خرج بنتيجة سلبية دفعته الى التشاؤم والانزواء والخوف من الناس .

يقول في العلاقات الشخصية : -

وأبدأ عدوك بالتحية ولتكن	منه زمانك خائفاً تترحب
واحذره إن لاقيته متبسماً	فالليث تبدو نابه إذ يغضب
واذا الصديق لقيته متملقاً	فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير في ود امريء متملق	حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف إنه بك واثق	واذا توارى عنك فهو العقرب

ومنها :-

واحفظ لسانك واحترز من لفظه	فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به	إن الزجاجة كسرها لا يشعب

(١) الجاحظ - البيان والتبيين ٢٠٦/١ ت عبد السلام .

وكذلك سر المرء إن لم يطوه   نشرته ألسنة تزيد وتكذب

وكان صالح بن عبد القدوس يؤمن بحرية ارادة الانسان ، وهو ضد فلسفة الجبر التي كان يبشر بها « المحافظون » لانتفاعهم بها سياسياً .

يقول صالح في ذلك :

لم تخل أفعالنا اللاتي نذل بها   إحدى ثلاث خصال في معانيها
اما تفرد مولانا بصنعتها   فاللوم يسقط عنا حين نأتيها
او كان يشركنا فاللوم يلحقه   إن كان يلحقنا من لائم فيها
أولم يكن لألهي في جنايتها   صنع فما الصنع الا ذنب جانيها

ويقول :ـ

ولا اقول اذا ما جئت فاحشة   إني على الذنب محمول ومجبور

إن فلسفة الاختيار ، وحرية إرادة الانسان التي كان ينادي بها صالح بن عبد القدوس ، لها خطرها الاجتماعي على السلطة ، اذا ما خرجت من حيز النقاش الديني الى الحياة العملية . إذ ان الانسان فيها يملك نفسه ، بعد أن كان يعتقد أنه مسلوب الإرادة ، مسير . وإن جميع ما هو واقع من ظلم اجتماعي وتعسف ولاة الأمور ، وسوء الأوضاع ، كلها اشياء خارجة عن إرادة الانسان انه القضاء والقدر . فلا فائدة من مقاومته والمطالبة بإصلاح ما فسد من الأمور .

وقد بلور صالح بن عبد القدوس جل تجاريبه وركزها في قصائد رائعة خالدة، خلود الانسان ما بقى يعاني ما عاناه هذا الشاعر الحكيم، ولا داعى لتكرارها هنا ، فليرجع اليها القاريء في مجموعة اشعاره من هذا الكتاب .

رأيه في النساء :

لم يأت صالح بن عبد القدوس برأي جديد في المرأة ، ومكانتها الاجتماعية ، بل ردد او عكس ما كان واقعاً في عصره ، فقصرت حكمته فى هذا الميدان الانساني ، وظلم المرأة كما ظلمها غيره من الأدباء وجعلوها

شيئاً للمتعة والولد ، ورمزاً للخيانة والغدر وسوء الخلق .

يقول صالح في ذلك :

وتوق من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب

لا تأمن الأنثى حياتك إنها ... كالافعوان تراع منه الأنيب

لا تأمن الأنثى زمانك كله ... يوماً ولو حلفت يميناً تكذب

تغرى بلين حديثها وكلامها ... واذا سطت فهي الصقيل الأشطب

ولم أعثر له - مع ما عثرت - على شيء من الغزل او النسيب او التشبيب إلا هذه القصيدة التي تحكمت فيها الصنعة ، والرسم ، دون العاطفة والشوق .

أصددن بعد تألف الشمل ... وقطعن منك حبائل الوصل

هيف الخصور قواصد النبل ... قتلننا بنواظر نجل

كحل الجمال جفون أعينها ... فغنين من كحل بلا كحل

من كل نظرة ناظر عرضت ... منهن قتلة ضائع العقل

من كل قاعدة على دمث ... رابي المجس كلابد الرمل

قعدت بها أردافها وهنت ... فيها الخصور بفاحم جثل

فكأنهن اذا اردن خطاً ... يقلعن ارجلهن من وحل

محاكمته ، وتنفيذ حكم الاعدام فيه :

اتهم صالح بن عبد القدوس بالزندقة ، بالرغم من « أنه كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة فيأسر » (١) . وبالرغم من تعلق الناس بحكمته وتلقف قصائده وأشعاره وحفظها حيث يقول ابن المعتز « وأشعاره كثيرة إلا انها موجودة عند جميع الناس مستفيضة فيهم » (٢) . إلا ان العناصر التي حاربته كانت قوية تسندها السلطة والمال ، فتمكنت من سوقه الى

(١) الحموي - معجم الأدباء ٦/١٢ - ١٠ ، السيد المرتضى ١٠١/١ .

(٢) ابن المعتز - طبقات ص ٩٢ .

السياف بالرغم من تعلق الناس بـه ، وكيف يتعلق الناس في القرن الثاني للهجرة بزنديق ماجن ملحد ، يبشر بالمانوية وينتقد الاسلام، وكيف نفسر سكوتهم عنه ؟ يجيب عن هذا الأصفهاني بأنه صحح التوبة (١) اي أنـه كان من الزنادقة ثم صحح معتقده ، وتاب الى الله ، ويؤكد هـذه التوبة أحمد بن عبد الرحمن بن المغير ، بنشر ما رآه في منامه من استقبال الله لصالح برحمته (٢) . ويصفه ابن المعتز بقوله « اما الرجل فله في الزهد في الدنيا ، والترغيب في الجنة والحث على طاعة الله عز وجل والأمر بمحاسن الأخلاق ، وذكر الموت والقبر ، ما ليس لأحد ، وكان شعره كله امثالاً وحكماً » (٣) . وجاء في كتاب الفلاكة والمفلوكين « فأنظر الى الفلاكة ، قال حكمة فكانت سبباً في قتله » (٤) . والمقصود صالح بن عبد القدوس.

وهناك كثير ممن يشك في امر زندقته (٥) ، والكل يعتمد في ذلك على غزارة علمه ، وأدبه ، وحكمته ، وزهده ، وتأملاته الدينية ، وهناك الكثير ايضاً ممن يتهمه بالزندقة بصورة عامة وبدون تحديد (٦) ، ثم هناك من

---

(١) راجع نص رقم ١ .

(٢) راجع نص رقم ١ .

(٣) راجع نص رقم ٨ .

(٤) راجع نص رقم ٢٠ .

(٥) الصفدي ـ نكت الهيان ص ١٣٢ ، الأصفهاني الاغاني ١٧٤/١٤ ، ابن المعتز ـ طبقات ص ٩٠ ، الدلجي ـ الفلاكة ص ١٧١ .

(٦) الصفدي ص ١٧٢ ، الأغاني ١٧٤/١٤ ، البغدادي ـ تاريخ ٩ ،٣٠٣ ، المعري ـ رسالة الغفران ص ٣١ ، ابن خلكان ـ وفيات ٣٩١/١ ، معجم الأدباء ٦/١٢ ، الذهبي ـ ميزان ٢٩٧/٢ ، السيوطي ـ تاريخ ص ١٧٤ ، المبرد الكامل ٧/٣ .

يحدد زندقته بالمانوية (١) . وآخرون يتهمونه باتباع فلسفة الدهريين (٢) . وآخرون يتهمونه بأنه من الشكاك السفسطائيين (٣) . او بخروجه من الاســلام ودخوله في المسيحية (٤) . وتهمة اخرى هي التعريض بالنبي محمد (ص) . وصاحب حياة الحيوان الكبرى ، يترحم عليه ، بقوله رحمه الله تعالى (٥) . وربما اتهم بما اتهم به الزنادقة في تفسير القرآن، وتأكيدهم على تناقضه (٦) . وهكذا نرى عدم اتفاق المؤرخين في اتهامه ، وعدم تمكنهم من بلورة تهمة ضده واحدة واضحة ، ولم نعثر على اسماء الأشخاص الذين وجهوا التهمة ضده ، ولا القضاة الذين حاكموه ، ولا اتفاق على محاكمة واحدة ، كل مؤرخ يروي صورة لمحاكمته ، لا تتفق مع الصور الأخرى المروية . كل شيء غامض إلا اعدامه . جلب من الشام، ليحاكمه الخليفة مباشرة ، وينفذ فيه حكم الإعدام بيده .

مناقشة الاتهامات :

إن اتهام صالح بن عبد القدوس بالثنوية ، بعيد الاحتمال ، وإن جميع الأخبار التي تشير الى ذلك ، موضوعة لا اساس لها من الصحة ، لأن المانوية ، من الأديان المملوءة بالخرافات والفرضيات ، ولا طاقة لها بجذب مفكر كبير وأحد مؤسس علم الكلام . أما زهده ، فإنه لا علاقة له بطبقة الصديقين ، بل إنه اليأس من الاصلاح الذي كافح من اجله صالح بن عبد

---

(١) المرتضى ـ أمالي ١/٤ : ١ ، ابن تغري النجوم ٢/٢٩ .

(٢) أبو حيان ـ الامتاع ٢/٢٠ .

(٣) ابن نباته ـ سرح العيون ص ١٢٧ .

(٤) اسحق أرمله ـ قصة صالح بن عبد القدوس مع راهب الصين « راجعها مع النصوص »

(٥) الدميري حياة الحيوان ١/٢٨ .

(٦) راجع شذرات البلاتين ص ٤ وما بعدها .

القدوس كثيراً . أما انه من طائفة الدهريين ، كما جاء في كتاب الأمتاع والمؤانسة ، فذلك لاشتغاله بالفلسفة ، بل كان هو فيلسوفاً (١). وقد انتشر هذا النوع من التفكير في عصره ، لأن عقل العرب قد تفتح في هـذا القرن والواقع إن « المسلمين لم يستشعروا خلال القرن الأول الذي تـلا وفاة الرسول كثير حاجة الى تفسير المعتقدات القرآنية تفسيراً عقلانياً، ولكن ما أن خمدت الحماسة الدينية الأولى وما أن غدا المسلمون اكثر بعداً عن الفطرة حتى مست الحاجة الى تفسير عقلي للحقائق التي كان المؤمنون قد سلموا بهـا تسليما » (٢) . فكان التفكير الفلسفي متعة العصر الذي عاص فيه صالح بن عبد القدوس ، وكان رد الفعل للفلسفة والفلاسفة قوياً ، وقـد اتهم الفلاسفة بالإلحاد والزندقة والدهرية ، كما رأينا في فصل الزندقة ، وقال عنه الذهبي : إنه - اي صالح - صاحب الزندقة والفلسفة (٣) وكان « متفلسفاً قرأ كثيراً من كتب الفلسفة والحكمة وديانات الأمم السالفة من فرس ويونان » (٤) . وقد صاغ صالح بن عبـد القدوس في قوالب شعريه جميلة وأقوال منثورة بديعة ، وقـد ذكر ابو هلال العسكري « إن ديوان صالح بن عبد القدوس اشتمل على ألف مثل من الأمثال العربية وألف من الأمثال الأجنبية » (٥) ويؤكد ذلك ابو احمد الحسن العسكري كما مر سابقاً بقوله « وسمعت ابا بكر بن دريد يقول : اجتمع في ديوان صالح بن عبد القدوس وهو رجل من شعرائهم (اي العجم) ألف مثل

---

(١) أبو حيان – الأمتاع والمؤانسة ٢١/١ .

(٢) روم لاندو – الاسلام والعرب ص ٢١٠ .

(٣) الذهبي – ميزان الاعتدال ٢٩٧/٢ .

(٤) شكري فيصل – المجتمعات لاسلامية ص ٤٠٨ .

(٥) بركلمان تاريخ الادب العربي ٧١/٢ ، وانظر كتاب التحفة البهية ص٢١٧

للعرب وألف مثل للعجم » (١) . كونه من (الشكاك) ، لتأليفه كتاب - الشكوك - فهذا دليل ضعيف ، حسب ما رأينا سابقاً ، لأن هذا الكتاب من الأمور التي وضعت على هذا الشاعر الحكيم ، وإن كان ذلك صحيحاً فإنه انتهى الى اليقين والى التوبة الصادقة (٢) . أما اتهامه بالخروج من الاسلام والدخول في النصرانية كما ورد في تعليق ناشر مخطوطة ، قصة صالح بن عبد القدوس ، وسكوت جميع المصادر التاريخيه عن الاشارة الى هذا الاتهام دليل على ان هــذه القصة وضعت في عصر متأخر عن عصر صالح بن عبد القدوس وربما وضعها احد المبشرين بالدين المسيحي .

أما موضوع تعريضه بالنبي (ص) ونسبة الأبيات التي تعرض بزواجه من زينب بنت جحش بعد تطليقها من زيد زوجها . الى صالح بن عبد القدوس ، فلم يحققه المؤرخون القدماء وقد رواها ابن المعتز (٣) بتحفظ ولم يقطع بنسبتها اليه ، وقد انكرها صالح عند محاكمته ، وان مثل هــذا الدس على الشعراء في العصور العباسية من الامور البسيطة ، وقد تكررت مرات عديدة .

ومن دراستنا لسير المحاكمة ، والحوار الذي دار فيها ، لم نلمس أن هناك تهمة مبلورة أدين بها هذا الشاعر الحكيم تستحق الحكم بالإعدام ، وبيد الخليفة نفسه ، بشقه الى نصفين وتعليق كل نصف على جسر من جسور بغداد عدة أيام .

صور المحاكمة :

أحضر صالح بن عبد القدوس ، شرطة المهدي من دمشق بعــد أن

---

(١) أبو الحسن بن عبــد الله العسكري - في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ص ٢١٧ .

(٢) الأصفهاني - الأغاني ١٤٦/٣ .

(٣) ابن المعتز - الطبقات ص ٩٠ .

هرب اليها من البصرة

قال الخطيب البغدادي « صالح بن عبد القدوس ابو الفضل البصري ، مولى لأسد احد الشعراء اتهمه المهدي امير المؤمنين بالزندقة فأمر بحمله اليه ، وأحضر بين يديه ، فلما خاطبه . أعجب بغزارة ادبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخلية سبيله فلما ولى رده وقال له : ألست القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنا عاد الى نكسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين .

قال : فأنت لا تترك اخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك ثم أمر بـه فقتل وصلب على الجسر ، ويقال إن المهدي أبلغ عنه ابيات يعرض فيها بالنبي (ص) فأحضره المهدي وقال له : انت القائل هذه الأبيات (١) ، قال : لا والله يا امير المؤمنين ، والله ما اشركت بالله طرفة عين ، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة ، فلما ولى قال أنشدني قصيدتك السينية فأنشده حتى بلغ ، والشيخ لا يترك أخلاقه .. (الأبيات) ـ فأمر به حينئذ فقتل .

وقال المرتضى :

إنه لما أراد المهدي قتله على الزندقة رمى الية بكتاب ، وقال له اقرأ هذا .

قال : وما هو ؟ قال (الخليفة) : كتاب الزندقة .

قال صالح : أو تعرفه انت يا امير المؤمنين اذا قرأته :

قال : لا .

قال : أفتقتلني على ما لا تعرف !

قال : فإني اعرفه .

قال صالح : فقد عرفته ولست بزنديق ، وكذلك اقرؤه ولست بزنديق .

في الصورة الأولى لمحاكمته ، يظهر الضعف ، والإفتعال . أما في الصورة

(١) المجموعة الشعرية رقم ٥٤ .

الثانية؛ فالافتعال أوضح من الاولى، كيف يقرأ هذا الشيخ الذي فقد بصره منذ زمانه؟ وكيف يطلب منه امير المؤمنين أن يقرأ الكتاب الذى رماه اليه.

رواية ابي العلاء المعري : في رسالة الغفران .

وأحضر صالح بن عبد القدوس ، واحضر النطع والسياف .

فقال : علام تقتلني ؟

قال . على قولك :

رب سـر كتمته فكأني اخرس او ثنى لسـاني عقل

ولو أني اظهرت للناس ديني لم يكن لي في غير حبس أكل

يا عدي الله وعدي نفسه :

السـتر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من سـتر

فقال : قد كنت زنديقاً وقد تبت عن الزندقة .

قال : كيف وانت القائل :

والشيخ لا يـترك عـاداته حتى يوارى في ثرى في رمسه

وأخذ غفلته السياف ، فإذا رأسه يتدهد على النطع .

هذه اهم الروايات التي تروي محاكمة صالح بن عبد القدوس ، ولكن اين التهمة التي تستحق القتل والتمثيل ؟ ومثل هـذه المحاكمات ، لرجال اشتهروا بالعلم والفلسفة ، يجب أن تدار من قبل القضاة، أو من هو متمكن من مناظراتهم ، ومناقشاتهم ، لإبراز التهمة وتوضيحها ، والمعروف عن المهدي في مثل هذه القضايا وعلى الأخص في المناقشات الدينية ، سـعة الصدر وطول البال (١) . والظاهر أن إعدام صالح بن عبد القدوس ، كان بسبب نشاطه السياسي والاجتماعي ولا علاقة له بالإلحاد او الزندقة مهما كان نوعها ، وأما اتهامه بالزندقة فكان ستاراً لا غير ولكي يثيروا ضده الرأي العام خارج مدينة البصرة .

---

(١) راجع شيخو ـ محاورات جدلية ، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت سنة ١٩٢٣ .

- الملحقات -

روايات القدماء عن صالح بن عبد القدوس وقصته مع راهب الصين

(١)

قصة صالح بن عبد القدوس
مع راهب الصين
كاملة

قصة صالح بن عبد القدوس مع راهب الصين (*)

بسم الأب والابن وروح القدس الإله الواحد

نبتدىء بعون هذا الاله العظيم ونكتب قصة صالح بن عبد القدوس مع راهب الصين رضي الله عنه آمين .

قال الراوي (١) : إنني مررت براهب من رهبان الصين ، فوقفت على باب صومعته فحببت (٢) أن افاتحه بالكلام . فناديته : يا راهب ، فلم يجبني . فقلت : يا ربان (٣) ، فلم يخاطبني ، فقلت : يا عبد الله . فلم يرد علي الجواب (ص) فعظم علي شديداً كيف اني اروح وما أطلع على خبره . فقلت : بحق الذي أوجبك (كذا) الوحدة لا تبخل علي بسماع كلامك . ثم اشرف علي بوجه اصفر وثوب قذر وقال : من هو الذي دعاني بغير إسمي وكناني بشيء لا استحقه ؟ فقلت : لك اقول ، فقال : أما قولك « يا راهب » فمن هو الراهب ؟ الراهب من رهب الله مولاه في سمائه ، وعظمه في بهائه ، ورضي بقضائه ، وشكره على نعمائه، وحمده على بلائه ، وخضع لربوبيته ، وتواضع لعظمته ، وذل لقدرته ، واستسلم لعزته ، وفكره (٤) في حسابه ، وعاقبه يوم عذابه ، وذكر وعده ووعيده ، وسلاسله وحديده ، ومطاميره وقيوده ، وذكر وقوفه بين يدي ربه ، يوم

---

(١) يريد بالراوي صالحاً بن عبد القدوس .

(٢) فأحببت .

(٣) الربان : لفظ سرياني ، تفسيره معلمنا وهو يطلق على الرهبان عموماً .

(٤) فكر

* نشرها القس اسحق أرملة السرياني الكاثوليكي عن المخطوطة المحفوظة في دير سيدة النجاة في الشرفة للسريان الكاثوليك . في مجلة المشرق ٢٢ سنة ١٩٢٤ ، ٨١٩ — ٨٢٦ ، ٩٣٦ من نفس السنة ، ويعتبر ناشر المخطوطة ، صالح بن عبد القدوس نصرانياً أو قريباً منها .

يعرض عليه وهو في ليلته قائم ، وفي نهاره صائم ، قـــد أحنته العبادة ، وأقرح جفونه من كثرة البكاء والاسهار ، وذكر النار ومداينة الجبار وأقلقه خوف العذاب ، وأنحله ذكر الحساب ، فذاك هو الراهب . وأما انا فلست براهب . واما (ص ٣) قولك لي « يا ربان » فمن هو الربان ؟ الربان من رب (كذا) نفسه من الطعام والمطاعم ، وتجنب من المحارم ، حتى يرحم من ظلمه ، ويقضي لمن قطمه ، ويعطي من حرمه ، ويترك العلو والرئاسة حتى تصير نفسه عنده كمثل العبد لصاحبه ، فإن كان كذا وإلا فليس هو بربان ، وانا فلست بربان . وأما قولك لي « يا عبد الله » فأنا عبيد الله . أما تعلم يا اخي أن الأسماء في هذه الدنيا عارية . واما الاسماء فهي اثنان . وهي مكتوبة يوم القيامة إما يقول لي « يا سعيد » واكو‍ــ سعيداً الى الابد ، وإما يقول لي « يا شقي » واكون شقياً الى الابد . وأنا كواحد من عبيد الله . قلت له : ما اسمك ؟ قال : ما اعرف اسمي . قلت : عجبت منك فقد خالطك الشيب ولم تعرف اسمك فكيف تعرف نفسك ؟ فقال اعلم اني انا حابس كلبين عقورين : نفسي ولساني ، حبستهما في هذه الصومعة حتى لا اعقر احداً من خلق الله بهما وأؤذيه بشرهما . فقلت : يا راهب لمن تعبد ؟ قال : اعبد الله الذي خلقني وخلقك (ص ٤) من التراب ، وجعلنا نطفة في الأصلاب ، ثم نقلنا الى بطون الأمهات ، وسكننا ما بين لحم ودم ومهدنا الى الأحشاء ، ورتبنا كيف شاء ، واخرجنا سوياً ، تبارك الله احسن الخالقين وقوت الرازقين . قلت : يا راهب أعظيم هو الله ؟ قال : يا اخي عظيم هو في منزلته . قد قهرت عظمته كل شيء . يعلم ما يخفي وما يظهر . وما يسر وما يعلن . ويعلم ما في قلوبنا . وما تكتم صدورنا . ويعلم ما في السموات وما في الارض . ولا يخفى عليه شيء . وهو العليم الكبير .

قلت : يا راهب اين الله من قلوب الصالحين ؟ قال : يا اخي ، قلوب

الصالحين لا تغرب عنه ، وحيث يعلم انهم مشتاقون اليه قد تعلقوا بحبه ، وقد انست ببره ، وتوكلت عليه ووثقت اليه ، وهم يسبحونه ليلا ونهاراً . ولا يفترون عنه طرفة عين . ثم قال لي : يا اخي ، حب الدنيا ثبت في قلوبكم ، وحملتموها على زهونكم (كذا) وركبت اعناقكم ، ودخل حبها في قلوبكم ، وكثرت فيها ذنوبكم ، واعلم يا اخي أن الدنيا غرارة منصرفة منقطعة مائلة زائلة ، تنقلب بأهلها كيف تشاء ، (ص ٥) فمن وثق بها خدعته ، ومن ائتمنها قطعته . ومن اطمأن اليها صرعته ، ومن اغتر بها خدعته ، ومن اتكل عليها خذلته ، ومن احبها أعمته عن طريق الصلاح ، ومن خدمها اتعبته ، ومن جمع مالها افقدته ، ومن شرب بكاسها أدمته ، والندامة في عمل الخير اورثته ، الطوبى لمن تجنب عن الدنيا وأزالها عن قلبه ، وتاب الى ربه من ذنبه ، ولا يواصلها إلا ويتركها ، ولتركها علامات . فقلت : ما هي ؟ قال ؟ اولها ترك الحرام في مكسب المال ، والآخر في القيل والقال ، وما أشبه ذلك ، وتساوي عندك صديقك وعدوك ، واترك الفضول ، وقلل الرغبة في جمع المال من الحرام ، تواضع قدام الله وقدام الناس ، ورد نظرك من شهوات هذي الدنيا حتى يكون قلبك صافياً ولا ترى جميلاً إلا وترغب فيه ، ولا ترى قبيحاً إلا وتأنف منه ، واحفظ نفسك من الشرور ، وافتح قلبك وابصر ما ينفعك وما يضرك . قلت : يا راهب اخبرني عن العقل . قال : اصله المعرفة وفرعه الأعمال . قلت : يا راهب من اين (ص ٦) يذوق العبد حلاوة الأنس بالله ؟ قال : يا اخي اذا صفت القلوب في محبة الله . فقلت : متى تصفو القلوب في محبة الله ؟ قال : اذا صرفت الهم عن قلبك ، وتبعت الله في مكانه من المحبة والطاعة . قلت : يا راهب لم قد تخليت بالوحدة ؟ قال : يا اخي لو ذقت حلاوتها لاشتاقت نفسك اليها . فيا فتى الوحدة هي رأس العبادة . قلت : يا راهب ما الذي يجد العبد في الوحدة ؟ قال : يجد الراحة من مقاساة الناس الأشرار

والسلامة من شرورهم . قلت : يا راهب بم يطيب العيش ؟ قال : بالقنع في المكسب والنظر في الحـلال . قلت : يا راهب زدني في الشرح لأني ما افهم ما تقول . قال : كل حلالك وارقد حيث شئت . قلت : يا راهب بما تقطع الطرق ؟ قال : بالصوم الدائم ، والسهر القائم ، قلت : يا راهب اين طريق الراحة ؟ قال : في خلاف الهـوى . قلت : يا راهب ما الذي حملك على لبس السواد وهو لبس اهل الحزن والمصيبة ؟ قال : يا اخي إن المرأة اذا خلى ولدها اظهرت الحزن بلبس(ص٧) السواد . قلت : يا راهب هل اصابتك مصيبة ؟ قال : يا اخي وأي مصيبة تكون اعظم من مصيبة الذنوب . قلت : يا راهب لم تخليت في هـذه الصومعة ؟ قال : يا اخي رأيت كل من يمشي على الارض يعثر في رجله ، فتعلقت بهذه الصومعة لأبعد عن فتنة من في الارض وأهلها . لأنهم سارقو العقول فخفت منهم أن يسرقوا عقلي . وذلك الإنسان اذا صفا قلبه ضاقت به الارض وازداد حباً الى رب العالمين . وتفكرت في حب المال وأحببت ان ارتحل الى رب لم يزل بي رحيما . قلت : يا راهب من اين تأكل ؟ قال : من زرع لم تأض بزرعه ومن نبات لطيف طيب الخير من خزائن الرحمان التي لا تخاف النقصان . وإن الذي خلق الطاحونة هـو الذي يأتيها بالطحين . فانظر الى سنائه .

قلت : يا راهب كيف كونك في هـذه الصومعة وصبرك فيها وحالك بها ؟ قال: يا اخي كيف يكون حال من غفل عن الوعيد، وهو يريد السفر البعيد ، بلا زاد ولا استعداد . ويسكن قبراً وحشاً بلا حس ولا جليس ، ولا حاجب ولا بواب ، ويقف بين يدي (ص ٨) حكيم عادل يحكم بين عبيده بالعدل والقضاء فيقومون بين يديه عراة قد أذلهم الكرب واجهدهم العطش . وطال العناء ، وكثر البكاء ، وفنيت الدموع ، وكثر الخشوع ، ومجمهم العرق ، وهدمهم القلق ، وذلهم الفراق وطال بهـم الأرق ،

واضطربت المفاصل والأعظام ، وبرز الفصل والحكم والقضاء . وارتعدت الركب واقشعرت الجلود ، واصطكت الاسنان ، واحترقت الاقدام من طول القيام ، وبلغت القلوب الى الحناجر ، وضاقت الصدور ، وتحيرت فيها الامور ، وظهرت الجنايات ، وبرزت المخبآت ، وعرضت السيآت ، وطاشت العقول، شخصت الابصار الى النظر الى العزيز الجبار، فلا ارض تقل ولا سماء تظل ، ولا جبل يخيم ، ولا شمس تشرق ، ولا قمر ينير ، ولا كوكب يسير ، ولا بحر يجري . وقد اذعن العالمين بالمذلة ، وقد خذلت الارقاب ، وذهلت الألباب ، وتقطعت لانساب ، وتفرقت الاحزاب ، وحشرت العبـــاد ، واجتمعت الاشهاد ، ونشرت الاموات ، وخشعت الاصوات ، وطال الوقوف ، واشتد الخوف، وتزلزلت الاقدام، وحارت الاوهام واهتزت (ص ٩) الاركان ، وتغيرت الالوان ، وتحير الانسان ، وخرس اللسان، وانتصب الميزان ، ونشر الديوان ، وأوقد الجحيم وأذنت جهنم بالزفير، وحميت بالسعير وزفرت النار جداً على الكفار، نار جوهرها وشرارها شديد ، وعذابها عنيـد ، وشرابها بالمهل والصديد ، ومقامع الحديد . وما هي من العالمين بعيد ، ولاذ المتن العبيد ؟ . فالويل لمن عصاه ، فكيف يكون مثواه ، والنار مسكنه ومأواه ، فيأمر بـه الزبانية فيأخذونه ولا يحركونه . فتتخلع بيديهم اعضاؤه، وتتقصف عظامه وقواه ويذهبون به مسحوباً ، وعلى وجهه مكبوباً ، فيوثق بالسلاسل والقيود ، ويسربل عليه بالقطران ، ويتقدم معه الشيطان ، وتطبق عليـه أبواب النيران ، فيكون مسكنه الجحيم ، وطعامه الزقوم . وشرابه الصديد ، فيستغيث فلا يغاث ، ويتضرع فلا يرحم . فياله من الكرب . وعلى رأسه بالمقارع مضروب ، وعليـه العذاب منصوب ، ونار الجحيم فوق رأسه مسكوب .

ثم إن الراهب أرضى عينيه وبكى بكاءاً مراً شديداً ، فقلت: يا راهب

ما الذي يبكيك ؟ قال : ابكي على شيء ذكرته ؟ (ص) (١) وحق عرفته ، قلت : ما هو امرك ؟ قال ضيعت يوماً لم أحسن فيه عملي . وذكرت قلة الزاد وبعد الطريق وعقبة كؤدود خطاها نزولاً وصعوداً . وما ادرى أإلى جنة ام الى نار وعذاب شديد . قلت : يا راهب كيف استحليت الغربة ؟ قال : يا اخي ليس الغريب الذي مشى من بلد الى بلد . ولكن الغريب مؤمن بين فساق وعالم بين جهال لا يعرفون حقه ولا يستفيدون منه . قلت : يا راهب لم لا تنزل من هذه صومعتك وتخالطنا وتعاشرنا . فعندنا رهبان يعاشروننا ويخالطوننا ونخالطهم (٢) . قال الراهب: هيهات هيهات يا فتى كم متعبد بلسانه متعند لربه يقاد غـداً الى نار الجحيم . . . واعلم يا فتى أن الدنيا مودة سكانها للموت . كلما تزوجت الدنيا بزوج طلقة الموت وهي من الموت طالقة . فمثلها مثل الحية لأنها لينة عند ملمسها والسم في أنيابها قتال . فحين يراها رجال دون العقول تهوى اليها عقولهم فلذلك نفثت فيهم من سمها . وخالطت لهم عيشها بعد صفائها . . . ثم قلت له : بم يستعان على الدنيـا في الزهد ؟ قال : بكثرة ذكر الموت وتقصير الآمال مـع دوام العمل . قلت : يا راهب متى ترحل الدنيا عن القلوب وتسكن الحكمة في الصدور ؟ فصاح الراهب صيحة وغشي عليه ساعة واحدة حتى أفاق فقال : كيف قلت (ص ١٣) يا فتى أعد علي القول . قال : ولا والله ما ترحل الدنيا عن قلبك وتسكن الحكمة في صدرك وأنت مشغول في مكسب الدراهم الحرام والدنانير . وتستعين في مكسب الحلال وأنت مع ذلك تحب النظر الى هؤلاء » ـ وأشار بيـده الى الخلائق . . .

---

(١) وقع سهو في ترقيم صفحات المخطوطة . أما أوراق المخطوطة فكاملة لا علاقة لها بخطأ الترقيم .

(٢) لعل في قوله هذا دليلاً على نصرانيته تعليق ناشر المخطوطة)

قلت: يا راهب أريد أن اتوب واكون معك (١) . فأجاب الراهب وقال: ما الذي اصنع بك معي . الآن معطي الأرزاق يسوق رزقي الي في كل وقت ولا يكلفني الى احـد . فمن يقدر على ذلك غيره ؟ واعلم يا اخي ان العبد اذا زهد في الدنيا تعلق قلبه في ملكوت السماء . ونظر الى الدنيا بعين حقيرة . قلت : يا راهب متى يبلغ العبد درجة الكاملين ؟ قال : يا فتى عن امر عظيم قد سألت وخير جسيم فحصت . اول درجة يصعد فيها اهل الصلاح ان يكفوا النظر من اتعاب الشهوات والصبر عند البلاء (ص١٤) والشكر عند الرخاء ، والحمد عند القضاء ، وليس بعدها درجة . قلت : يا راهب (ص ١٥) مم كثرة ذنوبنا وخطايانا وقسوة قلوبنا ؟ قال : الله الحاكم فيكم . وستره المنسبل عليكم . وآماله لكم فتركتم الآخرة وقبلتم الحاضرة وحلفتم بالأيمان الكاذبة . وحكمتم الأحكام الجائرة ، فصعب عليكم دينكم وضعف يقينكم وقست قلوبكم ، وكثرت ذنوبكم ، وظهرت عيوبكم ، ولم تفرغوا عن كروبكم فأبعدتم آمالكم ، وأخفيتم اعمالكم ، وكثر في الشر كدودكم حتى فنيت آجالكم ، وأخذتم لدينكم الهوان والعيوب . وتركتم طلب العلوم ، وظهر فيكم الظلوم ، وتجرأتم على الآثام وأخفيتم اللائمة . وأظهرتم الخيانة ، وتعاملتم بالغدر ، ونشأ فيكم المكر ، وسارعتم في الشر ، وزهدتم في اكتساب الخير ، وأخذتم نعمة الله بقلة الشكر ، وطبع على قلوبكم الفخر ، وقصرتم في العمل ، وركبتم الزلل ، حتى فني منكم الأجل ، وفرحتم السذكم في العسل ، وقلوبكم ممتلئة بالدغل ، وكسبتم الآثام ، وسعيتم بالنمام وقللتم الحسنات ، وعصيتم رب السموات ، فلا ناهياً يزجر ، ولا واعظاً يأمر ، ولا خافياً حاضر ، ولا ناصحاً ظاهر ، وقل عملكم وكثر (ص ١٦) جهلكم ، وسفه حلمكم ، وظهر ظلمكم : وكثر غشكم ، وتعزز جوركم ،

---

(١) وهذا دليل ثان على تنصر صالح بن عبد القدوس ورغبته في الزهد (تعليق ناشر المخطوطة) .

وطال سهركم . . . واهتممتم في مكسب الذنوب ، وستر بعضكم على بعض العيوب ، ولم تخافوا من العـالم بالغيوب ، واستحليتم الحرام ، وتلطختم بالآثام ، وركبتم الذنوب والعصيان ، وقطعتم صلاة الرحمان ، وكثرت فيكـم الخيانة . واخترتم الهوى ، وحشوتم قلوبكم بالدغل . فكلامكم حلو وفعلكم مر وألسنتكم يابسة ، وقلوبكم عابسة ، تتحابون باللسان وتتباغضون بالقلوب . . . ونسيتم الإعراض على رب العالمين والوقوف بين يديه . وتبعتم الشهوات . وتركتم الحسنات ، وختمتم الشهادات ، وذهبتم في الخطايا . وجمعتم الاموال من الحرام . فصغاركم الجهال ، وكباركم فجار ، وهتكتم الحرم وسعيتم بالامم . ورغبتم في المظالم . وأصبحتم في الخيرات زاهدين . وسعيتم في العباد ، واكثرتم في الارض (ص١٧) الفساد ، وعصيتم الجبار ، وأطعتم الاشرار ، وجلستم في مجالس الفجار ، وتجنبتم مصاحبة الأبرار ، ولبستم الاوزار ، وعملتم اعمال اهل النار ، فإن استغنيتم بطرتم ، وإن افتقرتم كفرتم ، وإن حلفتم كذبتم ، وان أمنوكم خنتم .

قلت : يا راهب صف لي اخلاق اهل الدنيا ، ق ل : ستر بعضكم على بعض فأصلحتم بينكم . ولو انبتم بالتوبة الى ربكم في هذه الدنيا . لكان انتقلتم عن المعاصي الى طاعة الله ربكم . وهو حليم لا يعجل على مـ عصاه . ولكنكم كاذبتم الرؤساء واستحللتم الربا . فضللتم عن الهدى ، وسفكتم الدماء ، واخترتم الزنا . وأطعتم النساء . فذهب عن وجوهكم الحيا . واشتغلتم عن الآخرة في هـذه الدنيا ، فخنتم في الكيل والميزان . وتعاونتم على الارامل (ص١٨) والايتام ، وجالستم السلاطين ، وتفاضلتم على ظلم المساكين ، ولم تخافوا العذاب ، ولم تخشوا العقاب ، ولم تفكروا في الحساب ، فلا الى المظلوم تنظرون ، ولا من عالم تسمعون ، ولا عن المكروب تفرجون ، ولا في الخير ترغبون ، ولا المعاصي تتجنبون ، ولا من

الخطيئة تنتقلون ، ولا الى الله تتقربون ، وبطلتم الصلاة ، ومنعتم الزكاة ، وبطر غنيكم ، وذل فقيركم ، وبخلتم بما اعطاكم الله من نعمائه ، وانتزعتم البركة من الرباح ، وتجنيتم على الفقراء وعصيتم رب السموات ، ولم تشكروه على نعمائه ، وهو رقيب لا يغفل عنكم ويؤخركم الى يوم تقفون بين يديه ، ويفعل بكم ما يشاء ويحكم فيكم ما يريد . والله ما يريد ظلم عباده . يسألكم عن اعمالكم ويؤاخذكم بما فعلتم ، ويجازي الاخيار بإيصالهم الى النعيم المقيم ، والأشرار بتخليدهم في الجحيم والعذاب الاليم ، فيا اموات ويا بني الاموات توبوا قبل ان تتفرق الجماعات ، لتلحقوا بأهل البركات ، فالذين بنوا المدن والحصون اين هم . اشتغلوا في هذه الدنيا عن الآخرة . ففنيت اعمارهم وانقطع رجاؤهم ، نزل بهم الموت وبدد شملهم ، فخلوا الدور والقصور ، وسكنوا في ضيقة القبور ، واستقرت عليهم الجنادل والصخور ، وبقوا مرتهنين في قبورهم الى يوم الحكم والدين.

ثم إن الراهب رجع في كلامه على نفسه ، واقبل يبكي ويقول لها : تكرهين لقاء ربك الكريم عند ساعة الرحمة ، يا نفس يا نفس ما ارى لي في مشاحتك راحة ، والى اين من الموت تهربين ، والى اين من الحساب تفرين . (ثم قال) اللهم انت الذي سترت عيبي ، واظهرت محاسني ، فأسألك ان تحشرني مع المتقين . بأنك اجود الجواد وارحم الراحمين . واكرم الاكرمين . وانت رب العالمين (ثم قال) سبحانك انت الذي شاهدتهم . وانت المطلع على اسرارهم . . .

ثم إن الراهب اخفى نفسه ولم أره بعد ذلك فصحت : يا راهب بالله عليك ارشدني (ص٢٠) قال : أبلغ النظر الى محلة الاموات . واجحد الحالات في الاوقات . فقلت : يا راهب اعضدني بمن عليه اعتمد . قال: عظم ربك وكرر ذكره ؟ وكن ممن يراك حيث نهاك . ولا تكسب الحرام وتنفقه في الحلال . فإن تركه قربان الله . واقنع بالقليل ؛ لأن ما قل كفى

ونفع وهو خير مما كثر فأودى . يا فتى واذا امنك احد بشيء . فرد الامانة الى اهلها . ولا تظلم فإن الله ما يظلم احداً . وينتقم للمظلوم من الظالم . يا فتى احذر دعوة المظلوم ؛ فإنها لا تحجب عن الله . واعـلم ان الدنيا ولذاتها هي بمنزلة مال رأيته في منامك . فإذا انتبهت لم تر منه شيئاً . يا فتى لا تحسد من هو راغب في الدنيا . ولا تنازعه عليها . فكم من طلب الدنيا ولم يدركها . ومن ادركها وما شبع منها . يا فتي استحي(ص ٢١) ممن هو اليك اقرب من حبل الوريد . واذكر الموت وافتكر من عقابه . وفي انقضاء اجلك قبل ان يبعد منك املك وانظر الى ضعف خلقك ؛ لأنك من نطفة قذرة . وسيرك الى تربة حقرة . يا فتى وضع نفسك وعظم عقلك واحزن على ما فات منك . ولا تمت في غير طاعة ربك . يا فتى اكثر البكاء على ما قدمت من ذنبك . واعلم أن الندامة تأتيك حيث يأتيك الموت فلا انت الى اهلك عائد ، ولا في عملك بزائد . واعرف ما فيك من رحمة الله ربك . يا فتى اذا رأيت جنازة محمولة . فاعلم انك بعدها محمول . واعلم ان كل من خاف من الله خاف منه كل شيء . . يا فتى اشتغل بعيوبك عن عيوب غيرك . ولا تعير احداً بما هو فيه . فيبتليك الله بـه . وإياك والعجب فإن الأعمال الصالحة ما تقبل اذا مازجها العجب وإياك والبغي فإنه وخيم المصرع . يذهب الحسنات ويكثر السيئات . وإياك (ص ٢٢) اللجاجة تكسب الحيرة . . يا فتى اصـبر ولا تعجل فتندم ، ولا تحسد فتكدر عيشك . ولا تطلب طول العمر . فيوصلك الى الخرف . ولا تشمت فيشمت بك . وفكر في الآخرة لتأمن الندامة وتجنب الضحك فإنه يورث البكاء . ولا تستخف بالمتقين فتبعد من الصالحين . ولا تماسك المتعظمين . ولا تلاجج لاشرار ؛ فإن بليت بهم فاغلبهم بالخير ولا تجازهم بالشر ؛ لأن الغـالب الشر بالشر مغلوب . يا فتى الهرب الهرب ممن يمدح الحسنات ولم يفعلهـا ويذم السيئات ولم يتركها .

يا فتى وعليك بالتواضع والصدق يكسبك رضا الله والمحبة بين الناس. واصلح في العالم نيتك فتنال الراحة في آخرتك . واصفح يصفح عنك . وارحم فترحم . واغفر فتغفر . واترك الشر وافعل الخير ؛ لأنك كما تكيل يكال لك ويتوفر (ص ٢٣) يا فتى اكرم نفسك ولا تشرب المسكر لأن أوله غرام وآخره هتيكة وندامة ، ولا تجالس من يحسن لك الخطايا ويركبك إياها . فإنه ما يكسبك غير العداوة ويرميك في هوة الموت . يافتى أقصر في الكلام فتأمن السلامة في السكوت . ولتكن ممن يرجى خيره ويؤمن شره . واعلم ان كل من احبه الله ابتلاه ومن سخط عليه تركه وخلاه . يا فتى واذا تكون في شدة او في مرض لا تكثر الشكاية فيعظم ذنبك عند ربك غير انك تكون اذا اعتللت بأمر تكثر الشكر لله . يا فتى إياك والنامة فإنها تزرع الطغيان وتفرق بين المحبين . ولا تستحسن لنفسك ما لا تستحسنه لغيرك . وارض للناس بما تسترضيه لنفسك . فإن الذي يلزم لنفسه هذه الاشياء يكون قد كمل القضايا وهي صلاح في الدنيا والدين . والحمد لله رب العالمين .

ثم إن الراهب نهض من ساعته الى مخدعه (ص ٢٤) فناديته : يا راهب أدع لنا في صلواتك ؛ فمن تلك الساعة سمعت صوته وهو يتخشع في صلاته قائلا : ادعوك يا رب برحمة حبيبك يسوع المسيح سيدنا ومخلصنا الذي به اهتدينا . وبفضله استغنينا ؛ وبنعمته ارشدنا وبدعوته وفقنا . والإيمان به قربنا . وأجبر ضعفنا . ولا تلجئنا الى حيلنا وقوتنا . وأقل عثراتنا . واستجب دعواتنا ومع جملة الذين ارضوك بأعمالهم الصالحة احشرنا ومن عذاب النار وظلمة الجحيم نجنا . ومن رحمتك العزيزة لا تخيبنا . وأنقياء من الذنوب والخطايا اجعلنا . وعلى ما سلف منا في غير طاعتك لا تحاسبنا . وعندما يأتي السيد

المسيح فخلصنا يجلس على كرسي عرشه . كما قد اخبر عنه رسلنا وأنبلأونا . وساعة الموقف بين يديه لا تخجلنا ولا تفضحنا . ومن جانب يمينه اقمنا ومع العاذر المسكين واللص اليمين اجعل نعيبنا ومأوانا لأنك سميع مجيب بملائكتك المقربين آمين . ورحمة الله على القارىء والكاتب والسامعين آمين .

{ كملت قصة راهب الصين }

روايات القدماء
عن
صالح بن عبد القدوس

النص رقم (١)

قال الصفدي في كتاب نكت الهميان في نكت العميان ص ١٧١ - ٧٢، وفي فوات الوفيات (ترجمة احمد بن عبد الرحمن المغير):

« صالح بن عبد القدوس البصري، قال ابو احمد بن عدي، كان صالح بن عبد القدوس ممن يعظ الناس في البصرة، ويقص عليهم، وله كلام حسن في الحكمة، فأما في الحديث فليس بشيء، كما قال ابن معين: ولا اعرف له من الحديث إلا الشيء اليسير. قال المرزباني: كان حكيم الشعر زنديقاً متكلماً، يقدمه اصحابه في الجدال عن مذهبهم، وقتله المهدي على الزندقة شيخاً كبيراً، استقدمه من دمشق وضربه المهدي بيده بالسيف فجعله نصفين وعلق ببغداد، وقال احمد بن عبد الرحمن بن المغير: رأيت ابن عبد القدوس في النوم ضاحكاً، فقلت له: ما فعل الله بك، وكيف نجوت مما كنت ترمي به، فقال: إني وردت على رب ليس تخفى عليه خافية وانه استقبلني برحمته وقال: قد علمت براءتك مما كنت تقذف به. وكان قد أضر آخر عمره ».

وفي تاريخ بغداد ٩/٣٠٥، وطبقات ابن المعتز ص ٩٢:

النص رقم (٢)

الاغاني - ورد في جمله اخبار بشار بن برد ٣/١٤٦ - دار الكتب المصرية -

« حدث سعيد بن سلام قال: كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام، عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الاعمى، وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم بن ابي العوجاء، ورجل من الازد. قال ابو احمد يعني جرير ابن حازم فكانوا يجتمعون في منزل الازدي ويختصمون عنده، فأما عمرو وواصل فصارا الى الإعتزال، وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة، وأما بشار فبقي متحيراً مخلطاً، وأما الازدي فمال الى قول - السمنية - وهو مذهب من مذاهب الهند، وبقي ظاهره على ما كان عليه ».

النص رقم (٣)

وقال عنه ايضاً صاحب الاغاني (١٤/ ١٧٤) في ترجمة علي بن الخليل ـ وزارة التربية والتعليم ـ القاهرة .

« وهو رجل من اهـل الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني ، ويكنى ابا الحسن وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة ، وأخذ مع صالح بن عبد القدوس ثم اطلق لما انكشف امره ، وقال في ص ١٧٥ : اخبرني علي بن سليمان الاخفش قال : حدثنا احمد بن يحيى ثعلب قال : كان الرشيد قـد اخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ، فأنشده علي بن الخليل قصيدة فأطلقه الرشيد ، وقتل صالح بن عبد القدوس واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله : والشيخ الابيات . وقال : إنما زعمت أن لا تترك الزندقة ولا تحول عنها ابداً » .

النص رقم (٤)

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٩ / ٣٠٣) وما بعدها :

« صالح بن عبد القدوس ، ابو الفضل البصري ، مولى لأسد أحـد الشعراء اتهمه المهدي امير المؤمنين بالزندقة فأمر بحمله اليه ، وأحضره بين يدية ، فلما خاطبه اعجب بغزارة ادبه وعلمه وبراعته ، وحسن بيانه وكثرة حكمته ، فأمر بتخلية سبيله فلما ولى رده وقال له ، ألست القال : والشيخ (الأبيات) قال بلى يا امير المؤمنين ، قال : فأنت لا تترك اخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك ، ثم أمر بـه فقتل وصلب على الجسر ، ويقال إن المهدي أبلغ عنه ابيات يعرض فيها بالنبي (ص) فأحضره المهدي وقال له: انت القائل هذه الأبيات؟ قال لا والله يا امير المؤمنين ـ والله ما اشركت بالله طرفة عين . فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة . فلما ولى قال أنشدني قصيدتك السينية فأنشده حتى بلغ البيت ، أوله والشيخ لا يترك اخلاقه فأمر به حينئذ فقتل . ويقال إنه كان مشهوراً بالزندقة ، وله مع ابي الهذيل

العلاف مناظرات ، وشعره كله امثال وحكم وآداب ، ثم يروي رؤيا احمد ابن عبد الرحمن بن المغير » .

النص رقم (٥)

أبو العلاء المعري في رسالة الغفران ص ٣١ تحـ - بنت الشاطيء .

قال - وأحضر (١) صالح بن عبد القدوس ، وأحضر النطع والسياف فقال: علام تقتلني ؟

قال - على قولك .

رب سـر كتمته فكأني أخرس ، او ثنى لساني عقل
ولو أني اظهرت للناس ديني لم يكن لي في غير حبسي أكل

يا عدي الله وعدي نفسه .

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخـير من ستر

فقال : قد كنت زنديقاً وقد تبت عن الزندقة .

قال : كيف وأنت القائل :

والشيخ لا يترك عاداته . . . الابيات . وأخذ غفلته السياف ، فإذا رأسه يتدهدأ على النطع » .

وفي ص ٤٣٦ ورد هذا النص عن صالح بن عبد القدوس :

« وأما صالح بن عبد القدوس ، فقد شهر بالزندقة ، ولم يقتل - ولله العلم - حتى ظهرت عنه مقالات توجب ذلك ، ويروى لأبيه عبد القدوس :

كم أهلكت مكة من زائر خربهـا الله وابياتهـا
لا رزق الرحمن احياءهـا وأشوت الرحمة امواتهـا

اشوت - بمعنى اخطأت .

يقال اشوى السهم - اذا اخطأ الهدف .

ويقول : واما رجوعه عن الزندقه لما احس بالقتل ، فإنمـا ذلك على

---

(١) الحديث هنا عن الخليفة العباسي المهدي .

سبيل الختل .

والسيف حمل صالحاً على التصديق ، ورده عن رأي الزنديق » .

النص رقم (٦)

وقال ابن شاكر في كتاب فوات الوفيات (١/٣٩١)

« صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، استقدمه المهدي من دمشق قال المرزباني ، كان حكيم الشعر ، زنديقاً متكلماً ، يقدمه اصحابه فى الجدل عن مذهبهم وقتله المهدي على الزندقة شيخاً كبيراً وضربه المهدي بالسيف فجعله نصفين وعلق ببغداد . قال احمد بن عبد الرحمن : رأيت ابن عبد القدوس في المنام ضاحكاً . . . الخ » .

النص رقم (٧)

وقال عنه ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء (٦/١٢) مطبعة دار المأمون .

« صالح بن عبد القدوس بن عبد الله ، كان حكيماً أديباً فاضلا شاعراً مجيداً كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم ، وله اخبار يطول ذكرها ، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده ضربه بالسيف فشطره شطرين وعلق بضعة ايام للناس ثم دفن » .

النص رقم (٩)

وقال ابن المعتز في كتاب طبقات الشعراء ص ٩٠ وما بعدها :

حدثني محمد بن يزيد قال : حدثني العوفي قال : اخذ صالح بن عبد القدوس في الزندقة ، فأدخل على المهدي ، فلما خاطبه اعجب به ؛ لغزارة ادبه وعلمه وبراعته ، وبما رأى من فصاحته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخلية سبيله ، فلما ولى رده وقال : ألست القائل (والشيخ ـ الابيات) قال : نعم يا امير المؤمنين ، قال : وانت تترك اخلاقك ؟ ونحن نحكم في نفسك بحكمك ، فأمر به فقتل وحدثت من غير هذا الوجه بما هو عندي

أثبت من الاول ، وذلك ما رويناه أنه انهى الى الرشيد عنه هذه الابياب (رقم ٥٤) قال : لا والله يا امير المؤمنين ، وما اشركت بالله طرفة عين ، ولا تسفك دمي على الشبه فقد قال النبي (ص) - إدرؤوا الحدود بالشبهات ما استطعتم ـ وأخذ يرقق قلبه ، ويستنزله عما عزم عليه بفصاحته وبيانه ، ويتلو القرآن ، حتى رق له وأمر بتخلية سبيله ، فلما اراد ان يخرج من بين يديه قال : انشدني قصيدتك السينية فأنشده حتى اذا بلغ قوله (والشيخ لا يترك . . .) . قال : يا شيخ هذا الكلام يشبه هذا الكلام ، وهـذا الشعر من نمط ذلك الشعر ـ يعني الابيات التي نسبت اليه . ونحن نتمثل ، وصيتك ، ثم امر فضربت عنقه وصلب على الجسر .

وحدثني ابو جعفر قال : حدثني زياد بن احمد قال : إجتمع قوم من اهل الادب في مجلس فيهم صالح بن عبد القدوس يتناشدون الاشياء ، الى ان حانت الصلاة فقام القوم الى ذلك ، وقام صالح فتوضأ واحسن ثم صلى أتم صلاة واحسنها، فقال بعضهم: أتصلي هذه الصلاة ومذهبك ما تذكر؟ فقال : إنما هو رسم البلد وعادة الجسد (١) . والله اعلم تحقيق ذلك ، أما الرجل فله في الزهد في الدنيا والترغيب في الجنه والحث على طاعة الله عز وجل والامر بمحاسن الاخلاق ، وذكر الموت والقبر ما ليس لأحـد . وكان شعره كله امثالاً وحكماً . (وذكر منام احمـد بن المغير) واشعاره كثيرة إلا انها موجودة عند جميع الناس مستفيضة فيهم ، فاقتصرنا على ما ذكرنا منهـا » .

النص رقم (٩) :

وقال الجاحظ في البيان والتبيين (٢٠٦/١) ت/ عبد السلام هارون . « لو ان شعر صالح بن عبد القدوس ، وسابق البربري كان مفرقاً في

---

(١) ان كان (صالح) حقاً على مذهب المانوية ، فان صلاة ماني أعقد وأطول من صلاة المسلمين ، راجعها في الفهرست ص ٤٧٩ ـ ٨٠ .

اشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار ارفع ممـا هي عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ولكن القصيدة اذا كانت كلها امثالاً لم تسر ، ولم تجر مجرى النوادر ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك عنده موقع .

النص رقم (١٠)

وقال المرتضى في اماليه (١ / ١٤٤) دار إحياء الكتب .

« وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهراً بمذاهب الثنوية ، ويقال إن ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه، ثم قال له على اي شيء تعزم يا صالح؟ فقال : استخير الله وأقول بالإثنين . فقال ابو الهذيل : فأيهما استخرت لا ام لك ؟

وروى ان ابا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الإمتزاج الذى ادعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع وانشأ يقول :

ابا الهذيل هداك الله يا رجل فأنت حقاً لعمري معضل جدل

(ثم ذكر محاكمة المهدي له ، وموضوع صلاته في المسجد) .

ويقال إنه لما اراد المهدي قتله على لزندقة رمى اليه بكتاب ، وقال له : إقرأ هذا ، قال : وما هو ؟ قال : كتاب الزندقة ، قال صالح : او تعرفه انت يا امير المؤمنين اذا قرأته ؟ قال لا ، قال : افتقتلني على ما لا تعرف ! قال: فإني اعرفه ، قال صالح : فقد عرفته ولست بزنديق . وكذلك اقرؤه ولست بزنديق .

النص رقم (١١) :

وقال ابن تعزى بردى في كتاب النجوم الزاهرة (٢/ ٢٩) :

« قال خلف بن المنى : كان يجتمع بالبصرة عشرة في مجلس لا يعرف مثلهم : الخليل بن احمد صاحب العروض سني ، والسيد محمد الحميري الشاعر رافضي ، وصالح بن عبد القدوس ثنوي ، وسفيان بن مجاشع

صفري ، وبشار بن برد خايع ماجن ، وحماد عجرد زنديق وابن رأس الجالوت الشاعر يهودي ، وابن نظـير النصراني متكلم ، وعمرو بن اخت المؤيد مجوسي، وابن سنان الحراني صابي . فيتناشد الجماعة اشعاراً وأخباراً فكان بشار يقول ابياتك هذه يا فلان احسن من سورة كذا كذا . وبهـذا المزاح ونحوه كفروا بشاراً » .

النص رقم (١٢)

وقال الذهبي في كتاب ميزان الإعتدال (٢٩٧/٢) رقم ٣٨١٠ ، دار إحياء الكتب العربية :

« صالح بن عبـد القدوس ، ابو الفضل الازدي ، صاحب الفلسفة والزندقة قال النسائي: ليس بثقة . قلت : لا اعرف له رواية . قتله المهدي على الزندقة ، قال ابن معين ليس بشيء . وقال ابن عـدي كان يعظ بالبصرة ويقص ، ولا اعرف له من الحديث إلا السير ، ويذكر قصة منام احمد بن المغير » .

النص رقم (١٣)

جاء في كتاب الامتاع والمؤانسة للتوحيدي (٢٠/٢) ما يلي :

« وإنما دخلت الآفة من قوم دهريين ملحدين ركبوا مطية الجدل والجهل ومالوا الى الشغب بالتعصب، وقابلوا الأمور بتحسينهم وتقبيحهم وتهجينهم، وجهلوا ان وراء تلك ما يفوت ذرعهم، ويتخلف عن لحاقه رأيهم ونظرهم ويعمى دون كنه ذلك بصرهم، وهذه الطائفة معروفة، منهم صالح بن عبد القدوس ، وابن ابي العوجاء ، ومطر بن ابي الغيث ، وابن الراوندي ، والصيمري ، فإن هؤلاء طاحوا في اودية الضلالة واستجروا الى جهلهم اصحاب الخلاعة والمجانة » .

النص رقم (١٤)

وقال اليعقوبي في كتاب مشاكلة الناس لزمانهم :

«فكان ـ اي المهدي العباسي ـ قصده قتل الزنادقة وذلك انهم كانوا قد كثروا ومما كان ابن المقفع ترجم عن كتب ماني الثنوي . وكتب ابن ديصان الثنوي وغيرهما . وما وضعه ابن ابي العوجاء ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد ، ومطيع بن أياس ، وملأوا بـه الأرض من كتب الملحدين وكثرت الزنادقة وفشت كتبهم في النّاس وكان اول خليفة امر المتكلمين ان يضعوا الكتب على اهـل الإلحاد»

ملاحظة ـ إن اليعقوبي لم يذكر صالح بن عبد القدوس مع هؤلاء الذين نعتهم بالزندقة .

النص رقم (١٥)

وقال اليعقوبي في تاريخه (٣/١٣٨) ط / النجف الاشرف .

«وأتي بصالح بن عبدالقدوس فاستتابه (المهدي) فتاب ، فلما خرج من عنده ذكر له قوله (والشيخ . . . الابيات) قال (اي المهدي) وإنك لتقول هذا ؟ فرده فضرب عنقه ولم يستتبه» .

النص رقم (١٦)

وقال السيوطي في كتاب تاريخ الخلفاء (ص ٢٧٤ ـ ٥) مطبعة المدني ١٩٦٤ .

«وقال قريش الختلي: رفع صالح بن عبد القدوس البصري الى المهدي في الزندقة فأراد قتله فقال: اتوب الى الله، وأنشده لنفسه (والشيخ، الابيات) فصرفه ، فلما قرب من الخروج رده . فقال : ألم تقـل والشيخ لا يترك اخـلاقه ؟ قال بلى ، قال: فلذلك انت لا تدع اخلاقك حتى تموت ، ثم امر بقتله» .

النص رقم (١٧)

وقال الزركلي في كتاب الأعلام (٣/٢٧٧) :

«صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي ، مولاهم ابو الفضـل .

شاعر حكيم . كان متكلماً يعظ الناس في البصرة . له مع ابي الهذيل العلاف مناظرات وشعره كله امثال وحكم وآداب . واتهم عند المهدي العباسي بالزندقة فقتله ببغداد قال المرتضي (حادثة الصلاة) وعمى في آخر عمره » .

(علقه امير المؤمنين المهدي ببغداد، بعدما ضربه بالسيف فقده نصفين وكان مولعاً بقتل الزنادقة: رغبة الأمل ٣/١٠٧، حاشية في الاعلام ٣/٢٧٧)

النص رقم (١٨)

قال ابن نباته المصري في كتاب سرح العيون (ص١٢٧) . الطبعة الأولى:

« مات لصالح بن عبد القدوس ولد فمضى اليه ابو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالنبع له فرآه محترقاً، فقال ابو الهذيل: لا اعرف لجزعك وجهاً اذا كان الناس عندك كالزرع فقال صالح : يا ابا الهذيل إنما اجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال ابو الهذيل : وما كتاب الشكوك قال : كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم إنه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان ، فقال له النظام : فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وإن مات وشك ايضاً في أنه قد قرأ هذا الكتاب وإن لم يكن قرأه . فحصر صالح وكان مذهبه مذهب السوفسطائية فإنهم يزعمون أن الأشياء لا حقيقة لها ، وأن ما يستعيده الإنسان يجوز ان يكون على ما شاهده ويجوز ان يكون على غير ما شاهده وأن حال اليقظان كحال النائم » .

النص رقم (١٩)

قال عبد الرحمن بن سنبط قنيتو الأربلي في كتاب خلاصة المذهب المسبوك (ص ١٠٠) :

« ثم دخلت سنه سبع وستين ومائة ، فيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى امرهم عمر الكلوذاني فأخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور فأمر فحبس وهرب من الحبس واتهم المهدي صالح

ابن عبد القدوس البصري بالزندقة فأمر بحمله اليـــه فأحضره فلما خاطبه اعجب بغزارة ادبه وعلمه وحسن ثنائه فأمر بتخلية سبيله فلما ولى رده وقال: ألست القائل(والشيخ ، الأبيات)؟ قال بلى ، قال: انت لا تترك اخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك ثم امر به فقتل وصلب على الجسر ، قال ابن ثابت وقيل إنه بلغه عنه ابيات يعرض فيهـا بالنبي (ص) قال إنه كان مشهوراً بالزندقة وله مع ابي الهذيل مناظرات » .

النص رقم (٢٠)

وقال الدلجي في كتاب الفلاكة والمفلوكون (ص ١٧١) :

« وهذا الرجل (يعني صالح بن عبد القدوس) اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله اليـه ، فلما خاطبه اعجب بغزارة علمه وأدبه وحسن ثباته فأمر بإطلاقه فلما ولى رده وقال : ألست القائل (والشيخ . . . الابيات ؟ فقال : بلى ، فقال : وانت لا تترك اخلاقك ، فأمر به فقتل سنة ١٦٧ هـ ، فانظر الى الفلاكة قال حكمة فكانت سبباً في قتله » .

الفصل الرابع

ديوان
صالح بن عبد القدوس

(١)

١ رأيت صغير الامر تنمي شؤونه	فيكبر حتى لا يحـد ويعظم
٢ وإن عناءاً أن تفهم جاهلا	فيحسب جهلا أنه منك افهم
٣ متى يبلغ البنيـان يوماً تمامه	اذا كنت تبنيه وغيرك يهـدم
٤ متي يفضل المثري اذا ظن انه	اذا جاد بالشيء القليل سيعدم
٥ متى ينتهي عن سيء من اتى به	اذا لم يكن منـه عليه تندم
٦ وما الرزق إلا قسمة بين اهله	فلا يعدم الأرزاق مثر ومعدم
٧ ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه	لئيم ولن يستطيعه متكـرم
٨ كما إن ماء المزن ما ذيق سائغ	زلال وماء البحر يلفظه الغم

١ ـ المصدر

الابيات ٢، ٣ ، ٤ في تهذيب ابن عساكر ٣٧٥/٦ .

الابيات : ١، ٢ ، ٣ في الحماسة البصرية ٤٠/٢ ، الحماسة ـ البحتري ص ٢٠٩ .

الابيات: ٢، ٣، ٥ في الامالي ـ للقالي ٩٤/٢ . وهدية الامم ص٥٥ .

الابيات : ٢ ، ٣ في نهاية الارب ـ للنويري ٨٢/٣ .

الابيات : ٦ ،٧، ٨ في الحماسـة ـ للبحتري ص ٣٤٩ ، ومجموعـة المعاني ص ١٦١ .

التحقيق :

ورد البيت الثاني في ادب الدين والدنيا ـ للماوردي ص ٦١ :

« . . . فيحسب جهلا أنه منك اعلم » .

والبيت الخامس ورد في حماسة البحتري ص ٢٤٦ منسوباً للسموأل خطأ.

والبيت السابع (كأن ماءاً) لا يستقيم به الوزن .

(٢)

١ لا تجد بالعطاء في غير حق   ليس في منع غير ذي الحق بخل

٢ انما الجود ان تجود على من   هو للجود منك والبذل اهل

٣ إن يكن ما به أصبت جليلا   فذهاب العزاء منه اجل

٤ كل آت لا شك آت وذو الجهل مغنى والغم والحزن فضل

(٣)

١ تخير من الاخوان كل ابن حرة   يسرك عند النائبات بلاؤه

٢ وقارن ـ اذا قارنت ـ حراً فإنما   يزين ويزري بالفتى قرناؤه

٣ حبيباً وفياً ذا حفاظ بغيبة   وبالبشر والحسنى يكون لقاؤه

٤ اريب اذا شاورت في كل مشكل   اديب يسوء الحاسدين بقاؤه

٥ ولن يهلك الإنسان إلا اذا اتى   من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه

---

٤ ـ المصدر :

البيتان : ١ ، ٢ في نهاية الارب ٣/٨٢ ، في اللطائف والظرائف ص ٥٥ ، في البيان والتبيين ٤/٢٢ .

البيتان ٣، ٤ في نهاية الأرب ـ للنويري ٣/ ٨٢ وفي الكامل ـ للمبرد ٢/٧ وفي البيان والتبيين ٢/ ٧٤ .

البيت ٤ في تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧٦، وفى كتاب(الادب والمروءة)

---

٣ ـ المصدر : الابيات ١ ، ٢ ،٣، ٤ ،٥ ، ٦ ، ٨ في تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧٥، ٣٧٦ . ٢، ٥، ٧: في لباب الآداب ـ لابن منقذ ص ٢٧، ٢٨ . و ٧ ، ٩ في ص ٢٨٥ المصدر نفسه ، وفي الماوردي ص ٢٧٥ ، ونفح الازهار ص ٦٢ ، و ١٠ ، ١١ ، في ادب الدين والدنيا ـ الماوردي ص ١٦٩ .

والبيت ٥ في كتاب الأدب والمروءة الملحق بهذا البحث لصالح بن جناح . والبيت ٧ في رسالة التشبيهات ص ١٩ بلا عزو .

٦ تمسك بهـذا إن ظفرت بوده		فهنيك منـه وده ووفاؤه
٧ اذا قل ماء الوجـه قل حياؤه		ولا خير في وجه اذا قل ماؤه
٨ اذا المرء لم يصحب صديقاً موافياً		على اي حال كان خاب رجاؤه
٩ حياءك فاحفظه عليك فإنمـا		يدل على فضل الكريم حياؤه
١٠ ويظهر عيب المرء في الناس بخله		ويستـره عنهم جميعاً سخاؤه
١١ تغط بأثواب السخاء فإنني		ارى كل عيب والسخاء غطاؤه

— ٤ —

١ لا تذع سـراً الى طالبـه		منك إن الطالب السر مذيع
٢ وأمت سرك إن السـر إن		جاوز اثنـين سينمى ويشيع

(٥)

١ الدار جنة عدن إن عملت بما		يرضي الإله وإن فرطت فالنار
٢ هما محلان ما للناس غـيرهما		فانظر لنفسك ماذا انت مختار

---

٤ ـ المصدر :

البيت ١ ورد في لباب الآداب ص ٢٤٠ .

والبيتان ١ ، ٢ وردا في الحماسة ـ للبحتري ص ٢٢٧ .

التحقيق :

وقد رواه الماوردي ص ٢٨١ بلفظ مقارب :

(لا تذع سـراً الى طالبه		منك فالطالب للسر مذيع)

ونقله المستطرف ١/ ٨٤ نثراً .

---

٥ ـ المصدر :

أدب الدين والدنيا ـ الماوردي ص ١١٥ .

المنازل والديار ـ ابن منقذ ٢/٩٧ .

(كتب رجل لصالح بن عبد القدوس :

الموت باب وكل الناس داخله		فليت شعرى بعد الباب ما الدار؟

(٦)

١ لا يعجبنك من يصون ثيابه حـذر الغبار وعرضه مبذول
٢ ولربما افتقر الفتى فرأيتـه دنس الثياب وعرضه مغسول

(٧)

١ أنست بوحدتي ولزمت بيتي فتم العـز لي ونمـا السرور
٢ وأدبني الزمـان فليت أني هجرت فلا أزار ولا أزور
٣ ولست بقائل ما دمت حياً أسار الجند أم نزل الأمـير
٤ ومن يك جاهلا برجال دهر فإني عـالم بهـم خبـير
٥ كأنهم اذا فكرت فيهم ذئاب او كلاب او حمـير

= فأجابه (صالح) بالبيتين ، وبيت السائل لأبي العتاهية .

تحقيق :

كيف يجيب من اتهم بالزندقة او بالدهرية بمثل هـذا الجواب الذي يعكس الآيدولوجية الاسلامية بهذا الموضوع ؟

---

٦ ـ المصدر :

تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧٤ عن ابن حبيب المفسر .

نكت الهميان ـ الصفدي ص ١٧١ .

فوات الوفيات ـ الكتبي ١/٣٩٢ .

عصر المأمون ـ رفاعي ١/٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

تاريخ آداب اللغة العربية ـ زيدان ٢/١٠٠ .

هداية الأمم ص ١٤٥ .

---

٧ ـ المصدر :

تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧٥ .

نكت الهميان ـ الصفدي ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٨)

١ اذا لم تستطع شـيئاً فدعه وجاوزه الى ما تسـتطيع

(٩)

١ المـرء يجمع والزمان يفرق ويظـل يرقع والخطوب تمزق
٢ ولئن يعادي عاقلا خـير له من أن يكون له صديق أحمق
٣ فاربأ بنفسك أن تصادق احمقاً إن الصديق على الصديق مصدق
٤ وزن الكلام اذا نطقت فإنمـا يبدي عقول ذوي العقول المنطق
٥ ومن الرجال اذا استوت اخلاقهم من يستشار اذا استشير فيطرق
٦ حتى يحـل بكل واد قلبـه فيرى ويعرف ما يقول فينطق
٧ فبذاك يوثق كل أمر مطلق وبذاك يطلق كل أمر موثق
٨ لا ألفينك ثاوياً في غربـة إن الغريب بكل سهم يرشق

= فوات الوفيات ـ الكتبي ١/٣٩١ .

تاريخ آداب اللغة العربية ـ زيدان ٢/١٠٠ .

دائرة المعارف ـ البستاني ص ٦٨٥ .

وفي التفاحة الوردية ـ السحلادي تنسب ١/٢ الى عبـد الله المتوفى ورقه ٥٧ مع تغير بسيط .

٨ ـ المصدر : حياة الحيوان الكبرى ـ الدميرى ١/٢٩ .

عصر المأمون ـ رفاعي ١/٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

وفي الأصمعيات ـ الأصمعي ينسب لعمرو بن معد يكرب .

وكذلك في خزانة الأدب ـ البغدادي .

٩ ـ المصدر :

الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ . في تهذيب ابن عسـاكر ٦/٣٧٣ ،

٩ ما الناس إلا عاملان فعامل	قد مات من عطش واخر يغرق
١٠ وإذا امرؤ لسعته أفعى مرة	تركته حـين يجر حبل يفرق
١١ والناس في طلب المعاش وإنما	بالجـد يرزق منهم من يرزق
١٢ لو يرزقون الناس حسب عقولهم	ألفيت اكثر من ترى يتصدق
١٣ لكنه فضل المليك عليهم	هـذا عليه موسع ومضيق
١٤ واذا الجنازة والعروس تلاقيا	ورأيت دمع نوائح يترقرق
١٥ سكت الذي تبع العروس مبهتاً	ورأيت من تبع الجنازة ينطق
١٦ بقي الأولى إما يقولوا يكذبوا	ومضى الأولى اما يقولوا يصدقوا

ومنها :

١٧ إن الأريب اذا تفكر لم يكد	يخفى عليه من الامور الأوفق
١٨ فهناك تشعب ما تفاقم صدقه	وبذاك ترتق كل امر يفتق
١٩ واذا استشرت ذوي العقول فخيرهم	عند المشورة من يحن ويشفق
٢٠ لو سار الف مدجج في حاجة	لم يقضهـا إلا الذي يترفق
٢١ إن الترفق للمقـيم موافق	واذا يسافر فالترفق أوفق

= و ٣٧٤ بثلاث روايات .

الابيات : (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٦) في ميزان الاعتدال ــ الذهبي ٢/٢٩٧ . تاريخ بغداد ـ البغدادي ٩/٣٠٤ . المثل السائر ١/١٠٩ .

الابيات : (١ ــ ١٠) في حياة الحيوان الكبرى ــ الدميري ١/٢٨ عدا السابع .

الأغاني ـ الاصفهاني ٩/٣٠٤ .

عصر المأمون ـ رفاعي ١/٤٠٤ . =

(١٠)

القصيدة البائية المعروفة ـ بالزينبية ـ :

١ صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تغير وتقلب
٢ نشرت ذوائبها التي تزهو بها سوداً ورأسك كالثغامة اشيب
٣ واستنفرت لما رأتك وطالما كانت تحن الى لقاك وترغب
٤ وكذاك وصل الغانيات فإنه آل ببلقعة وبرق خلب
٥ فدع الصبا فلقد عداك زمانه وازهد فعمرك مر منه الاطيب
٦ ذهب الشباب فماله من عودة وأتى المشيب فأين منه الهرب
٧ دع عنك ما قد كان في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
٨ واذكر مناقشة الحساب فإنه لا بد يحصى ما جنيت ويكتب
٩ لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
١٠ والروح فيك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
١١ وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب

= الابيات: ٥ ، ٦ ١٧، ١٨، ١٩ من اللطائف والظرائف ص ٤٨ .

الابيات : ١ ــ ٢٠ في أعلام الناس ـ الأتليدي ص١٩٨ عدا السابع، والابيات ١ ، ٢ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ١٠ في الفلاكة والمفلوكون ص ١٧١ .

التحقيق :

ورد مطلع البيت (٣) في ميزان الإعتدال . . . فارغب بنفسك .

ورد عجز البيت (١٣) في المثل السائر . . . ألفيت جمعاً كله يتفرق ، والبيت (٣) . . . فارباً بنفسك لا تصادق احمقاً .

ورد مطلع البيت (٩) في الاغاني . . . وإن امرؤ لسعته . . .

البيت (١٥) في الأصل (بقي الذين اذا . .) و (مضى الذين اذا . .) ولا يستقيم وزن البيت إلا على حساب جزم الأفعال بغير جازم .

والبيت (٧) فيه اقواء .

١٢ والليل فاعلم والنهار كلاهما | أنفاسنا فيهـا تعد وتحسب
١٣ وجميـع ما خلفته وجمعته | حقاً يقيناً بعد موتك ينهب
١٤ تباً لدار لا يدوم نعيمهـا | ومشيدها عمـا قليل يخرب
١٥ فاسمع هديت نصيحة أولاكها | بر نصوح للأنام مجرب
١٦ صحب الزمان وأهله مستبصر | ورأى الامور بما تؤوب وتعقب
١٧ لا تأمن الدهر الخؤون فإنه | ما زال قدماً للرجال يؤدب
١٨ وعواقب الايام في غصاتها | مضض يذل له الأعز الأنجب
١٩ فعليك تقوى الله فالزمها تفز | إن التقي هو البهي الأهيب
٢٠ واعمل بطاعته تنل منه الرضا | إن المطيع له لديه مقرب

المصدر: المخطوطة (التفاحة الوردية في شرح القصيدة الزينبية) شرحها عبد المعطي بن سالم بن عمر الشبلي السملاوي أحـد علماء القرن الحادى عشر - دار الكتب المصرية - مجاميع (٣٥٢)، الناسخ - مصطفى الحسيني المالكي، وقد فرغ من نسخها في شهر ربيع الثاني من شهور سنة تسع وسبعين وماية وألف (١١٧٩ هـ) كمـا جاء في آخر المخطوطة، وفي مكتبة السيد محمد عبد الجبار المعيبد - البصرة، نسخة خطية لها، وهي التي اعتمدنا عليها. أما شرح القصيدة فليس له قيمة أدبية، فقد شط الشارح فيه الى نواحي لا علاقة لهـا بالقصيدة. وقد نسبها الى الإمام علي ابن ابي طالب (ع) وإنه غير ثقة في ذلك، كما انه نسب بعض أبيات صالح بن عبد القدوس مع تغيير بسيط الى (عبد الله المنوفي)؟

حياة الحيوان الكبرى - الدميري ١/ ٢٩.

أعلام الناس - الأتليدي ص ١٩٧.

وردت الابيـات (١، ٤، ٥، ٣٢، ٥٣) في معجم الأدباء الحموي ١٢/٦ - ٨.

وردت الأبيات (٢٧، ٤٢، ٤٥، ٤٨، ٥١، ٥٤، ٥٧) في عصر =

٢١ واقنع ففي بعض القناعة راحة   واليأس مما فات فهو المطلب
٢٢ فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة   فلقد كسي ثوب المذلة اشعب
٢٣ وتوق من غدر النساء خيانة   فجميعهن مكايد لك تنصب
٢٤ لا تأمن الأنثى حياتك إنها   كالأفعوان تراع منه الأنيب
٢٥ لا تأمن الأنثى زمانك كله   يوماً ولو حلفت يميناً ، تكذب
٢٦ تغري بلين حديثها وكلامها   واذا سطت فهي الصقيل الأشطب
٢٧ وابدأ عدوك بالتحية ولتكن   منه زمانك خائفاً تترقب
٢٨ واحذره إن لاقيته متبسماً   فالليث يبدو نابه إذ يغضب
٢٩ إن العدو وإن تقادم عهده   فالحقد باق في الصدور مغيب
٣٠ واذا الصديق لقيته متملقاً   فهو العدو وحقه يتجنب
٣١ لا خير في ود امويء متملق   حلو اللسان وقلبه يتلهب
٣٢ يلقاك يحلف انه بك واثق   واذا توارى عنك فهو العقرب
٣٣ يعطيك من طرف اللسان حلاوة   ويروغ منك كما يروغ الثعلب
٣٤ وصل الكرام وإن رموك بجفوة   فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
٣٥ واختر قرينك واصطفيه تفاخراً   إن القرين الى المقارن ينسب

= المأمون ـ رفاعي ٢/٤٠٣ ـ ٤ .
وردت ابيات متفرقة في مجاني الأدب ـ شيخو ٨٩/٤ .
التحقيق : جاء في المخطوطة ورقة ٥ ب عجز البيت الأول . . . والدهر فيه تصرم وتقلب .
وصدر البيت ٧(ورقة ١٠ أ)، ودع عنك ما قد فات في زمن الصبا . .
وفي البيت ٨ (ورقة ١٠ب) ، واخش مناقشة الحساب . . .
وعجز البيت ١١ (ورقة ٢٠ أ) ، دار حقيقتها تزول وتذهب .
وفي البيت ١٣ (٢٠ ب) ، وجميع ما حصلته . . . .
وجاء البيت ١٥ (ورقة ٢٦ أ) : =

٣٦ إن الغني من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرهب
٣٧ ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب
٣٨ والفقر شين للرجال فإنه ... حقاً يهون به الشريف الأنسب
٣٩ واخفض جناحك للأقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم إن أذنبوا
٤٠ ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً ... إن الكذوب يشين حراً يصحب
٤١ وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل ناد يخطب
٤٢ واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب
٤٣ والسر فاكتمه ولا تنطق بـه ... إن الزجاجة كسرها لا يشعب
٤٤ وكذاك سر المرء إن لم يطوه ... نشرته ألسنة تزيد وتكذب
٤٥ لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
٤٦ ويظل ملهوفاً يروم تحيـلا ... والرزق ليس بحيلة يستجلب
٤٧ كم عاجز في الناس يأتي رزقه ... رغداً ويحرم كيس ويخيب

= فاسمع هديت نصائحاً أولاكها ... حـبر لبيب عاقل متأدب

وجاء البيت ١٩ (ورقة ٢٦ ب) :

ذهب الزمان حقيقة بتبصر ... والى الأمور سبايب وتعقب

وجاء البيت ٢٧ ورقة ٣٢ ب ، ويسر بالترحيب .

وجاء البيت ٣٨ ورقة ٢٩ ب :

والفقر شـين من الرجال لأنه ... يزري بمن يدعى الشريف الأنسب

وجاء البيت ٤٠ ورقة ٥٩ أ :

ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً ... إن الكذوب لشين خل يصحب

وجاء البيت ٤٨ ورقة ٤١ ب :

أد الامانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

وجاء البيت ٥٠ ورقة ٥٥ ب :

وإذا أصابك في زمانك شدة ... وأصابك الخطب الكريه الأصعب

٤٨ وارع الأمانة والخيانة فاجتنب	واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب
٤٩ واذا اصابك نكبة فاصبر لها	من ذا رأيت مسلماً لا ينكب
٥٠ واذا رميت من الزمان بريبة	او نالك الأمر الأشق الأصعب
٥١ فاضرع لربك إنه أدنى لمن	يدعوه من حبل الوريد وأقرب
٥٢ كن ما استطعت عن الأنام بمعزل	إن الكثير من الورى لا يصحب
٥٣ واحذر مصاحبة اللئيم فإنه	يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
٥٤ واحذر من المظلوم سهماً صائباً	واعلم بأن دعاءه لا يحجب
٥٥ واذا رأيت الرزق عز ببلدة	وخشيت فيها أن يضيق المذهب
٥٦ فارحل فأرض الله واسعة الفضا	طولا وعرضاً شرقها والمغرب
٥٧ فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي	فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

= وجاء البيت ٥٣ ورقة ٥٩ :

واحذر مواخاة الدني لأنها ... تعدي كما يعدى السليم الاجرب

وفي معجم الأدباء ٦/١٢ - ٨ :

واحذر معاشرة الدني فإنها ... تعدي كما يعدي الصحيح الأجرب

وهناك فروق أخرى طفيفة في المخطوطة لا تستحق الذكر ، وقد اعتمدت في تسلسل أبيات القصيدة على الدميري - في حياة الحيوان الكبرى ، والاتليدي - أعلام الناس .

جاء في تاريخ بغداد - البغدادي ٣٠٢/٩ حول تضمين قول رسول الله « ص » في البيت ٥٤ .

قال رسول الله لعلي: (اتق يا علي دعوة المظلوم، فإنما يسأل الله حقه، وإن الله لن يمنع ذا حق حقه) .

(١١)

١ تأوبني هـم فبت أخاطبه — وبت أراعي النجم ، ثم أراقبه

٢ لما رابني من ريب دهر أضرني — فأنيابـه يبريننني ومخالبه

٣ وأسهرني طول التفكر ، إنني — عجبت لدهر ما تقضي عجائبه

٤ أرى عاجزاً يدعى جليداً لغشمه — ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

٥ وعفاً يسمى عاجزاً لعفافه — ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه

٦ وأحمق مصنوعاً له في أموره — يسوده اخوانـه وأقاربـه

٧ على غير حزم في الامور ولا تقى — ولا نائل جزل تعـد مواهبه

٨ وليس بعجز المرء إخطاؤه الغنى — ولا باحتيال ادرك المال كاسبه

٩ ولكنه قبض الإله وبسطه — فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه

١٠ اذا كمل الرحمن للمرء عقله — فقد كملت أخـلاقه ومناقبه

١٢

وقال يرثي نفسه بفقده بصره ، وهي من أجود شعره :

١ عزاءك أيهـا العين السكوب — ودمعك انهـا نوب تنوب

٢ وكنت كريمتي وسراج وجهي — وكانت لي بك الدنيا تطيب

٣ فإن أك قد ثكلتك في حياتي — وفارقني بك الألف الحبيب

---

١١ ـ المصدر : طبقات الشعراء ـ ابن المعتز ص ٩٢ .

ويعلق ابن المعتز في نهاية القصيدة بقوله « فيا عجباً كيف يمكن أن يقول زنديق مثل هذا القول ؟ وكيف يكون قائله زنديقاً ؟ »

نسبت بعض هذه الابيات لأبي تمام في قصيدته « أهن عوادي يوسف وصواحبه » . وفي معجم الشعراء ـ المزرباني ص ٤١٧ نسب بعضها لأبي بكر العرزمي محمد بن عبيد الله . وهي الابيات ٤ ، ٥ ، ٨ . وفي البيت الرابع وردت لكلت بدلاً من لفلت .

١٢ ـ المصدر : نكت الهميان ـ الصفدي ص ٧١ ـ ٧٢ .

٤ فكل قرينــة لا بد يوماً   سيشعب الفها عنها شعوب
٥ على الدنيا السلام فما لشيخ   ضرير العين في الدنيا نصيب
٦ يموت المرء وهو يعــد حيــاً   ويخلف ظنه الامل الكذوب
٧ يمنيني الطبيب شفــاء عيني   وما غير الإله لهــا طبيب
٨ اذا ما مات بعضك فابك بعضاً   فان البعض من بعض قريب

(١٣)

١ ايها اللائمي على نكد الدهـ   ـر لكل من البلاء نصيب
٢ قـد يلام البريء من غير ذنب   وتغطى من المسيء الذنوب
٣ ويحول الاحوال بالمرء والدهـ   ـر له في صروفــه تقليب

(١٤)

أبا الهذيل هداك الله يا رجل   فأنت حقاً لعمري معضل جدل

(١٥)

١ وماعدم العادي على الناس ظالماً   ولا خاب مظلوم عفا حين يظلم

---

١٣ ـ المصدر : تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧٢ .

---

١٤ ـ المصدر : أمالي المرتضى ١/١٤٤ .

(روي أن ابا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الإمتزاج الذي بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ يقول . . . البيت) .

تعليق : إن موضوع المناظرة كان مع احد المانوية ، وليس مع صالح ابن عبد القدوس ، وبعد أن قطع ابو الهذيل المانوي ؛ قال صالح هــذا البيت . وتجــد ذلك تفصيلا في فصل اخبار صالح بن عبد القدوس . . والله اعـلم .

---

١٥ ـ المصدر : الحماسة للبحتري ص ١٦٧ .

وفي الاصل (وما غنم) ولا يستقيم المعنى إلا بتأويل بعيد .

(١٦)

١ فسائل إن منيت بأمر شك فان الشك يقتله اليقين

(١٧)

١ فأكثر من تلقى يسرك قوله ولكن قليل من يسرك فعله

٢ وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي فأدبني هذا الزمان وأهله

(١٨)

١ تود عدوي ثم ترعم أنني صديقك ليس النوك منك بعازب

٢ بلوتك في أشياء ، منها منحتني أماني مجاج وفيك مخالب

٣ وليس أخي من ودني رأى عينه ولكن أخي من ودني في المغايب

٤ ومن ماله مالي اذا كنت معدماً ومالي له إن عض دهر بغارب

٥ فما أنت إلا « كيف انت؟ ومرحباً » وبالبيض رواغ كروغ الثعالب

---

١٦ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٢٠٤ .

تعليق : في الاخبار ، إن صالح بن عبد القدوس ، من الشكاك الكبار واتهم بتأليف كتاب كبير اسمه « الشكوك » ونعت هذا الكتاب بأنه أخطر الكتب في الشك ، وقد وضعوا صفته على لسان صالح نفسه ، بأنه كتاب من قرأه شك فيما كان من يتوهم أنه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان ، وهذا البيت ، دليل آخر على تدين صالح ، وبعده عن الشك والزندقة دليل آخر على كثرة ما صنع ودس عليه .

---

١٧ ـ المصدر : هدية الامم ص ١٣١ .

---

١٨ ـ المصدر : البصائر والذخائر ـ التوحيدي ١/ ٣٥ .

(وتنسب هذه الابيات مرة لبشار بن برد ومرة للعتابي ، وأخرى لصالح بن عبد القدوس) .

التحقيق : ورد البيت ١ ، ٣ . في الحماسة ـ البحتري ص ٢٨٠ هكذا :

(١٩)

١ اذا كنت لا ترجى بدفع ملمة　　ولم يك للمعروف عندك موضع

٢ ولا انت ذو جاه يعاش بجاهه　　ولا انت يوم البعث للناس تشفع

٣ فعيشك في الدنيا وموتك واحد　　وعود خلال من حياتك انفع

(٢٠)

١ لا تيأسن من انفراج شديدة　　قد تنجلي الغمرات وهي شدائد

٢ كم كربة اقسمت أن لن تنقضي　　زالت وفرجها الجليل الواحد

(٢١)

١ اذا كنت ذا لب فإياك والتي　　اذا ذكرت اصبحت منها تعذر

= (تود عدوي ثم تزعم أنني　　صديقك إن الرأي عنك لعازب

وليس اخي من ودني وهو حاضر　　ولكن اخي من ودني وهو غائب)

---

١٩ ـ المصدر : الحماسة ـ للبحتري ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

الحماسة البصرية ـ لأبي الفرج البصري ص ٢٨٩ .

تعليق : (على الأرجح أن صالح بن عبد القدوس اقتبس هذه الفكرة من قول الفيلسوف اليوناني أنكساغوراس ـ كما أن الموت رديء لمن الحياة جيدة له فكذلك هو جيد لمن الحياة له رديئة ، فليس ينبغي ان يقال إن الموت رديء فقط بل جيد ايضاً ، لا بل ينبغي أن يقال الموت ليس جيداً ولا رديئاً لكنه بالإضافة الى شيء ما يكون جيداً او رديئاً ـ راجع : ثلاث رسائل ـ لأبي حيان التوحيدي ص ٦٨) .

---

٢٠ ـ المصدر : الحماسة ـ للبحتري ص ٣٥٥ .

الغمرات ـ جمع غمرة : شدة الشيء ومزدحمة .

البيت ٢ ـ في الأصل ألا تنضي .

---

٢١ ـ المصدر : الحماسة ـ للبحتري ص ٣٦٨ .

(٢٢)

١ ألا إن بعض الظن إثم فلا تكن ظنوناً لمـا فيـه عليك أثام

٢ وإن ظنون المرء مثل سحائب لوامع منهـا ماطر وجهام

(٢٣)

١ الله احمـد شاكراً فبلاؤه حسن جميـل

٢ اصبحت مستوراً معـافى بين أنعمـه اجـول

٣ خلواً من الاخوان خف الظهر يقنعني القليـل

٤ حراً فلا ضن لمخلوق علـي ولا سـبيل

٥ سيان عندي ذو الغنى الـ ـمتلاف والمثري البخيـل

٦ ونفيت باليـاس المنى عني فطاب لي القليـل

٧ والنـاس كلهم لمن خفت مؤونته خليـل

(٢٤)

١ ولا اقول اذا ما جئت فاحشة إني على الذنب محمول ومجبور

---

٢٢ ـ المصدر : الحماسة للبحتري ص ٤٠٢ .

الجهام : سحاب لا ماء فيه .

---

٢٣ ـ المصدر : محاضرات الأدباء ـ الراغب الاصفهاني ٢/٥٨١ .

احسن ما سمعت ـ الثعالبي ص ١٧ - ١٩ ، بإضافة البيت ٥ ، ٧ .

التحقيق : ورد البيت ٢ في احسن ما سمعت . اصبحت مسروراً . .

وعجز البيت ٤ . . . ولا اصل اصيل .

وصدر البيت ٦ . . . ويقنت بالناس الاذى . . .

---

٢٤ ـ المصدر : محاضرات الادباء ـ الاصفهاني ٢/٥١٨ .

تعليق : يؤكد صالح بن عبد القدوس ، هنا ، على حرية الإرادة ، ومقدرة الانسان مع التحكم في سـيرته الذاتية ، وهذه القاعدة الفكرية ، احدى القواعد التي قامت عليها فلسفة الاعتزال فيما بعد .

(٢٥)

١ قد ينفع الادب الاطفال في صغر   وليس ينفع بعد الكبرة الأدب

٢ إن الغصون اذا قومتها اعتدلت   ولا يلين اذا قومتـه الخشب

(٢٦)

١ اذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل   خلوت ولكن قل علي رقيب

٢ فلا تحسبن الله يغفل ساعة   ولا أن ما يخفى عليـه يغيب

٣ ينادونه وقـد ـم عنهم   ثم قالوا وللنساء نحيب (كذا)

٤ ما الذي عاق أن ترد جواباً   ايها المقول الاديب الاريب

٥ إن تكن لا تطيق رجع جواب   فبما قـد ترى وأنت خطيب

٦ ذو عظات وما وعظت بشيء   مثل وعظ السكوت اذ لا تجيب

---

٢٥ ـ المصدر : مقالة جولد تسير ص ١١٨، الاول عنده (وليس ينفعهم بعد الكبر الادب ، لا يستقيم به الوزن . وفي الحاشية روى عجز البيت ٢ وليس ينفعك التقويم بالخشب) .

تعليق: لا يقصد صالح بن عبد القدوس ، وضع قاعدة في التربية في هذين البيتين ، بل إنه ينتقد كبار زمانه بطريقته البلاغية الرائعة .

---

٢٦ ـ المصدر : الابيات : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ وردت في عيار الشعر ـ ابن طباطبا العلوي ص ٨٠ البيتان : ١، ٢ في الحماسة ـ للبحتري ص ٣٦١ .

البيتان : ١ ، ٢ في امالي ـ للقالي ٢/ ٩٤ من غير عزو . الابيات : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ في خزانة الادب ٤/ ٢٨٥ . وفي مقالة جولد تسير ص ١١٨ حاشية تشير على ان هذه الابيات تنسب الى مطيع بن أياس الكوفي ، يرثي بها يحيي ابن زياد الحارثي .

التحقيق : كذا ورد البيت الثالث (غير موزون) .

ورد عجز البيت الرابع في عيار الشعر .. (ايها المقول الألد الخطيب) ومع تغيير بسيط في الابيات الاخرى .

(٢٧)

١ من يسل يعط ومن يستفتح الـ باب يفتحه بطيء او سريع

٢ وسل الناس بما تجهله واستمع إن اخا اللب سميع

(٢٨)

عدوك ذو العقل اخير (كذا) من الصديق الموافق والاحمق

(٢٩)

١ بقينا في بهائم راتعات تجول ولا الى عقل تؤول

٢ فإن حدثت عن سمك وبقل فأنت لديهم رجل نبيل

٣ وإن حدثت عن ابواب علم فأنت لديهم فدم ثقيل

(٣٠)

١ رب سر كتمته فكأني اخرس او ثنى لساني عقل

٢ ولو أني اظهرت للناس دبني لم يكن لي ـ في غير حبسي ـ أكل

= وفي عيار الشعر (لما مات الاسكندر ندبه ارسطوطاليس فقال : طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من وعظه بسكوته فأخذه صالح بن عبد القدوس فقال الابيات) .

---

٢٧ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٢٠٤ .

---

٢٨ ـ المصدر : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٢٨٦ .

ديوان المتنبي ـ شرح الواحدي ص ٢٤٤ ، مع تغيير بسيط :

(عدوك ذو العقل خير من الـ صديق لك الوامق الاحمق)

---

٢٩ ـ المصدر : طراز المجالس ـ الخفاجي ص ١٧٦ .

الفدم : الاحمق .

تعليق : صورة رائعة لكل عصر اذا ساد فيه الحمقى ، وتصدروا لأمور الناس .

---

٣٠ ـ المصدر : رسالة الغفران ـ المعري ص ٢٤ .

(٣١)

١ لا ترضى للإخوان غير الذي ترضى بـه إن ناب أمر جليل

(٣٢)

١ كم اهلكت مكة من زائر خربهـا الله وأبياتهـا

٢ لا رزق الرحمن احياءهـا وأشوت الرحمـة امواتها

(٣٣)

وإذا طلبت العـلم فاعلم أنه حمل فابصر اي شيء تحمل

فإذا علمت بأنـه متفاضل فاشغل فؤادك بالذي هو افضل

(٣٤)

كل الى الغـاية محثوث والمرء موروث فمبعوث

فكن حديثاً حسناً سائراً بعدك فالدنيا احاديث

(٣٥)

لا أخون الخليل في السر حتى ينقل البحر في الغرابيل نقلا

= تعليق : هذان البيتان من الحجج التي أدين بها صالح بن عبد القدوس بالزندقة ، ولكنها حجة متداعية وقد قال الحكماء والفلاسفة اعمق مما قاله هذا الشاعر الحكيم، ثم إن كلمة (الدين) هنا ربما يقصد بها مذهبه الساسي، لأنه قد وضح معتقده الديني في اغلب اشعاره وقصائده .

---

٣١ ـ المصدر : مجموعة جولدتسهير ص ٢٥ .

---

٣٢ ـ المصدر : رسالة الغفران ـ المعري ٣/ ٢٣٠ .

ينسبها المعري لأبي صالح ، عبد القدوس ، وربما يكون ذلك صحيحاً ، لأنها لم يردا في الاتهامات التي وجهت الى صالح بن عبـد القدوس في محاكمته الصورية .

---

٣٣ ـ تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧٥ .

---

٣٤ ـ تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧٤ .

٢ او تمور الجبال مور سحـاب   مثقلات وعت من الماء حملا

(٣٦)

١ لأشكرن هماماً فضل نعمته   لا يشكر الله من لم يشكر الناسا

(٣٧)

١ إن اللبيب الذي يرضى بعيشته   لا من يظل على ما فات مكتئبا
٢ لا تحقرن من الأقوام محتقراً   كل امرىء سوف يجزى بالذي اكتسبا
٣ لا تفش سراً الى غير اللبيب ولا   الخرق المشيع له يوماً اذا غضبا
٤ قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه   حتى يكون الى توريطه سببا
٥ شر الاخلاء من كانت مودته   مع الزمان اذا ما خاف او رغبا
٦ اذا وترت امرءاً فاحذر عداوته   من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
٧ إن العدو وإن أبدى مسالمة   اذا رأى منك يوماً فرصة وثبا

---

٣٥ ـ المصدر : معجم الأدباء ـ الحموي ٨/١٢ .
الحماسة ـ البحتري ص ١٠٢ .

---

٣٦ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ١٥٩ .
التحقيق : ورد هذا البيت في مجموعة لجولد تسهير ص ١٢١ :
(لأشكرن هشاماً فضل نعمته   لا يشكر الله من لا يشكر الناسا)

---

٣٧ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٥٨ .
تاريخ بغداد ـ البغدادي ٣٠٣/٩ .
والبيت الرابع ورد في محاضرات الأدباء ـ الاصفهاني ١٧٧/٣ ، ونكت الهميان ـ الصفدي ص١٧٢ . والبيت السادس ، ورد في نهاية الارب ٨٢/٣ والابيات ١ ، ٢ ، ٤ في تهذيب ابن عساكر ٣٧٥/٦ . و ٦ ، ٧ في نفس المصدر ٣٧٦/٦ .
التحقيق : ورد مطلع البيت الاول في تاريخ بغداد ـ البغدادي ٣٠٣/٩ (إن الفتى الذي يرضى بعيشته . . .) .

(٣٨)

١ فو حق من سمك السماء بقدرة   والأرض صير للعباد مهادا
٢ إن المصر على الذنوب لهالك   صدقت قولي او اردت عنادا

(٣٩)

١ الى الله اشكو إنه موضع الشكوى   وفي يده كشف المضرة والبلوى
٢ خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها   فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
٣ اذا دخل السجان يوماً لحاجة   عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
٤ ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا   اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا
٥ فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت   وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى
٦ طوى دوننا الأخبار سجن ممنع   له حارس تهدا العيون لا يهدا
٧ قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل   من الناس لانخشى فنغشى ولانغشى
٨ ألا احد يأوي لأهل محلة   مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
٩ كأنهم لم يعرفوا غير دارهم   ولم يعرفوا غير التضايق والبلوى

---

٣٨ ـ المصدر : طبقات الشعراء ـ ابن المعتز ، ص ٩١ .

تعليق : كيف يتهم صالح بن عبد القدوس ، بمعاشرة المجان وأصحاب اللهو والعبث والزندقة ، وهو يدعو للفضيلة والخير ويحث على التوبة .

---

٣٩ ـ المصدر : الابيات من (١ ـ ٥) في تعريف القدماء بأبي العلاء ـ الدار القومية ص ٤٤ . وإنباه الرواة ٦٢/١ . ومعجم الادباء ـ الحموي ١٥٥/٣ . والمحاسن والاضداد ـ الجاحظ ص ٣٨ .

الابيات (٢ ـ ٨) في أمالي ـ المرتضى ، ص ١٤٥ .

البيتان (٨ ، ٩) وردا في طبقات الشعراء ـ ابن المعتز ، ص ٩٢ .

وفي عيون الاخبار ـ لابن قتيبة ٨١/١   ٨٢ من غير عزو .

وفي تأويل مشكل القرآن ـ لابن قتيبة ص ٣١١ بدون نسبة .

التحقيق : ورد البيت ٣ في تعريف القدماء بأبي العلاء :

(٤٠)

ولا مشير كذي نصح ومقدرة　　في مشكل الامر فاختر ذاك منتصحا

(٤١)

شر الاخلاء من يسعى لترضيه　　ولا يزال عليك الدهر غضبانا

(٤٢)

١. أقرب النازل بي في غ　د　　وإن تراخت داره عن لقـا

(٤٣)

١ اني لأعوض عن اشياء اسمعها　　حتى يظن رجال أن بي حمقا

٢ اخشى جواب سفيه لا حياء له　　فسل يظن رجال أنـه صدقا

(٤٤)

١ العلم زين وتشريف لصاحبه　　فاطلب هديت فنون العلم والادبا

٢ كم سـيد بطـل آباؤه نجب　　كانوا رؤوساً فأمسى بعدهم ذنبا

٣ ومقرف خامل الآباء ذي ادب　　نا المعالي والآداب والرتبا

٤ العلم كـنز وذخر لا نفاد له　　نعم القرين اذا ما عاقل صحبا

٥ اضحى عزيزاً عزيز القدر مشتهراً　　في كل منزلة قـد حل محتجبا

= (اذا ما أتانا زائر متفقـد　　فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا)

والبيت ٤ (و تعجبنا الرؤيا فجل حديثنا　. . . .)

وقد ورد البيت ٨ في طبقات الشعراء (ألا احد يبكي . . .)

وقد ورد في الوحشيات ـ لأبي تمام ص ١٣٧ ، البيتان ٨ ، ٩ (ألا احد يبكي . . .) و (كأنهم لم يسكنوا . . .　غير الشدائد . . .) .

---

٤٠ ـ المصدر : ادب الدين والدنيا ـ الماوردي ص ٢٨١ .

---

٤١ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٨١ .

---

٤٢ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٣٦٣

---

٤٣ ـ المصدر : الحماسة ص ٣٧ .　الفسل : الاحمق ، الحقير .

٦ لا خير في من له أصل بلا ادب　　نال المعالي والاموال والنشبا
٧ يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه　　لا تعدلن بـه دراً ولا ذهبا
٨ أشدد يديك به تحمد مغبته　　به تنال الغنى والدين والحسبا
٩ قد يجمع المرء مالاً ثم يسلبه　　عما قليل فيلقى الذل والحربا
١٠ وجامع العـلم مغبوط به أبداً　　فلا يحاذر منه الفوت والسلبا

(٤٥)

١ اذا ما رضت ذا سن كبير　　على غير الذي يهوى عصاكا

(٤٦)

١ لم تخل أفعالنا اللاتي نذل بها　　إحدى ثلاث خصال في معانيها
٢ إما تفرد مولانا بصنعتها　　فاللوم يسقط عنا حين نأتيها
٣ او كان يشركنا فاللوم يلحقه　　إن كان يلحقنا من لائم فيها
٤ أولم يكن لإلهي في جنايتهـا　　صنع فما الصنع إلا ذنب جانيها

(٤٧)

فيا منزلاً سوى البلى بين اهله　　فلم يستبن فيه الملوك من السوقي

---

٤٤ ـ المصدر : هدية الامم ص ٣٥ .
البيتان ٩ ، ١٠ محاضرات الادباء ـ الراغب الاصفهاني ١/٣٢ .

---

٤٥ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٣٧٢ .

---

٤٦ ـ المصدر : محاضرات الادباء ـ الراغب ٤/٤٢٦ .

---

٤٧ ـ المصدر : محاضرات الادباء ـ الراغب ١/٤٩٢ .
تعليق : بحث صالح بن عبد القدوس في مجتمعه كثيراً عن العـدل والمساواة والإنصاف فلم يجد لها من أثر ، فوصف التملق ، والعلاقات الاجتماعية الواهية المتداعية ، ثم وصف الحمقى ، الذين يرفلون بالنعيم ، والعلماء الذين أكلهم الفقر . وأخيراً وجد ما يبحث عنه ، وجده في الموت ،

(٤٨)

١ قل للذي لست أدري من تلونه — أنا صح أم علي غش يداجيني

٢ إني لأكثر مما سمتني عجباً — يد تشح واخرى منك تأسوني

٣ تغتابني عنـد اقوام وتمدحني — في آخرين وكل عنك يأتيني

٤ هذان أمران شتى البون بينهما — فاكفف لسانك عن ذمي وتزيني

٥ لو كنت اعرف منك الود هان له — علي بعض الذي اصبحت تولبني

٦ رب امرىء أجنبي عن ملاطفتي — محض الاخوة في البلوى يؤاسيني

٧ وملحف بسؤال عن مكاشرة — مغض على وغر في الصدر مكنون

٨ ليس الصديق بمن تخشى غوائله — ولا العدو على حال بمأمون

٩ أرضى عن المرء ما أصفى مودته — وليس شيء مع البغضاء يرضيني

١٠ يا صاح لو كرهت كفي منادمتي — لقلت إذ كرهت كفي لها بيني

١١ لا ابتغي وصل من لا يبتغي صلتي — ولا ابالي حبيباً لا يباليني

= نهاية الانسان الرهيبة وجـده تحت التراب حيث المساواة المطلقة في الطين والدود والعدم . فلا فرق عند (الدود) الزاحف ، بين الملك الناعم البض والصعلوك الذى التهمه الهم قبل الموت .

---

٤٨ ـ المصدر : الحماسة ـ للبحتري ص ٧٩ عدا ١٠ ، ١١ .

الابيات ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ في تهذيب ابن عساكر ٦/ ٣٧٤ .

الابيات: ١ ، ٢ ، ٣ وردت في محاضرات الادباء ـ الراغب ١/ ٢٩١ ، وفي انوار الربيع ـ سيد علي خان ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

الابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ وردت في المخلاة ـ الهمداني ص ٣٠٨ ، وهدية الامم ص ٥١١ .والبيتان ١٠ ، ١١ في نكت الهميان ص ١٧١ - ١٧٢ ، وفوات الوفيات ١/ ٣٩١ . وفي الصداقة والصديق ـ التوحيدي ص ١٣٩ ، تنسب الى الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب . وفي ص ٢٤٥ منها بدون نسبة ، وقد نسبها المحقق في الهامش لصالح بن عبد القدوس .

(٤٩)

١ بني عليك بتقوى الإله فإن العواقب للمتقي
٢ وإنك ما تأت من وجهة تجد بابه غير مستغلق
٣ عدوك ذو العقل ابقى عليك من الصاحب الجاهل الاخرق
٤ وذو العقل يأتي جميل الامو ر ويعمد للأرشد الاوفق

(٥٠)

١ نراع اذا الجنائز قابلتنا ونلهو حين تخفى ذاهبات
٢ كروعة ثلة لمغار سبع فلما غاب عادت راتعات

(٥١)

١ يا ايها الدارس علماً ألا تلتمس العون على درسه
٢ لن تبلغ الفرع الذي رمته إلا ببحث منك عن أسه
٣ فاسمع لأمثال اذا انشدت ذكرت الحزم ولم تنسه
٤ إنا وجدنا في كتاب خلت له دهور لاح في طرسه

= التحقيق : ورد عجز البيت ٢ في محاضرات الادباء (. . . يد تشج واخرى منك تأسوني) وهو الاصح .

والبيت ٣ في محاضرات الادباء . (تذمني عند اقوام وتمدحني . . .) وفي ٣/٢٤ منها . . . (تغتابني عند اقوام وتمدحني . . .) وورد صدر البيت الرابع في المستظرف ١/٨٥ . . (هذان شيئان قد نافيت بينهما . . .)

ورد البيت الثاني في الصداقة والصديق ـ التوحيدي . . .

(لقد عجبت وما بالدهر من عجب يد تشج واخرى منك تأسوني

ورد البيت الثالث في أنوار الربيع (تذمني عند . . .)

---

٤٩ ـ المصدر : رسالة الصداقة والصديق ـ التوحيدي ص ٣ .

---

٥٠ ـ تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧ .

٥ أتقنه الكاتب واختاره   من سائر الامثال من حدسه

٦ لن تبلغ الاعداء من جاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه

٧ والجاهل الآمن ما في غد   لحفظه في اليوم او أمسه

٨ وخير من شاورت ذو خبرة   في واضح الامر وفي لبسه

٩ لا يقبسن العلم إلا امرؤ   يعان باللب على قبسه

١٠ وإن من أدبته فى الصبا   كالعود يسقى الماء في غرسه

---

٥ ـ المصدر : وردت على شكل ابيات متفرقة ، وبفروق ضئيلة في :

طبقات الشعراء ـ ابن المعتز ، ص٩١ .

الفلاكة والمفلوكون ص ٧٢ .

البيان والتبيين ـ الجاحظ ١/١٢٠ .

تاريخ اليعقوبي ـ اليعقوبي ١/١٣٨ .

الاغاني ـ الاصفهاني ٣/١٤٦ .

فوات الوفيات ـ الكتبي ١/٣٩١ .

رسالة الغفران ـ المعري ١/٢٤ - ٢٥ .

نهاية الارب ـ النويري ٣/٨٢ .

تاريخ بغداد ـ البغدادي ٩/٣٠٣ .

تاريخ الخلفاء ـ السيوطي ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

التمثيل والمحاضرة ـ الثعالبي ص ٧٧ - ٧٨ .

اسرار البلاغة ـ الجرجاني ص ١٠٩ .

الحماسة البصرية ـ البصري ١/٤٠ .

ميزان الإعتدال ـ الذهبي ٢/٢٩٧ .

الحماسة ـ البحتري ص ٣٧٢ .

الحيوان ـ الجاحظ ١/٤٠ .

العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ٢/٤٣٦ .

١١ حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي قد كان من يبسه
١٢ والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
١٣ اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنا عاد الى نكسه
١٤ والحمق داء ما له حيـــلة ترجى كبعد النجم عن لمسه
١٥ والق اخا الضغن بإيناسه لتدرك الفرصة في أنسه
١٦ كالليث لا يعدو على قرنه الا على الأمكان من فرسه

(٥٢)

١ كن في أمورك ساكناً فالمرء يدرك في سكونه
٢ لا خير في حشو الكلا م اذا قدرت على عيونه

= المحاسن والمساوىء ـ البيهقي ص ١٩ .
حياة الحيوان الكبرى ـ الدميري ٢٨ .
سمط اللآلىء ـ البكري ١/١٠٥ .
كتاب الف با ـ البلوى ١/٢١ .
شرح مقامات الحريري البصري ـ الشريشي ٣/١٨٤ .
طراز المجالس ص ٢٠٤ .
عصر المأمون ـ رفاعي ٢/٤٠٣ ـ ٤٠٤ .
دائرة المعارف ـ البستاني ص ١٠ .
مجاني الادب ـ الشيخو ٥ ١٥٦ ـ ١٥٧ .
تاريخ آداب اللغة العربية ـ زيدان ٢/١٠٠ .
الحماسة ـ البحتري ص ٨١ .
تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧١ .
هدية الامم ص ١٤٥ .

٥٢ حماسة الظرفاء في اخبار المحدثين والقدماء لأبي محمد عبد الله

٣ الصدق خـير للفتى عندي وأحسن من يمينه
٤ والصمت خير بالفتى من منطق في غير حينه
٥ والمرء لا يخفى عليك اذا نظرت الى قرينه
٦ وعلى الفتى بوقاره سمة تلوح على جبينه
٧ ولربما اختص الفتى من ليس في شـرف بدونه
٨ كل امرىء في نفسه أعلى وأشرف من خدينه
٩ رب امرىء متيقن غلب الشقاء على يقينه
٠ فأزاله عـ رأيه فابتاع دنياه بدينه

(٥٣)

١ ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الاحياء
٢ إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء

(٥٤)

١ اذا قلت، قدر أن قولك عرضة لبادرة او حجة لمخاصم
٢ وإن امرءاً لم يخش قبل كلامه الـ جواب فينهى نفسه غير حازم

= محمد العبد لكاني الزوزني ورقة رقم ٤٩ (صورة المخطوطة في مكتبة الاستاذ محمد عبد الجبار المعيبد الخاصة).

البيتان ٢، ٤ في حماسة - البحتري ص ٣٦٤، وفي لباب الآداب - ابن منقذ ص ٢٧٧.

التحقيق: ورد البيت ٢ في حماسة - البحتري ص ٣٦٤.

(لا تكثرن حشو الكلا م اذا اهتديت الى عيونه)

ورد البيت ٤ في لباب الآداب. (والصمت أجمل بالفتى . . .)

٥٣ - معجم الادباء - الحموي ١٢ ٨.

الحماسه البحتري ص ٢٤٠.

٥٤ - معجم الادباء - الحموي ١٢/١٠.

(٥٦)

١ لا تدخلن بنميمـــة بين العصا ولحائها

(٥٧)

١ غصب المسكين زوجتـه فجرت عينـاه من درره

٢ ما قضى المسكين من وطر لا ولا المعشار من وطره

٣ عذت بالله اللطيف بنـا أن يكون الجـر من قدره

(٥٨)

١ شـر المواهب ما تجود به من غير محمــدة ولا أجر

(٥٩)

١ يشقى رجال ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام

٢ وليس رزق الفتى من لطف حيلته لكن حدود بأرزاق وأقسام

٣ كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمى فيرزقه من ليس بالرامي

---

٥٦ ـ المصدر : البيان والتبيين ـ الجاحظ ١/٧١ .

---

٥٧ ـ المصدر : طبقات الشعراء ـ ابن المعتز ص ٩٠ ـ ٩١ ، ويشك ابن المعتز بأن صالح بن عبـد القدوس هو الذي نظم هـذه القصيدة (بقوله ـ عليه لعنة الله إن كان قالها) ص ٩١ . وقد أنكرها صالح بن عبد القدوس في محاكمته ، والقصيدة تعرض بشخص النبي (ص) ، عنـد زواجه بزينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد .

---

٥٨ ـ المصدر : نهاية الأرب ـ النويري ٣/٨٢ .

---

٥٩ ـ المصدر : نهاية الأرب ـ النويري ٣/٨٢ .
الغيث المسجم ـ الصفدي ، ص ٧٧ (البيتان ١ ، ٣) .
الرسالة الموضحة ـ الحاتمي الكاتب ص ٩ .

(٦٠)

١ المرء يحظى ثم يسعد جده حتى يزين بالذي لم يفعل

(٦١)

١ وصاف اذا صافيت بالود خالصاً تجد مثل ما أخلصت عند ذوي الرد

(٦٢)

١ ولا تسم الناس منك الذي اذا هو نالك لم تصطبر

٢ ومن يرضى للناس من نفسه بما هو راض له لا يجر

(٦٣)

١ لا ترضى للأخوان غير الذي ترضى به إن ناب أمر جليل

(٦٤)

١ واشكر فإن الشكر من حق على الإنسان واجب

٢ لا ترج من لا يشكر م النعمى ويصبر في العواقب

(٦٥)

كل أخي ثري سوف يمسي فقيراً والجميع الى شتات

---

٦٠ ـ المصدر : يروى هذا البيت للسموأل ، وقد رواه جولدتسهر في مجموعته ص ١٢٥ لصالح بن عبد القدوس مع تغيير بسيط :

(المرء يسعى ثم يسعد جده حتى يزي بالذي لم يفعل)

---

٦١ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٨١ .

---

٦٢ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٨١ .

---

٦٣ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٨١

---

٦٤ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ١٥٩ .

---

٦٥ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٣٣٣ .

ويرويه جولدتسهير في مجموعته ص ١١٩ ـ (وكل أخي ثراء . . . .)

(٦٦)

لا بد من إتيان ما حم في غد وإن قريباً كل ما هو آت

(٦٧)

١ وإذا أعلنت أمراً حسناً فليكن أحسن منه ما تسر

٢ فمسر الخير موسوم به ومسر الشر موسوم بشر

(٦٨)

أطل الصمت فإن الصمت حلم وإذا قمت نبالحق فقم

(٦٩)

وللصمت خير من كلام بمأثم فكن صامتاً تسلم وإن قلت فاعدل

(٧٠)

وإن لسان المرء مفتاح قلبه اذا هو أبدى ما يجن من الغم

(٧١)

١ لا تنطقن بمقالة في مجلس تخشى عواقبها وكن ذا مصدق

٢ واحفظ لسانك أن تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

(٧٢)

١ ويمنعني التكلم في كثير أقول لما يكون من الجواب

٢ ومن نخشي الجواب أقل نطقاً وإن كان المقدم في الصواب

---

٦٦ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٣٦٣ .

٦٧ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٣٦٠ .

٦٨ ـ المصدر : الحماسة ـ البحتري ص ٣٦٤ .

٦٩ ـ المصدر الحماسة للبحتري ص ٣٦٤ .

٧٠ ـ المصدر : الحماسة للبحتري ص ٣٦٧ .

٧١ ـ لمصدر : الحماسة للبحتري ص ٣٦٨ .

٧٢ ـ المصدر : الحماسة ـ البحترى ص ٣٧١ .

(٧٣)

رب مزاح قد دعا حتفاً الى نفس المازح

(٧٤)

١ عاص الهوى إن الهوى مركب يصعب بعد الاين منه الذليل
٢ إن يجلب اليوم الهوى لذة ففي غد منه البكاء والعويل
٣ ما بين ما تحمد فيه وما يدعو اليك الذم إلا القليل

(٧٥)

كم من فتى تحمد أخلاقه ويسكن العافون في ذمته

(٧٦)

١ اذا ما أهنت النفس لم تلق مكرماً لها بعد اذ عرضتها لهوان
٢ اذا ما لقيت الناس بالجهل والخنا فأيقن بذل من يد ولسان
٣ لعمرك ما أدى امرؤ حق صاحب اذا كان لا يرعاه في الحدثان
٤ ولا أدرك الحاجات مثل مثابر ولا عاف عنها النجح مثل ثوان

---

٧٣ المصدر : الحماسة / البحتري ص ٤٠٢ .

---

٧٤ المصدر : ذم الهوى ، لابن الجوزي ص ٣٤ .
والبيت الثالث في تهذيب ابن عساكر ٦ / ٣٧١ .

---

٧٥ المصدر : سمط اللآلىء ، البكري ، ص ٦١١ .
وقد ورد في عيون الأخبار ، لابن قتيبة ١ / ٨٥ هكذا :
كم من فتى تحمد أخلاقه وتسكن الأحرار في ذمته

---

٧٦ المصدر : الحماسة البصرية ، لأبي الفرج البصرى ص ٤١ .
البيتان : ١ ، ٤ وردا في حماسة البحترى ص ١٨٧ ، ٢٤٨ .
البيت : ١ ورد في محاضرات الأدباء ـ الراغب ١ / ٣٠٠ .

(٧٧)

١ اذا كنت في حاجة مرسلا   فارسل حكيماً ولا توصه
٢ وإن باب امر عليك التقوى   فشاور لبيبـاً ولا تعصه
٣ وإن ناصح منك يوماً دنا   فلا تنـأ عنه ولا تقصه
٤ وذو الحق لا تنقصن حقه   فإن القطيعة في نقصـه
٥ ولا تذكر الدهر في مجلس   حديثاً اذا انت لم تحصه
٦ ونص الحديث الى أهـله   فإن الأمانة في نصـه
٧ فكم من فتى عازب لبـه   وقد تعجب العين من شخصه
٨ وآخر تحسبه أنوكاً (١)   ويأتيك بالأمر من نصه

٧٨

١ تاه على إخوانه كلهم   فصار لا يطرف من كبره
٢ أعاده الله الى حـاله   فإنـه يحسن في فقره

١ ـ الانوك : الاحمق .

٧٧ ـ المصدر : الحماسة البصرية ص ٥٩ .
تذكرة ابن حمدون ص ٨٧ ـ ٨٨ بدون البيت ٤ ، منسوبة الى الزبير ابن عبد المطلب .
التحقيق :
ورد في البيت ٢ حكيماً بدلا في (لبيباً) .
ورد في البيت ٣ نأي بدلاً من دنا .
ورد في البيت ٥ تنطق بدلاً من تذكر .
ورد في البيت ٦ الوثيقة بدلاً من الأمانة .
ورد في البيت ٧ عقله بدلاً من لبه .
ورد في البيت ٨ نصه بدلاً من فصه .

٧٨ ـ محاضرات الأدباء ـ الراغب ، ١/٢٦٠ ، ٣/١٥ .

٧٩

وكذاك الدهر مأتمه أقرب الأشياء من عرسه

(٨٠)

ما أقرب النازل بي في غد وإن تراخت داره عن لقاء

(٨١)

١ بلوت أمور الناس سبعين حجة وخربت صرف الدهر في العسر واليسر

٢ فلم أر بعد الدين خيراً من الغنى ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

(٨٢)

١ إن النفوس على البقاء حريصة ولها وإن كرهته يوم طالح

٢ والدهر يضحك بالفتى مستهزئاً وله خلال الضحك وجه كالح

(٨٣)

١ أصددن بعد تألف الشمل وقطعن منك حبائل الوصل

٢ هيف الخصور قواصد النبل قتلننا بنواظر نجل

= شرح المضنون به على غير أهله ، عبد الكافي ص ٥٢١ .

أنوار الربيع ـ سيد علي خان ، ص ٥٢، .

التحقيق :

البيت الثاني في أنوار الربيع . . . . أعاده الله في حاله .

---

٧٩ ـ المصدر : محاضرات الأدباء ـ الراغب ٤/٥٣٠ .

---

٨٠ ـ المصدر : ورد في مجموعة جولدتسهير ص ١١٧ .

---

٨١ ـ المصدر : كتاب اللطائف والظرائف ـ لأبي نصر المقدسي ص٣٩ .

---

٨٢ ـ المصدر : الأبانة عن سرقات المتنبي ـ الصيمري ص ١٣٩ .

---

٨٣ ـ المصدر : كتاب الوحشيات ، لأبي تمام ص ٣٢٨ .

نهاية الأرب ٢/١٠٦ .

٣ كحل الجمال جفون أعينها فغنين من كحل بلا كحل
٤ في كل نظرة ناظر عرضت منهن قتـلة ضائع العقل
٥ من كل قاعدة على دمث رابي المجس كلابد الرمل
٦ قعدت بها أردافها وهفت منها الخصور بفاحم جثل
٧ فكأنهن اذا أردت خطاً يقلعن أرجلهن من وحل

(٨٤)

إن خليلي واحـد وجهه وليس ذو الوجهين لي بالخليل

(٨٥)

١ من يخبرك بشـتم عن أخ فهو الشاتم ، لا من شتمك
٢ ذاك شيء لم يواجهك بـه إنما اللوم على من أعلمك
٣ إن ذا اللؤم اذا أكرمته حسب الإكرام حقاً لزمك
٤ كيف لم ينصرك إن كان أخاً ذا حفاظ عنـد من ظلمك
٥ فأهنه إنـه مـ لؤمه إن ترده بهوان أكرمك

= التحقيق : نسب البيت ٧ في نهاية الأرب الى ابن عائشة ٢ /١٠٦ .
ونسبت في محاضرات الأدباء ٢/١٣٩ ، والأشباه والنظائر ص ، للموسوي .

---

٨٤ ـ المصدر : تهذيب ابن عساكر ٦ /٣٧٦ .

---

٨٥ ـ المصدر : شرح نهج البلاغة ، لأبي الحديد ٢ /٦٥٧ .
وقد ورد البيت ٥ في حماسة الظرفاء ، ورقة ٥٠
والبيتان ١ ، ٢ في هدية الأمم ص ٥٤٠ .

وقد قال صالح بن عبد القدوس المقتول :
(شر الأخوان من كانت مودته مـع الزمان اذا أقبل ، فإذا أدبر الزمان أدبر عنك) .
المصدر : أدب الدين والدنيا ـ الماوردي البصري ص ١٦١ .

(٨٦)

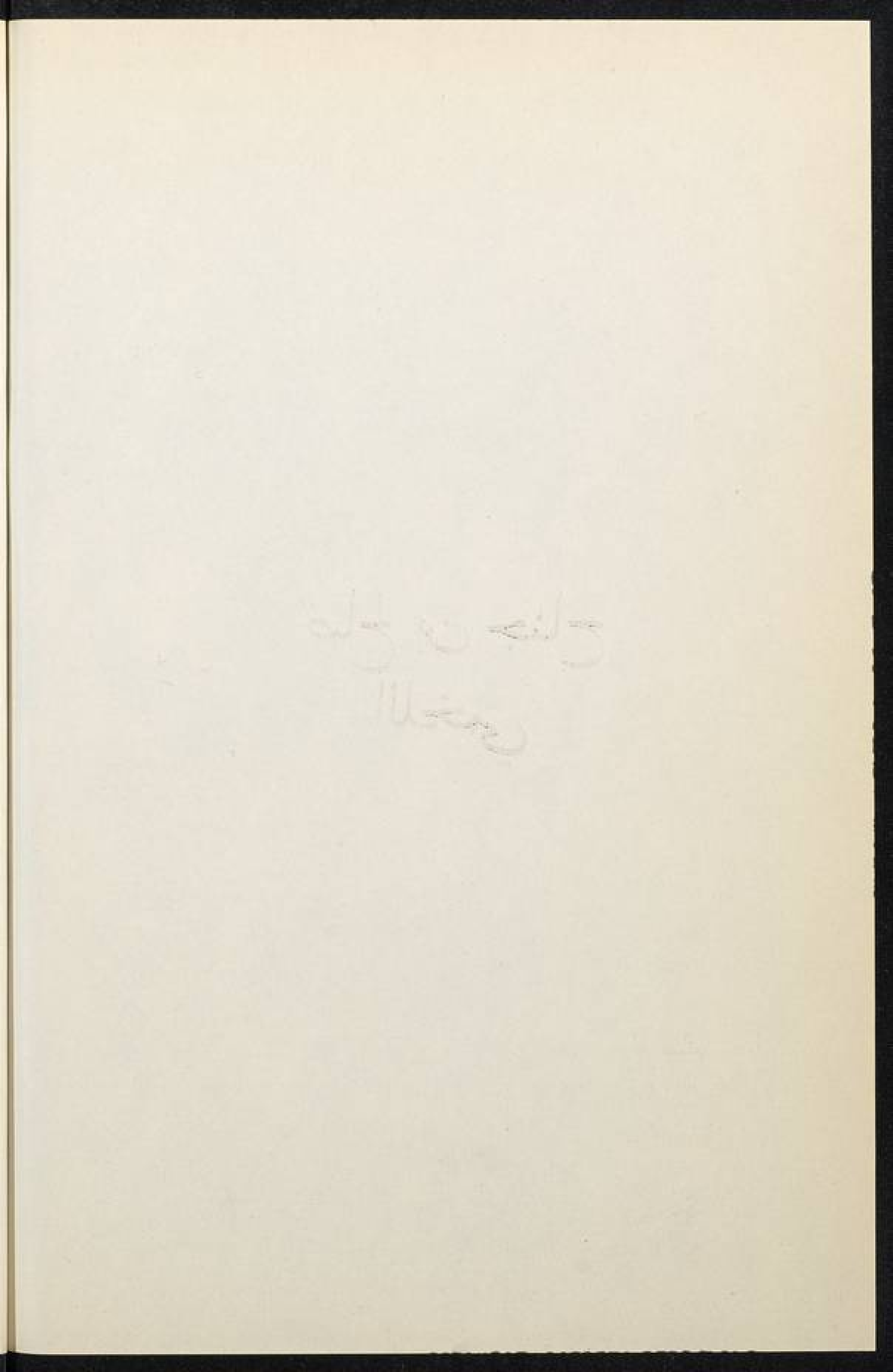
١ فأكثر من تلقى يسـرك قوله ولكن قليل من يسرك فعله

٢ وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي فأدبني هذا الزمان وأهله

---

٨٦ ـ المصدر : هدية الامم ، ص ٣١ .

صالح بن جناح
اللخمي



كان الحاق هذا الفصل ببحث يتعلق بصالح بن عبد القدوس ضرورياً وقد سبقت الاشارة الى أننا نرجح أن الصالحين واحد . وللسبب نفسه ألحقنا بالبحث كتاب الأدب والمروءة .

وقد آثرنا أن نثبت ما جاء في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/٣٦٧ - ٣٦٨ مع التعليق عليه من المصادر الأخرى ، ومع الإشارة الى أنه ورد في مجموعة المعاني باسم (صالح بن جناح العبسي) .

(صالح بن جناح اللخمي)

الشاعر أحد الحكماء . قال ابو عبد الله الحافظ : كان ممن أدرك الاتباع بلا شك ، وكلامه مستفاد في الحكمة . وقال الجاحظ : قال صالح ابن جناح الدمشقي لابنه : يا بني اذا مر بك يوم وليلة قد سلم فيها دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله تعالى ، فكم من مسلوب دينه ، ومنزوع ملكه ، ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية ، وفيه أقول :

لو أنني أعطيت سؤلي لما سألت إلا العفو والعافيه
فكم فتى قد بات في نعمة فسل منها الليلة الثانيه

وكان يقول : اعلم أن من الناس من يجهل اذا حلمت عنه ، ويحلم اذا جهلت عليه ، ويحسن اذا أسأت اليه ، ويسيء اذا أحسنت اليه ، وينصفك اذا ظلمته ، ويظلمك اذا أنصفته ؛ فمن كان هذا خلقه فلا بد من خلق ينصفك من خلقه ، ثم قحة تنصف من قحته ، وجهالة تقدح من جهالته ، وإلا أذلك ، لأن بعض الحلم إذعان ، وقد ذل من ليس له سفيه يعضده ، وضل من ليس له حكيم يرشده ، وفي الجهالة بعض الأحيان أقول :

لئن كنت محتاجاً الى العلم إنني الى الجهل في بعض الأحايين أحوج

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإني مقوم ومن شاء تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خدناً ولا أخاً ولكنني أرضى به حين أحوج
فإن قال بعض الناس : فيه سماجة فقد صدقوا والذل بالحر أسمج

وله ايضاً :

يا أيها الملك الذي بيمينه باب الزمان وصولة الحدثان
أنعم صباحاً بالسيوف وبالقنا إن السلاح تحية الفرسان

وكان يقول : اعتبر ما لم تره من الدنيا بما قد رأيته ، وما لم تسمعه بما قد سمعته ، وما لم يصبك بما قد أصابك ، وما بقي من عمرك بما قد مضى ، وما لم يبل منك بما قد بلي ، واعلم :

إنما الدنيا نهار ضوؤه ضوء معار
بينما غصنك غض ناعم فيه اخضرار
إذ رماه زمناه فإذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يأتي ثم يمحوه النهار (١)

فهذه صفتها ، وما أصف أدهى وأمر ، فما أصنع فأمر اذا أقبل غر ، واذا أدبر ضر ؟ وأنشد :

نموت وننسى غير أن ذنوبنا اذا نحن متنا لا تموت ولا تنسى
ألا رب ذي عينين لا تنفعانه وهل تنفع العينان من قلبه أعمى

وله :

وافضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه

---

(١) هذه الابيات في كتاب الادب والمروءه الملحق بالبحث أيضاً والملسوب لصالح بن جناح .

اذا كمل الرحمان للمرء عقله فقد كملت اعراقه ومناسبه (١)

وقال المزرباني : صالح بن جاح اللخمي شاعر كوفي رشيق القول في المواعظ والآداب وهو القائل :

إلا انما الانسان غمد لقلبه ولا خير في غمد اذا لم يكن نصل
وإن تجمع الآفات فالبخل شرها وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا في وعد إذا كان كاذباً ولا خير في قول اذا لم يكن فعل (٢)

وأنشد له الجاحظ :

تعلم اذا ما كنت لست بعالم فما العلم إلا عند اهل التعلم
تعلم فإن العلم أزين بالفتى من الحلة الحسناء عند التكلم
ولا خير فيمن راح ليس بعالم بصير بما يأتي ولا متعلم

---

(١) البيت الثاني لصالح بن عبد القدوس في قصيدة له طويلة ـ راجعها في شعره ـ مما يعزز رأينا في أن الصالحين واحد .

(٢) الخبر والشعر من القسم الضائع من معجم الشعراء للمرزباني ، وقد نقله ابن عساكر عنه .

وقد ورد البيت الأول والثاني في مجموعة المعاني ص ٣٠ .

وورد الثاني والثالث في المستطرف ١ / ١٩٨ .

كتاب الادب والمروءة

نشره

العلامة الشيخ طاهر الجزائري

وضحه

الاستاذ محمد كرد علي فى كتابه

رسائل البلغاء

كتاب الادب والمروءة

لصالح بن جناح

نشره العلامة الشيخ طاهر الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال صالح بن جناح : اعلم أن العرب قد تجعل للشيء الواحد اسماء وتسمى بالشيء الواحد اشياء ؛ فإن سنح لك ذكر شيء فاذكره باحسن اسمائه ، فإن ذلك من المروءة ، وإنما المرء بمروءته . فالمروءة اجتناب الرجل ما يشينه ، واجتناؤه ما يزينه ، وإنه لا مروءة لمن لا ادب له ، ولا ادب لمن لا عقل له ، ولا عقل لمن ظن أن في عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره . وشتان بين عقل واخر معه خمسون عقلا كلها وافر وآخر مثله وأوفر منه ، وبين عقل وافر لا قادة معه وفي ذلك اقول شعراً .

وما أدب الانسان شيء كعقله ولا زينة إلا بحسن التأدب

وقال : إن الافئدة مزارع الالسن . فمنها ما ينبت ما زرع فيه من حسن ، ولا ينبت ما سمج ، ولا ينبت ما حسن ، ومنها ما ينبت جميع ذلك ومنها ما لا ينبت شيئاً . وإن من المنطق لما هو اشد من الحجر ، وانفذ من الابر ، وأمر من الصبر ، أحر من الاسنة ، وانكد من زحل . ولربما احتقرت كثيراً منه على حرارته ومرارته ونكده ، مخافة ما هو احر منه وأمر وافظع وانكد ، وفي ذلك اقول شعراً :

لقد اسمع القول الذي كاد كلما يذكرنيه الدهر قلبي يصدع

فأبدي لمن ابداه مني بشاشة كأني مسرور بما منه اسمع

وما ذاك من عجب به غير أنني اری أن ترك الشر للشر اقطع

وقال في ذي الوجهين : من اظهر ما تحب او تكره ، فإنما يقاس ما اضمر بما اظهر لأنك لا تقدر ان تعرف ما اسر . وقال :

ليس المسيء اذا تغيب سوؤه عندي بمنزلة المسيء المعلن
من كان يظهر ما احب فإنه عندي بمنزلة الامير المحسن
والله اعلم بالقلوب وإنما لك ما بدا لك منهم بالألسن
ولقد يقال خلاف ذلك إنما لك ما بدا لك منهم بالأعين

• • •

وقال في الصدود : أما بعد . فقد احضرتني من صدك ، ما آيسني من ردك ، ولم يزل يجري في لحظك ، ما يدخلني في رفضك ، ويدلني على غل صدرك ، وفي ذلك اقول شعراً :

تظل في قلبه البغضاء كامنة فالقلب يكتمها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محدثها من كان من حزبها او من يعاديها
عيناك قد دلتا عيني منك على أشياء لولاهما ما كنت أدريها
إن الامور التي تخشى عواقبها إن السلامة منها ترك ما فيها

وقال في كثرة المال وقلته : لا تستكثر مال احد ولا تستقله ، حتى تعلم ما عياله، فإن من كثر ماله وعياله فهو مقل، ومن قل ماله وعياله فهو مكثر.

وقال في ذكر الاحمق ودخوله فيما لا يعنيه : وأكثرهم دخولاً فيما لا يدخل فيه ، وأرضاهم بما لا يكفيه ، عدوه اعلم بسره من صديقه ، وصديقه قد غص منه بريقه، ولا يثق بمن نصحه، ولا يتهم من خدعه، ولا يأمن إلا من يخونه ، ولا يتحفظ إلا ممن يحفظه ، ولا يكرم إلا من يهينه ، أشبه شيء خلقاً باللئيم ، إن احسنت اليه لم يشكر ، وإن أسأت اليه لم يشعر، لا ينفعك من وجه الا ضرك من وجوه ؛ إن اقبل عليك لم يسرك ، وإن ادبر عنك لم يضرك ، وان افسد شيئاً لم يحسن أن يصلحه ، وان اصلح

شيئاً افسده ، ان احببته فرآى منك حسناً لم يحسن ان ينشره ، وهو مع ذلك بخطئه اشد اعجاباً من العاقل بصوابه ، وان جلس الى العلماء لم يزدد الا جهلا ، وان جلس الى الحكماء لم يزدد الا طيشاً ، وإنما جعل نفسه المحدث لهم ، يكلفهم أن يكونوا المنصتين له . أعيا الناس اذا تكلم ، وأبلدهم اذا تعلم ، وأصحبهم لمن يشينه ، وأرفضهم لمن يزينه ، وأشدهم في موضع اللين ، وألينهم في موضع الشدة ، وأجبنهم في موضع الشجاعة ، إن افتقر عجب من الناس كيف يستغنون ، وإن استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون ، لا يفهم إن حدثته ، ولا يفقه إن افهمته ، ولا يقبل إن وعظته ، ولا يذكر ان ذكر وفي ذلك اقول شعراً :

المرء يصرع ثم يشفى داؤه   والحمق داء ليس منه شفاء
والحمق طبع لا يحول مركب   ما إن لا حمق فاعلمن دواء

° ° °

وقال في ذكر الهوى : إن من الناس من اذا هوى عمى ، ومنهم من اذا هوى ابصر مرة وعمى اخرى ، ومنهم من اذا هوي لم يكد يخفى عليه شيء ، وهو اللبيب العاقل ، الحليم الكامل ، الذي إن اعجبه امر نظر الى هواه وعقله . فإن اتفقا اتبعها ، وان اختلفا اتبع عقله وترك هواه ، وكان امره معتدلاً يشبه بعضاً وقليل ما هم . وفي ذلك اقول شعراً :

املك هواك اذا دعاك فربما   قاد الحليم الى الهلاك هواه
الله يسعد من يشاء بفضله   واذا اراد شقاءه اشقاه

وقال ايضاً في اناس، تحسن وجوههم عند حاجاتهم، وتتغير وجوههم عند غنائهم ، شعراً :

أرى قوماً وجوههم حسان   اذا كانت حوائجهم الينا
وإن كانت حوائجنا اليهم   تغير حسن اوجههم علينا
ومنهم من سيمنع ما لديه   ويغضب حين يمنع ما لدينا

فإن يك فعلهم شحاً وفعلي قبيحاً مثـله فقـد استوينا

• • •

وقال فيمن فعل امراً لا يحسن ان يحتال له : اعلم أن من قاتل بغير عدة او خاصم بغير حجة ، او صارع بغـير قوة ، فهو الذي صرع نفسه ، وخصم نفسه ، وقتل نفسه : فإن ابتليت بقتال احد او مخاصمته او مصارعته ، فأحسن الإعداد له . واعرف مع ذلك عدته ، وأبصر ، واخبر قوته ، كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك ، فان رأيت تقدماً ، وإلا كان التأخر قبل التقدم خيراً من التندم بعد التقدم . وفي ذلك اقول شعراً :

اذا ما رأيت الأمر فاعرفه كله وقسه قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو سـالماً من ندامة فلا خـير في امر أتى بالتندم

وان من الناس من يرزق حجة او عدة او قوة ، فتكون عدته هي التي تقتله ، وقوته التي تصرعه ، وحجته التي تخصمه ، وذلك أنه ربمـا أدل فقاتل قبل ان يعـلم أهو اعد أم الذي يقاتله ، وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه . فاذا هو قـد قتل او صرع او خصم فلم تنفعه جودة عدته ، ولا قوة حجته ، حين اتى الامر من غير جهته . وفي ذلك اقول شعراً :

اذا ما اتيت الامر من غير وجهه تصعب حتى لا ترى منه مرتقى
فان الذي يصطاد بالفخ ان عتا على الفخ كان الفخ اعتى وأضيقا

وقال الذي يعاتب الناس بغير مودتهم ، ويوجب حق نفسه عليهم : لا تدع الناس الى برك ، واجلال امرك ، وتعظيم قدرك ، بالمعاتبة ، ولكن ادعهم الى ذلك بما تستوجبه منهم . وانظر الأمر الذي أكرم بـه من هو أبعد منك ، وقرب بـه من انت اقرب منـــه ، فألزمه ، فانك ان تلزمه لم تحتج معه الى معاتبه ، ولا استبطاء حق لأنك ان دعوتهم الى تكرمتك بغير ما تستوجب التكرمة بـه ، فانما دعوتهم الى اهانتك ، اما بكلام يجرحك ، واما بفعال تفدحك . وان دعاهم الى ذلك فضلك ، اجابوا

اما بثناء يرفعك ، او بجزاء ينفعك .

• • •

وقال في معرفة الاخوان : انك لن تعرف اخاك حق المعرفة ، ولن تخبره حق الخبرة ؛ ولن تجربه حق التجربة ، وان كنتما في دار واحدة ، حتى تسافر معه ، او تعامله بالدينار والدرهم ، او تقع في شدة ، او تحتاج اليه في مهمة . فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته ، فانظر فان كان اكبر منك فاتخذه أباً ، وان كان اصغر منك فاتخذه ابناً ، وان كان مثلك فاتخذه اخاً ، وكن بـه اوثق منك بنفسك في بعض المواطن .

وقال : كن من الكريم على حذر ان أهنته ، ومن اللئيم ان اكرمته ، ومن العاقل ان احرجته ، ومن الأحمق ان مازحته ، ومن الفاجر ان عاشرته ، ولا تدل على من لا يحتمل إدلالك ، ولا تقبـل على من لا يحب اقبالك . وكن حذراً كأنك غر ، وكن ذاكراً كأنك ناس . والزم الصمت الى أن يلزمك التكلم ، فما اكثر من يندم اذا نطق ، واقل من يندم اذا لم ينطق . واذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة منطقك ، وقلة زللك ، وسعة عفوك وقلة حيلتك ، ومنفعة قوتك ، وحسن تخلصك . واعلم أن بعض القول اغمض من بعض ، وبعضه ابين من بعض ، وبعضه ألين من بعض ، وان كان واحداً . فان الكلمة اللينة لتلين من القلوب ما هو اخشن من الحديد ، وان الكلمة الخشنة لتخشن من القلوب ما هو ألين من الحرير . وان اعظم الناس بلاءاً ، وادومهم عناء ، واطولهم شقاء ، من ابتلى بلسان مطلق وفؤاد مطبق ، فهو لا يحسن ان ينطق ، ولا يقدر ان يسكت . واعلم أن ليس يحسن ان تجيب من لا يسألك ، ولا ان تسـأل من لا يجيبك ، وفي ذلك اقول شعراً :

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوة أن يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الأمر اصدرا

وقال في الرفق بالدواب : ان رفق الرجل بدوابه ، وحسن تعاهده لها ، وقيامه عليها ، عمل من اعمال البر ، وسبب من اسباب الغنى ، ووجه من وجوه المروءة .

* * *

وقال : التدبير مع المال القليل، خير من المال الكثير مع سوء التدبير ، وانما المنفقون ثلاثة . جواد مبذر ، وكريم مقدر ، ولئيم مقتر . وفي ذلك اقول شعراً :

رب مال سينعم الناس فيه وهو عن ربه قليل الغناء
كان يشقى به وينصب حيناً ثم امسى لمعشر غرباء
ما له عندهم جزاء اذا ما انعموا فيه غير سوء الثناء
رب مال يكون غماً وذماً وغني يعد في الفقراء

* * *

وقال في تصنيف الطعام :

اذا كنت ممن يؤكل طعامه ، وتحضر مائدته ، ويؤكل معه ، فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من ألب الناس في عمله ، وانظفهم في يديه . ولا تدع اعلامه ان احسن ، ولا انذاره ان اساء ، فان تعتبك عليه ، خير من تعتب الناس عليك .

واعلم أن لكل شيء غاية ، وان غاية الاستنقاء والتنظيف في الاستنجاء، والإكثار من الماء حتى يستوي اليدان والريح والمنظر . فانه لا طيب اطيب من الماء ، ولو أنه المسك ، وما اشبهه من الأشياء ، وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء اثوابه ، وانما يكون القذر في الحمقى من الرجال والنساء ، وبه يستدل على بلادتهم ، وفي ذلك اقول شعراً :

ولا خير قبل الماء في الطيب كله وما الطيب الا الماء قبل التطيب

وما انظف الأحرار في كل مطعم　　وما انظف الأحرار في كل مشرب

• • •

وقال في صفة العدو والصديق : احرص ان لا يراك صديقك الا انظف ما تكون ، ولا يراك عدوك الا احصن ما تكون ، فأما الصديق فان كان الذي اعجبه منك خلقك او خلقك ، ولها كان يحبك ، فكلما ازددت حسناً كان حبه لك اكثر ، ورغبته فيك اوفر ، (واكثرك عنده واكبر لك في صدره) (١) ، وادوم له على عهدك . واما العدو فليس شيء اعجب اليه من دمامتك وخساستك ؛ فاحترس منه ، واظهر الجميل ، فليس شيء اعجب اليه من التمكن منك فانظر ان لا يكون شيء اعجب اليك من التحصن منه .

• • •

وقال في العقل والادب : اعلم أن العقل امير ، وأن الأدب وزير . فان لم يكن وزير ضعف الامير ، وان لم يكن امير بطل الوزير . وانما مثل العقل والأدب كمثل الصيقل والسيف ، فان الصيقل اذا اعطي السيف اخذه فصقله ، فعاد جمالاً ومالاً وعضداً يعتمد عليه ويلتجأ اليه . فالصيقل الأدب ، والسيف العقل . فاذا وجد الأدب عقلا نفقه ووفقه ، وقواه وسدده ، كما يصنع الصيقل بالسيف ، واذا لم يجد عقلا لم يعمل شيئاً ؛ لأنه لا يصلح الا ما وجد . وان من السيف لما يصل ، ويسقى ويخدم ثم يباع بأدنى الثمن . ومنها ما يباع بزنته دراً وزبرجداً ، وذلك على نحو الحديد ، وجودته او رداءته . وكذلك الرجلان يتأدبان بأدب واحد ، ثم يكون احدهما انفذ من الآخر اضعافاً مضاعفة . وانما ذلك على قدر العقل وقوته في الأصل ، وفي ذلك قلت شعراً :

---

(١) وجدت هذه الجملة بالأصل من غير نقط المعلم . وهي في مخطوطة دار الكتب « وأكثرك عمدة وأكثرها في صوره » . (الناشر) .

وقد يصلح التأديب من كان عاقلا   وان لم يكن عقل فلن ينفع الادب

• • •

وقال في المراء : اذا اجتمع اهل نوع فتذاكروا على نوعهم ذلك ، فلم يكن اصل كل واحد منهم ان ينفع بما اسمع ، وينتفع بما سمع . فاعلم ان تذاكرهم ذلك من اول المراء ، يصدع العلم ، ويوهن الود ، ويورث الجمود ، وينشيء الشحناء ، ويغل القلب . وفي ذلك اقول شعراً :

تجنب صديق السوء واصرم حباله   فان لم تجد عنه محيصاً فداره
واحبب صديق الخير واحذر مراده   تنل منه صفو الود ما لم تماره

• • •

وقال في الحكمة : اما ما يسمع من كثير من الحكمة ، فان اوله شيء يخطر على الأفئدة اذا خطر ، وهو اصغر من الخردلة ، وأدق من الشعرة ، واوهن من البعوضة ، ثم تحركه الألسنة ، وتنبذه الأفئدة ، كما يحاك البرد ، وكما يحد النهر ، فيعود اكثر من الكثير ، واوثق من الحديد ، واثمن من الجوهر ، واحسن من الذهب ، وانفع من كليهما ؛ لأنه يزيد في المنطق ، ويذكي الذهن ، ويعين على الإبلاغ ، ويتجمل به القائل ، ويتقلب فيه كيف يشاء ، ويختار منه ما يشاء ، فينتفع به اللطيف ، وينبل به السخيف ، ويتزيد به الكثيف ، ويتأيد به الضعيف ، ويزداد به الأيد قوة في منطقه ، وبلاغة في كتبه فيكون في حفظه منفعة للخطباء فى خطبهم ، وللبلغاء في بلاغتهم وكتبهم ، وللكرماء في بشاشتهم ، وللشعراء في قصائدهم . فإذا كنت ممن يؤلف حكمة ، او يضع رسالة ، او يذكر في مهمة ، فلا تكمه قلبك ، ولا تكره ذهنك ؛ فانه اذا أكره كل ووقف . ولكن ان كنت في شيء من ذلك ، فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له ، والتأخر عنه على التقدم فيه ، فان الذهن يجم البئر ، ويصفو كما يصفو الماء .

• • •

وقال في الكلام واخراجه : اعلم أن مثل الكلام كمثل الحجارة ، فمنها ما هو اعز من الذهب والفضة ، ومنها ما لا يعطى في الصخرة العظيمة منه درهم . وفي ذلك اقول شعراً :

وما الحجر الكبير أعز فيما ظفرت به من الحجر الصغير
وكم ابصرت من حجر خفيف صغير بيع بالثمن الكثير

* * *

وقال في طلاقة الوجه وحسن الخلق : كن أسهل ما تكون وجهاً ، واظهر ما تكون بشراً ، واقصر ما تكون امداً ، واحسن ما تكون خلقاً ، وألين ما تكون كنفاً ، وأوسع ما تكون اخلاقاً ؛ فإن الأيام والأشياء عقب ودول ؛ فان انكرت منها شيئاً يوماً ما كان (ما) انكرت منها شيئاً خفيفاً على اهل الشماتة ، وعلى اهل الصفاء .

واحذر ان تحزن من يحبك ، وتفرح من يحسدك ، فلم ار في مصاب الدهر مصيبة اوحش من تغيير النعمة ، وإن انت لم تنكر منها شيئاً ، ودامت لك بما تريد ، فما من الدنيا شيء ، تناله بدعة ورفق ، إلا وهو اهنأ مما نيل بتعب ونصب . فأما من كفي وعوض فما يصنع بالغضب والتضايق ، وانها هم العمر ، ونكد الدهر ، وفي ذلك اقول :

ما تم شيء من الدنيا علمت به الا استحق عليه النقص والغير
ولا تغير من قوم نعيمهم الا تكدر منه الورد والصدر
فعاد غماً ولن تلقى امرأ ابداً (اغم) من ملك ايام يفتقر

وقال في الكذب :

كذبت ومن يكذب فان جزاءه اذا ما اتى بالصدق ان لا يصدقا

وقال فيه ايضاً :

اذا ما رأيت المرء حلواً لسانه كذوباً فأيقن انه لا حيا له

ولا خير في الإنسان ان لم يكن له حياء ولا في كل من لا وفا له

° ° °

وقال في الاخوان :

ليس من كان في الرخاء صديقاً وعدو الصديق بعد الرخاء
عـدة في اخائه لـه ديق انما ذاك عـدة الأعداء
لو ظفرنا بذي اخـاء امين لاشترينا اخاءه بالغـلاء
لو وجدنا أخـاً متيناً اميناً لاتخذنا اخـاءه للشفـاء

° ° °

اما الرفقاء في السفر ، والجلساء في الحضر ، والخلطـاء في النعم ، والشركاء في العدم ، فاحفظ مصاحبتهم وواظب على اخائهم ، وفي ذلك اقول شعراً :

وكنت اذا صحبت رجال قوم صحبتهم وشيمتي الوفـاء
فاحسن حين يحسن محسنوهم واجتنب الإساءة ان أساءوا
وابصر ما يعيبهم بعـين عليها من عيونهم غطاء
اريد رضاهم ابداً وآتي مشيئتهم واترك ما اشـاء

° ° °

لا تبدأن احداً بصغير مما يكره ولا بكبيره، ولا بقليل مما يسخط ولا بكثيره ، فان ابتداك احد بشيء من ذلك ، فقدرت على الإنتصار منـه ، فعفوت او انتصرت، فما احسن جميع ذلك ، الا أن العفو اكرم، والانتصار اعز ، وكلاهما خط ، وفي ذلك اقول شعراً :

فما (١) ذات باب بحمده فيما علمت عليه من طرق الصواب
واي الناس ألأم من سفيه يقول ولا يخاف من الجواب

° ° °

(١) كذا بالأصلين .

وقال في الجهل : اياك والجهل ، فانما تجهل على ثلاثة : رجل انت اعز منه ، ورجل هو اعز منك ، ورجل انت وهو في العز سواء ، فأما جهلك على من انت اعز منه فلؤم ، واما جهلك على ان من هو اعز منك فحيف ، واما جهلك على من هو مثلك فهراش مثل هراش الكلبين، ولن يفترقا الا مفضوحين او مجروحين ؛ وليس هذا من فعال الحكماء والعلماء . الحليم ارزن ، والجهول انقص ، وفي ذلك اقول شعراً :

ما تم علم ولا حلم بلا ادب ولا تجاهل في قوم حليان
ولا التجاهل الا ثوب ذي دنس وليس يلبسه الا سفيهان

° ° °

وقال في رؤية الرجل وخبره :

ان في الناس من يعجبك حين تراه ، وتزداد عند الخبرة اعجاباً (به)، ومنهم من تبغضه حين تراه ، وعند الخبر تكون له اكثر بغضاً ، ومنهم من يعجبك مخبره ، ولا يعجبك منظره ، ومنهم من يعجبك منظره ، ولا يعجبك مخبره . وفي ذلك اقول شعراً :

ترى بين الرجال العين فضلا وفيما أضمروا الغبن الغبين
ولون الماء مشتبه وليست تخبر عن مذاقته العيون
فلا تعجل بنطق قبل خبر فعند الخبر تنصرم الظنون

وقال ايضاً في ذلك :

وما صور الرجال بها امتحان وما فيها لمعتبر بيان
ولكن فعلهم ينبيك عنهم به تجب الكرامة والهوان
وما الإنسان لولا اصغراه سوى صور يصورها البنان

وقال ايضاً :

لم أزل ابغض كل امرىء وجهه احسن من خبره
فهو كالغصن يرى ناضراً ناعماً يعجب من زهره

ثم يبدو بعده ثمر فيكون السم في ثمره

° ° °

وقال في النهي عن القبيح :

واذا رأيت من احد امراً فنهيته عنه فلم يحمدك ولم يذمم نفسه على مكانه ، او يحدث حدثاً تعلم أنه قد انتفع بمقالتك ، فإن ذلك عيب آخر قد بدا لك منه ، لعله اقبح من الذي نهيته عنه ، وفي ذلك اقول شعراً :

ولا نهيت غوياً من غوايته إلا استزاد كأني كنت أغريه
ولا نصحت له إلا تبين لي منه الجفاء كأني كنت أغويه

° * °

وقال في المؤاخاة :

لا تؤاخ احداً إلا على اختبار منك له ، وارتضاء منك به ، واتفاق منه لك ؛ فإذ اتفق امركما كذلك ، فاعلم أن كلاكما يحسن ويسيء ويصيب ويخطيء ، ويحفظ ويضيع . فوطن نفسك على الشكر اذا حفظ ، وعلى الصبر اذا اضاع . وعلى المكافأة اذا احسن ، وعلى الإحتمال والمعاتبة اذا أساء ؛ فإن معاتبة الصديق اذا اساء ، احب الى الحليم من القطيعة في معاشرة من تؤاخيه . وفي ذلك اقول شعراً :

اذا عتبت على امرىء احببته فتوق ضائر عتبه وسبابه
وألن جناحك ما استلان لوده وأجب اخاك اذا دعا لجوابه

واحرص أن تعرف موقفك من احد حتى من ابيك وامك ، فإن من السخافة ان تكون لأخيك فيما يحب ، ويكون لك فيما تكره . وما اقبح ان تكون له فيما يكره ، ويكون لك فيما تحب . واعلم ان من تنفعك صداقته ، ولا تضرك عداوته ، الكريم الذي إن احسنت اليه كافأك ، وان اسأت اليه عاتبك وأما من تضرك عداوته ، ولا تنفعك صحبته ، فهو الجاهل السفيه اللئيم ، وفي ذلك اقول شعراً :

من الناس من إن يرضى لا تنتفع به ولكن متى يسخط فما شئت من ضرر
ضعيف على الأعداء لكن قلبه اشد اذا لاقى الصديق من الحجر

* * *

وقال في تقلب الدنيا ، شعراً :

انما الدنيا سراج ضوؤه ضوء معار
بينما غصنك غض ناعم فيه اخضرار
إذ رماه الدهر يوماً فإذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يأتي ثم يمحوه النهار

* * *

وقال في المداراة :

اذا هبطت بلداً اهلها على غير ما تعرف ، وانت على غير ما يعرفون ، فالزم كثيراً في المداراة ؛ فما اكثر من دارى ولم يسلم ، فكيف من لم يكن منه مداراة .

وفي ذلك اقول شعراً :

يا ذا الذى اصبح لا والداً له على الارض ولا والده
قد مات من قبلها آدم فأي نفس بعده خالده
إن جئت ارضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحدة

* * *

وقال : لا تقاتلن احداً تجد من قتاله بدأ ، فإنما الحق لمن غلب ، ولا غالب الا الله . وإن آخر الدواء الكي ، فلا تجعله اولاً وفي ذلك اقول شعراً :

وكم رأينا من اخي غبطة أصبح مسروراً وأمسى حزينا
وكم فتى يركب طاحونة للحرب قد اصبح فيها طحينا

وفي الاعسار والايسار :

كم من صديق لنا ايام دولتنا وكان يمدحنا قد صار يهجونا

إني لأعجب ممن كان يصحبنا ما كان اكثرهم إلا يراؤونا
لم ندر حتى انقضت عنا إمارتنا من كان ينصحنا او كان يخوينا
من كان ينصفنا ما كان يصحبنا الا ليخدعنا عما بأيدينا

* * *

وقال في الصلة والتفضل :

لا يكن من وصلك احق بصلتك منك بصلته ، ولا من تفضل عليك اولى بالتفضل منك عليه ، فإنما انت وهو كرجلين ابتدرا أكرومة فقصر احدهما وبلغ الآخر ؛ فأما القاصر فقصر عن حظ نفسه ، وأما البالغ فبلغ تجميل امره وعظيم قدره .

* * *

وقال في القدر :

اذا كان الرجل لبيباً فاعلم أنه كامل ، ولكن لن يقدمه ذلك الى ما كان يطالب ، ولن يؤخره عما كان يحاذر ، الا بقدر يلحق به ما طلب ، ويسبق به ما يحذر ، وإن من الناس من يؤتى منطقاً وعقلا ، ولا يؤتى مالا ، ومنهم من يؤتى مالاً ، ولا يؤتى غيره ، فيحتاج مع ماله الى عقل ذي العقل ومنطقه ، ويحتاج ذو العقل الى مال ذي المال ورفده ، وينهض هذا بهذا ؛ فليس لأحدهما اذا غنى عن الآخر . فأحوج الملك الى السوقة ، واحوجت السوقة الى الملك .

* * *

وقال في التفاضل: لا تقل فلان اغنى مني، وأنا احزم منه، فإنه لو جمع العقل والشدة والشجاعة وأشباه ذلك لقوم وبقي قوم لا شيء لهم لهلكوا، ولكن الله عز وجل قال : (أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فأوتى

بعضهم عقلا ، وبعضهم قوة ، وبعضهم مالاً ، مع اشياء مما يكون فيه صلاحهم وبه معايشهم ، ثم احوج بعضهم الى بعض ، فعاشوا . وإنما مثل الرجل ورزقه ، ومثل عقله وادبه ومروءته وحكمه ، كمثل الرامي ورميته ، فلا بد للرامي من سهم ، ولا بد لسهمه من قوس ، ولا بد لقوسه من وتر ، ولا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ به ما رشق ، ويصيب به ما يبلغ ، ويحوز به ما اصاب ؛ وإلا فلا شيء . فالرامي الرجل والرمية الرزق ، ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ، ولا شيء من ذلك إلا بقدر .

وفي ذلك اقول شعراً :

ما القوس إلا عصاً في كف صاحبها — يرعى بها الضأن او يرعى بها البقر
او عود بان وإن كانت معقفة — حتى يضم اليها السهم والوتر
وإن جمعت لها هذين فهي عصا — حتى يساعد من يرمي بها القدر

* * *

وقال : إن حسن السمت وطول الصمت ومشي القصد ، من اخلاق الأنقياء ، وان سوء السمت وترك الصمت ومشيء الخيلاء ، من اخلاق الاشقياء . فإذا مشيت فوق الأرض فاذكر من تحتها ، وكيف كانوا فوقها وكيف حلوا بطنها ، وكيف كانوا أمماً . واعلم أن ابن آدم اعز من الأسد، وأشد من العمد ، ما لم تصبه ادنى شوكة ، وأدنى مرض ، وادنى مصيبة . فإذا اصابه شيء من ذلك وجدته اهون من الذرة ، وأمهن من البعوضة . فلا يغررك تجبره ، وتفرعنه واستطالته . وفي ذلك اقول شعراً :

ولا تمش فوق الارض الا تواضعاً — فكم تحتها قوم هم منك ارفع
فإن كنت في عز وحرز ومنعه — فكم طاح من قوم هم منك امنع

* * *

وقال في الغنى والقنوع : ان الغنى في القلب ، فمن غنيت نفسه وقلبه غنيت يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، وفي ذلك اقول شعراً :

اذا المرء لم يقنع بشيء فإنه وان كان ذا مال من الفقر موقر
اذا كان فضل الله يغنيك عنهم فأنت بفضل الله اغنى وأيسر

وقال في الرأي والمشاورة : اذا استشير نفر انت احدهم فكن آخر من يشير ، فإنه اسلم لك من الصلف ، وابعد لك من الخطأ ، وأمكن لك من الفكر ، وأقرب لك من الحزم . وفي ذلك اقول شعراً :

ومن الرجال اذا زكت احلامهم من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجول بكل واد قلبه فيرى ويعرف ما يقول فينطق
فبذاك يطلق كل امر موثق وبذاك يوثق كل امر مطلق
ان الحليم اذا تفكر لم يكد يخفى عليه من الأمور الأوفق

* * *

وقال في النهي عن مجالسة اهل الأهواء والبدع ومحادثتهم :

أما هذه الاهواء ، فإني لم أر احداً ازداد فيها بصيرة ، الا ازداد فيها عمى ؛ لأن امر الله اعز من ان تلحقه العقول . ولم أر اثنين تكلما فيها الا رأيت لكل واحد منها حجة لا يقدر صاحبه على دفعها إلا بالشبهة والمغالطة وأما بالنصيحة فلا . ومن غالط في هذا او مثله فإنما يغالط نفسه ، وعليها يخلط ، وإياها يخدع ، او اراد ان يخادع ربه ، والله اعز من ان يخدع .

لقد نبئت ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم: لا تجادل اهل الأهواء فيوقعوا في قلبك شيئاً يوردك بـه الى النار . فهذا أمر نهي عنه موسى عليه السلام ، وقد أعطي التوراة فيها هدى الله ، وقد كلم الله موسى تكليما ، فكيف يغيره اهل الأهواء .

ولم يزل الصالحون يتناهون عن الهوى والمراء والجدل به ، ولم أر قياساً قط تم ، ولا كلاماً صح ، الا وفيه كلام بعد كثير ، فالسنة أن لا يتكلم في شيء من الأهواء بالهوى ، وبغير الاتباع للكتب المنزلة ، والسنن للرسل الصادقة . وفي ذلك اقول شعراً :

اذا أعطي الإنسان شيئاً من الجدل فلم يعطه الا لكي يمنع العمل
وما هذه الأهواء إلا مصائب يخص بهـا اهل التعمق والعلل

* * *

وقال في النميمة :

إياك والنميمة؛ فإنها لا تترك مودة الا افسدتها ، ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة لا بددتها ، ولا ضغينة الا أوقدتها . ثم لا بد لمن عرف بهـا ، او نسب اليها أن يتحفظ من مجالسته ، ولا يؤتى بناحيته . وأن يزهد في مناقشته ، وأن يرغب عن مواصلته . وفي ذلك اقول شعراً :

تمشيت فينـا بالنميم وانمـا يفرق بين الأصفياء النمائم
فلا زلت منسوباً الى كل آفـة ولا زال منسوباً اليك اللوائم

وفي مثله اقول :

كالسيل في الليل لا يدري به أحد من اين جاء ولا من اين يأتيه
فالويل للعبد منه كيف ينقصه والويل للود منه كيف يبليه

وقال : اذا قيل لك : اى شيء اطول ؟ فقل : الكلام واذا قيل لك : اي شيء أقصد ؟ فقل الكلام؛ لأن الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لألف كلمة، وقد يكون جوابها الف كلمة وأكثر . ولن تدرك الكلام حتى تذره، ولن تذره حتى تحذره . وفي القول خطأ كثير وبعضه صواب ، وإن الصمت منه لأصوب . فاترك منه ما لا تنتفع بأخذه ، وخذ منه ما تقدر على تركه، واسجن لسانك كما تسجن عدوك ، واحذره كما تحذر غائلته .

وقال في تأديب النفس : اذا ابصرت بعض ما تكره من غيرك ، فاسرع الرجعة منه قبل ان يبصره فيك من يستريبه ، واحمد الله الذى أحسن اليك ، وبصرك عيوب نفسك ، ونبهك للرجوع من غيك . واذا اخبرك بعيبك صديق ، قبل أن يخبرك بـه عدو ، فأحسن شكره ، واعرف حقه؛ فإن خبر العدو تعييب، وخبر الصديق تأديب . وفي ذلك اقول شعراً:

ولن يهلك الإنسان الا اذا أتى   من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه

وقال في الحاسدين :

اعلم أنك لن تلقى من الخير درجة ، ولن تبلغ منه مرتبه ، ولن تنزل منه منزلاً ، الا وجدت فيه من يحسدك . وإنما الحاسد خصم فلا تجعله حكماً ، فإنه ان حكم لم يحكم الا عليك ، وإن قصد لم يقصد الا اليك ، وإن دفع لم يدفع إلا حقك . وفي ذلك اقول شعراً :

ولو كنت مثل القدح ألفيت قائلا   ألا ما لهذا القدح ليس بقائم
ولو كنت مثل النصل ألفيت قائلا   ألا ما لهذا النصل ليس بصارم

انتهت

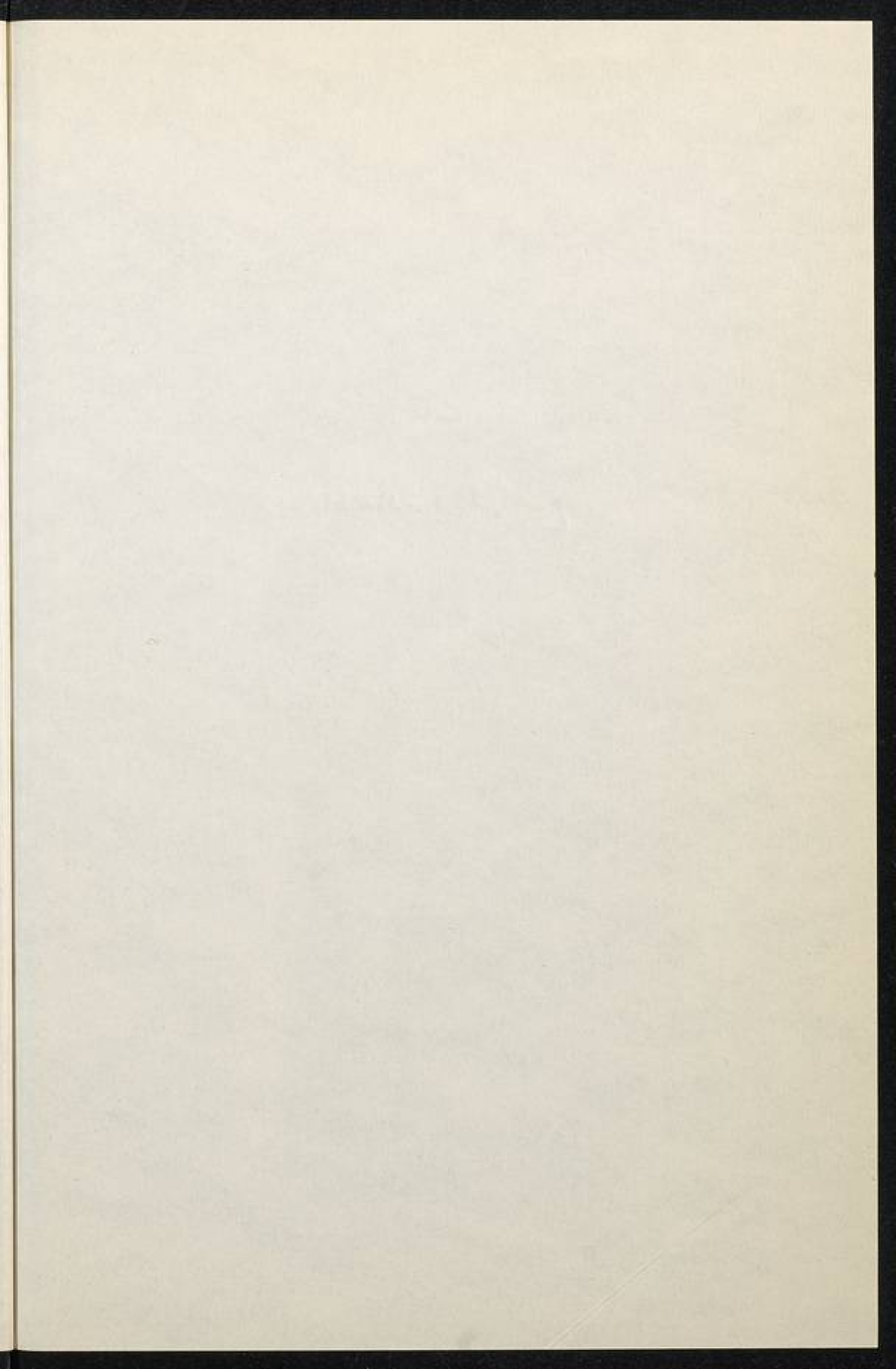
تم طبع الكتاب في مطبعة دار البصري   بغداد

١/٢٠٠٠/١ ،٢/١٩٦٨

توجد نسخة من الرسالة (مخطوطة) بدار الكتب المصرية برقم ١٤٧٧ أدب .

ثبت

المصادر والمراجع



﴿ ١ ﴾

المخطوطات :

التشبيهات ـ لشهاب الدين الحلبي ـ في المكتبة العباسية في البصرة
كتاب التفاحة الوردية في شرح العقيدة الزينبية .
شرح . عبد المعطي بن سالم بن عمر الشبلي السملاوي .
دار الكتب المصرية : ٣٥٢ مجاميع
حماسة الظرفاء في اخبار المحدثين والقدماء
لأبي محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني الزوزني
نسخة مصورة في مكتبة المعيبد . البصرة



المقالات والبحوث

Van H. S, Nyberg :
Zum Kampf Zwischen Islam und maniehaismus
PP : 426 OLZ 1929
I. Gold Ziher :
Salih B. Abd-Al-Kuddus und Daszindskthum
Wahrend Der Regierung Das Chalifen Al-mahdi
PP. 104 [منشورات المؤتمر التاسع للمستشرقين ٢ / ١٠٤ ـ ١٢٩]
مجلة المشرق ١ / ٦٨١ وما بعدها
اصل كلمة زنديق ـ للاب سبستيان رنزفال اليسوعي
الشاعر صالح بن عبد القدوس ـ لويس شيخو .
مجلة المشرق ٢٤ / ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨
المعتزله ـ آرنولد

مجلة الاديب العدد ٩ / ١٩٤٦ ص ١٧
من اعلام السجناء عند الأقدمين - نور الدين بيهم
مجلة العرفان : ص / ٨٠١ سنة ١٩٣٩
مجلة كلية الآداب : بغداد ، العدد الخامس ، نيسان ١٩٦٢
رسالة ابن كمال باشا
الانسكلوبيدية الاسلامية / مادة زنديق .

المصادر الانجليزية

EDUARD Zeller ;
Out lines of the History of GreeK
Philosophy London 1931
BERTRAND Russell :
History of Western philosophy .
Londn 1947
S . E . Frost :
The sacred writtings of the world's
Great Religions .
B . Roberts : Dasfamilien - sklevin und Erbrechtim Qoran
Leipzig 1908

المصادر الفارسية

تاريخ كزيده	المستوفي القزويني	لايدن	١٩١٠
غياث اللغات	غياث الدين	لكنهور	١٨٨٥
تاريخ ايران	عبدالله رازي همداني	طهران	١٣١٧

ايران في عهد الساسانيين آرثر كريستنسن ل . ت . م . ن
القاهرة ١٦٥٧
ادب المعتزله عبد الحكيم بلبع النهضة المصرية
انتقال علوم الاغريق الى العرب دي‌لاس أوليري الرابطة
بغداد ١٩٥٨
احسن ما سمعت الثعالبي مطبعة الجمهور القاهرة ١٣٢٤ هـ
الاحكام السلطانية ابو الحسن علي بن محمد الماوردي البابي الحلبي .
القاهرة ١٩٦٠
اصول الفلسفة الاشراقية محمد علي ابو ريان القاهرة ١٩٥٩
الاغاني ابو الفرج الأصفهاني دار الكتب . القاهرة ١٩٥٩
الاغاني ابو الفرج الاصفهاني التربية والتعليم . القاهرة ١٩٥٨
الاموال ابو عبيد القاسم بن سلام القاهرة ١٣٥٣ هـ
الامتاع والمؤانسة ابو حيان التوحيدي الحياة . بيروت
الالفاظ الفارسية أدي شير الكاثوليكية . بيروت ١٩٠٨
اصول الفلسفة العربية يوحنا قمير الكاثوليكية . بيروت ١٩٥٨
الأعلام خير الدين الزركلي القاهرة ٢ ط ١٩٥٤ - ١٩٥٩
امالي المرتضى البابي الحلبي . القاهرة ١٩٥٤
امالي القالي المكتب التجاري . بيروت
اتجاهات الشعر العربي في ٢ق‌هـ محمد مصطفى هداره دار
المعارف . القاهرة ١٩٦٣
الآثار الباقية عن القرون الخالية ابو الريحان محمد بن احمد البيروني
المثنى . بغداد ١٩٢٣
الانتصار أبو الحسين الخياط دار الكتب . القاهرة ١٩٢٥
الاسلام والعرب روم لاندو دار الملايين . بيروت ١٩٦٢

ادب الدين والدنيا الماوردي البابي الحلبي . مصر ١٩٥٥

انباه الرواة القفطي دار الكتب المصرية ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥

اسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني الاستقامة . القاهرة ١٩٣٢

الف با للبلوى المطبعة الوهبية . مصر ١٢٨٧ هـ

لابانة عن سرقات المتنبي ابو سعيد الصيمري دار المعارف . القاهرة ١٩٦١

الأشباه والنظائر السيوطي حيدر آباد الدكن ١٣٦٠ هـ

اعجاز القرآن ابو بكر محمد بن الطيب القاهرة ١٩٦٣

الأخبار الطوال الدينوري الثقافة والارشاد . القاهرة ١٩٦٠

الحان الحان عبد الرحمن صدقي دار المعارف . مصر ١٩٥٧

أوفى خبر عن القضاء والقدر عوض واصف مطبعة مصر ١٨٩٧

الارشاد لمن انكر المبدأ والنبوة والمعاد ابن الواعظ مطبعة الاداب ـ دار السلام ١٣٢٩ هـ

اعلام الناس ذياب الاتليدي مصر ـ القاهرة

انوار الربيع في علم البيان والبديع سيد علي خان

البصرة العظمى سلمان فيضي دار التضامن ـ بغداد ١٩٦٥

البلدان اليعقوبي المطبعة الحيدرية ـ النجف الاشرف

البيان و التبيين الجاحظ الخانجي ـ مصر ١٩٦٠

البصائر والذخائر ابو حيان التوحيدي ـ دمشق ١٩٦٤

تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ـ دمشق ١٩٤٥

تهذيب تاريخ ابن عساكر ابن بدران ـ دمشق ١٣٢٩ - ١٣٤٩

تهافت الفلاسفة ابو حامد الغزالي الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٢

تأويل مشكل القرآن   ابن قتيبة   دار احياء الكتب
العربية ١٩٥٤
التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية   عبد الرحمن بدوي
النهضة المصرية ١٩٤٠
تاريخ الحضارة الاسلامية   ف - بارتولد   دار المعارف
مصر ١٩٥٢
تاريخ اليعقوبي   اليعقوبي   الحيدرية - النجف الاشرف ١٩٦٤
تاريخ الطبري   الطبري   الحسينيه - القاهرة ١٣٣٦ هـ
تاريخ العرب قبل الاسلام   جواد علي   مطبعة التفيض
- بغداد ١٩٥٢
تاريخ الفلسفة لاسلامية   دي لابور   القاهرة ١٩٥٧
تاريخ الفكر العربي   عمر فروخ   المكتب التجاري -
تلبيس إبليس او نقد العلم والعلماء   ابن الجوزي   المطبعة
المنيرية - مصر
تاريخ المذاهب الاسلامية   محمد ابو زهرة   دار الفكر العربي
تحريم النظر في كتب اهل الكلام   ابن قدامه المقدسي   لندن
تاريخ آداب اللغة العربية   جرجي زيدان   دار
الهلال ١٩٥٧
تاريخ الشعر العربي   نجيب محمد البهبيتي   الخانجي - القاهرة
تاريخ الخلفاء   السيوطي   المكتبة التجارية - مصر ١٩٦٤
تاريخ الادب العربي   بروكلمان   دار المعارف - مصر
١٩٦٠ - ١٩٦٢
التمثيل والمحاضرة   الثعالبي   البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦١
تاريخ الحضارة الاسلاميه   عبد المنعم ماجد   مطبعة

الرسالة ـ القاهرة ١٩٦٣
تاريخ سني الملوك والانبياء حمزه الاصفهاني مكتبة
الحياة ـ بيروت
تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم ل ـ ت م ـ ن
مصر ١٩٣٦
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن لاول هـ صالح
احمد العلى المعارف ـ بغداد ١٩٥٣
التيارات المذهبية بين العرب والفرس احمد محمد الحوفي القاهرة
تذكرة ابن حمدون النهضة ـ القاهرة ١٩٢٧
الجاحظ طه الحاجري دار المعارف ـ مصر ١٥٦٢
الجاحظ شارل بلات اليقظة العربية ـ دمشق ١٩٦١
الجمع بين رأي الحكيمين ابو نصر الفارابي الكاثوليكية ـ بيروت
الحياة الادبية في البصرة كمال احمد زكي دار الفكر
ـ دمشق ١٩٦١
الحيوان الجاحظ البابي الحلبي ـ مصر
حياة الحيوان الكبرى الدميري المكتبة التجارية
الكبرى ـ مصر ١٩٦٣
الحماسة البصرية ابو الفرج البصري حيدر آباد
الدكن ١٩٦٤
الحماسة البحتري المكتبة التجارية ١٩٢٩
خلاصة الذهب المسبوك عبد الرحمن سنبط مينتو الأربلي مكتبة
المثنى ـ بغداد
خزانة الأدب البغدادي بولاق ـ القاهرة ١٢٩٩ هـ

دراسات في تاريخ الفلسفة الاسلامية عبده الشمالي دار صادر - بيروت ١٩٦٥

دراسة في طبيعة المجتمع العراقي علي الوردي مطبعة النعمان - بغداد ١٩٦٥

دراسات فى حضاره الاسلام هاملتون جب دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٤

ديوان بشار بن برد محمد الطاهر بن عاشور ل - ت - م - ن - القاهرة

ديوان المتنبي شرح الواحدي برلين

ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان بطرس نصري الموصل - العراق ١٩١٠

ذم الهوى ابن الجوزي دار الكتب الحديثة ١٩٦٢

رسالة الغفران المعري مطبعة المعارف - مصر

رسالة الغفران المعري دار المعارف - مصر ١٩٦٣ ت / بنت الشاطي ،

رسائل البلغاء محمد كرد علي ل . ت . م . ن . القاهرة ١٩٥٤

الرسالة التدمرية ابن تيمية القاهرة

الرسالة الموضحة الحاتمي الكاتب دار صادر بيروت

سمط اللاليء البكري ل . ت م . ن القاهرة ١٩٣٦

سرح العيون ابن نباتة البابي الحلبي . مصر ١٩٥٧

شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد دار مكتبة الحياة . بيروت

شرح المضنون به على غير أهله عبد الله بن عبد الكافي السعادة مصر ١٩١٣

شرح مقامات الحريري الشريشي - القاهرة ١٩٥٢

شخصيات قلقة في الاسلام عبد الرحمن بدوي القاهرة ١٩٦٤

الصواعق المحرقة ابن حجر الهيثمي المكي مكتبة القاهرة

مصر ١٩٦٥
الصداقه والصديق ابو حيـان التوحيدي دار الفكـر
. دمشق ١٩٦٤
طبقات الشعراء ابن المعتز دار المعارف . مصر ١٩٥٦
طراز المجالس شهاب الدين الخفاجي المطبعة الوهبية .
القاهرة ١٢٨٤ هـ
عواصم الخلافة الشرقية كي . لسترنج الرابطة . بغداد ١٩٥٤
العمدة ابن رشيق القيرواني السعادة . مصر ١٩٥٥
العلم عند العرب الدوميلي دار القلم . مصر ١٩٦٢
عيون الاخبـار ابن قتيبة الدينوري الثقافة والارشاد
. مصر ١٩٦٣
عصر المأمون احمد فريد رفاعي دار الكتب المصرية .
القاهرة ١٩٢٨
عيار الشعر ابن طباطبا العلوي المكتبة التجارية مصر ١٩٥٦
العيون والحدائق واخبار الحقائق لمؤلف مجهول مكتبـة
المثنى . بغـداد
الغيث المسجم في شرح لامية العجم الصفدي مصر ١٢٩٠ هـ
فتوح البلدان البلاذري مكتبة النهضة المصرية
فجر الاسلام احمد أمين الاعتماد . القاهرة ١٩٢٨
الفرق بين الفرق البغدادي مطبعة المدني . القاهرة
في التصوف الاسلامي رينولد . ا . نيكولسن ل . ت . م ه ن
. القاهرة ١٩٥٦
في التفضيل بين بلاغتي العربي والعجم ابو احمد الحسين بن عبد
الله العسكري مطبعة الجوائب . القسطنطينية ١٣٠٢ هـ

في تعريف القدماء بأبي العلاء باشراف طه حسين دار الكتب المصرية ١٩٤٤

الفلسفة الاسلامية ومركزها في التفكير الاسلامي ريتشارد فالتزلر بيروت ١٩٥٨

الفلسفة الاسلامية ج١ هنري كوكربان منشورات عويدات ١٩٦٦

الفصـــل في الملل والاهواء والنحـــل ابن حزم الاندلسي المثنى . بغداد

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الغزالي البابي الحلبي ١٩٦١

الفهرست ابن النديم الاستقامة . بيروت

فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي مكتبة النهضة المصرية

الفلاكة والمفلوكين شهاب الدين احمد الدلجي الاداب . النجف ١٣٨٥ هـ

قصة الفلسفة الحديثة أحمد أمين وزكي نجيب القاهرة ١٩٣٦

قصة الفلسفة اليونانية » » » دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٦

قصة صالح بن عبدالقدوس مع راهب الصين اسحق ارملة السرياني مجلة المشرق ٢٤ / ٢٧٤ وما بعدها

الكامل المبرد مطبعة نهضة مصر . القاهرة ١٩٥٦

الكامل المبرد البابي الحلبي . القاهرة ١٩٣٦

كتاب الصناعتين ابو هلال الحسن العسكري دار احياء الكتب العربية . مصر ١٩٥٢

لوائح الأنوار البهية محمد بن السفاريني مجلة المنـــار
- مصر ١٣٢٣

لباب الآداب اسامة بن منقذ المطبعة الرحمانية . مصر ١٩٣٥
اللطايف والظرائف لأبي نصر المقدسي القاهرة ١٣٢٤ هـ
مجموعة المعاني مجهول الجوائب
المحبر ابن حبيب المكتبة التجارية . بيروت
محاضرات في التاريخ الاسلامي صالح احمد العلي المعارف .
بغداد ١٩٥٥
المعتزلة زهدي حسن جار الله القاهرة ١٩٤٧
منهاج العلماء المسلمين في ابحث العلمي فرنتز روزنتال دار
الثقافة . بيروت ١٩٦١
معجم الأدباء ياقوت الحموي الطبعة الأولى ١٩٢٧
الملل والنحل الشهرستاني البابي الحنبي . بمصر ١٩٦١
مروج الذهب المسعودي دار الاندلس ١٩٦٥
المنقذ من الضلال الغزالي الكاثوليكية . بيروت
مقالات الاسلاميين الاشعري النهضة المصرية ١٩٥٠
محاضرات في الفلسفة الاسلامية يحيى هويدي النهضـــة
المصرية ١٩٦٥
مقدمـــة في تاريخ الحضــــارة في صدر الاسلام الدوري
الكاثوليكية . بيروت
ميزان الاعتدال الذهبي البابي الحلبي . دار احياء الكتب
العربية ١٩٦٣
مشاكلة الناس لزمانهم اليعقوبي دار الكتاب الجديد . بيروت

من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام بندلي جوزي لاتوجد الطبعة الاولى
من تاريخ الالحاد في الاسلام بدوي النهضة المصرية . القاهرة ١٩٤٥
مجاني الأدب لويس شيخو المطبعة الكاثوليكية . بيروت
من حديث الشعر والنثر طه حسين دار المعارف . القاهرة ١٩٦٥
المجتمعات الاسلامية في القرن الاول شكري فيصل دار العلم للملايين . بيروت
محاورات جدلية شيخو بيروت ١٩٢٣
المنازل والديار أسامة بن منقذ الطبعة الاولى ١٩٦٥
المثل السائر ضياء الدين بن الاثير نهضة مصر ١٩٥٩
محاضرات الأدباء الراغب الاصفهاني دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦١
المحاسن والاضداد الجاحظ مطبعة السعادة . القاهرة ١٣٣٤ ه
المخلاة بهاء الدين محمد بن حسين بن عبدالصمد البابي الحلبي . مصر ١٩٥٧
المستطرف ابو الفتح الابشيهي الاستقامة . القاهرة ١٣٧٩ ه
المحاسن والمساويء البيهقي دار صادر . بيروت ١٩٦٠
مثالب الوزيرين ابو حيان التوحيدي دار الفكر .دمشق
مراجع تراجم الادباء العرب خلدون الوهابي المعارف . بغداد ١٩٦٢
المعارف ابن قتيبة دار الكتب . القاهرة ١٩٦٠
نهاية الأرب في فنون الأدب النويري الثقافة والارشاد . مصر ١٩٥٤

نكت الهميان في نكت العميان   الصفدي الجمالية . مصر ١٩١١
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة   ابن تغري بردي وزارة
الثقافة والارشاد . مصر
نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام   علي سامي النشار   دارالمعارف
القاهرة ١٩٦٦
النظم الاسلامية   ابراهيم حسن ، وعلي ابراهيم حسن   النهضة
المصرية ١٩٦٢
الوساطة بين المتنبي وخصومه   الجرجاني الطبعة الاولى ١٩٤٥
الوحشيات   ابو تمام الطائي   ذخائر العرب ١٩٦٣
هدية الامم وينبوع الادب والحكم   عبد الرحمن ناجم افنـدي
بيروت ١٣٠٨ هـ

فهرس القوافي لشعر الديوان

فهرست عام

بالاعلام والقبائل والجماعات والمدن والقرى

— أ —

— ب —

— ت —

- ز -

- س -

— ش —

- ص -

ـ ط

ـ ع ـ

— ك —

— م —

ـ ن ـ

- و -

- ه -

- ي -

التصويبات

الصفحة	السطر	الصـواب
٦	٥	وهشتاباذ
٦	٦	المثنى بن حارثة الشيباني
٦	٩	القرون الوسطى المغلقة
٦	١٣	أصبحت
٩	٣	بالإندغار
٩	٤	كرمان
٩	ح	صالح احمد العلي ص ٧٠
١٠	ح	الأخبار الطوال
١٢	ح	ابن قيم الجوزية
١٣	ح	بدوي
١٥	ح	تكملة الحاشية في هامش صفحة (١٦)
١٦	٧	القائم
١٧	٣	امرها
١٧	٩	تبعاً
»	١٠	للنحو وكانت
»	١٦	الإتجاه
»	١٨	دافعاً
»	ح	فالتزر
١٨	ح	القلاكة والمفلوكون

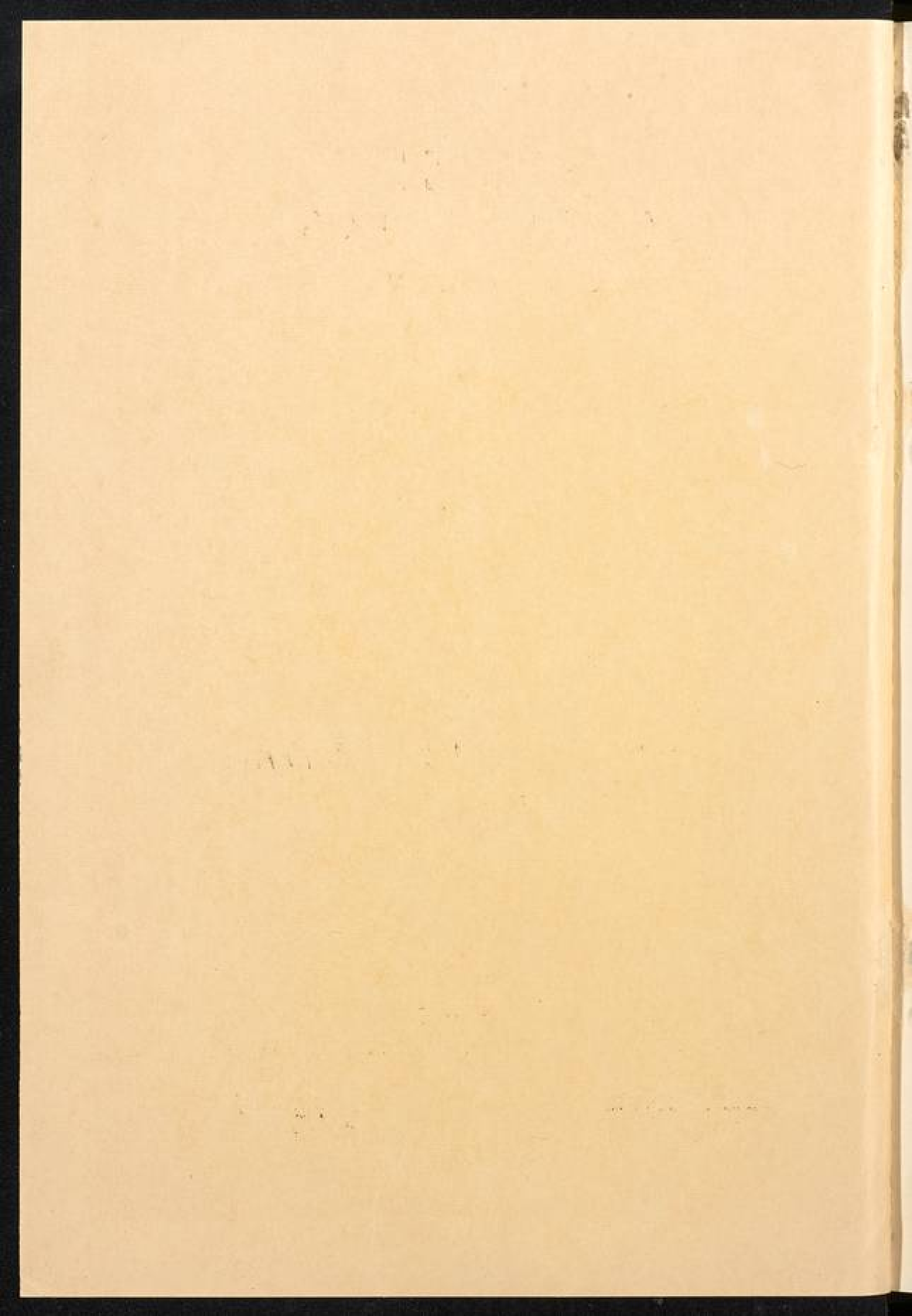
ص	س	الصـــواب
٢٢	ح	« على النقود والعين » (٤) (٤) العلي / التنظيمات ص ٨٦
٢٢	ح	البلدان
٢٣	١٤	يفادوهم
«	«	نص مقتبس من كتاب التنظيمات / العلي ص ٥٠
«	ح	Sklaven
«	«	طبقات
٢٥	٢	قامت
«	٨	الشعراء
٣٠	ح	عبد الحليم محمود
٣١	٢	ومن الأمور
«	٣	اجتماعية
٣٢	٨	لمـــا
٣٣	١٦	المغول
٣٦	٢	لماذا
٣٧	١	يضاف بعد(وهذا التفكير الحر المتطرف هو الذي) الآتي: كشف كراوس منذ عهد قريب ، عن اهم مصنفاته، منذ الأيرانشهري الى ثغوري ويشمل ذلك ما . . .
٤١	٣	صحابه
٤٤	٤	السلفية
«	١٢	وأما المعري (٢)
«	١٨	وان هذا المذهب
«	١٩	المذهب المادي بالذات
«	ح	تحقيق بنت الشاطيء

ص	س	الصـــواب
»	ح	P 56
٥٢	٥	الكافية
٥٤	٢١	يعاملون
٥٧	١٠	(ر)
»	٢	(ر)
٥٩	٢	الفلسفي
٦٠	٤	يوضع رقم(١) في نهاية النص وفي الهامش: الدوميلي العلم عند العرب ص٩١ ، ويصحح رقم النص(١)الى(٢)
٦١	ح	تضاف كلمة (راجع) لهامش رقم (١)
٦٢	ح	العرض والجوهر
٦٧	٩	غير أن جل المؤرخين اتفقوا على أن المهدي
٧٠	١٢	والمقولات الفارسية والاديان الاخرى
٧١	١٦	شعر
٧٣	١	إلا أن هناك
٧٤	ح ١	أناكسجوراس
٧٥	٢١	سأل ابو الهذيل
٧٦	٤	(٢)
»	٩	على علاتها
٧٩	٥	التشاؤمية
٧٨	١١	فيجب
٨٢	٣	القصيدة
٨٥	ح	نص رقم (٢)
٨٧	٨	صفة
٩٠	٢	زمان

ص	س	الصـــواب
٩٨	١	(ص) ١٢
١٠٨	نص رقم (٥)	يضاف بعد البيتين الآتي (وقد كان لصالح ، ولد حبس على الزندقة حبساً طويلا)
١١١	السطر الاول	من النص رقم (١١) خلف بن المثنى
١١٧	السطر الأخير	والبيت الثامن
١٢٠	١١	الوضوح
١٢١	ح سطر ٤	عبد الله المنوفي
	د	السملاوي
١٢٣	السطر الأخير	(والبيت ٧ فيه اقواء) تحذف الصفحة
١٣٣		(القطعة ٢٦) : اصلها قطعتان الاولى من البيت الاول والثاني ، والثانية من بقية الأبيات ، وعلى هذا يلاحظ التخريج .
١٣٥		(القطعة ٣١) : تكررت برقم (٦٣) في ص ١٤٦ ، ولاحظ الخطأ (لا ترض) .
١٣٥		(الحاشية سطر ٣) : مذهبه السياسي ، و (سطر ٧) ينسبهما .
١٣٨		(القطعة ٤٣) البيت الاول : إني لأعرض .
١٤٤		بعد القطعة (٥٤) سقط التسلسل (٥٥) .
١٥٢		(القطعة ٨٦) سبقت برقم (١٨) ص ١٣٠ .
١٥٧		يضاف الى شعر صالح بن جناح البيت الذي ورد في حماسة البحتري:

فليس لنـــا غير التوكل عصمة على ربنــا إن التوكل نافع

محتويات الكتاب



SALIH
ABDUL QUDDOS
AL - BASRI

About 77-167 H

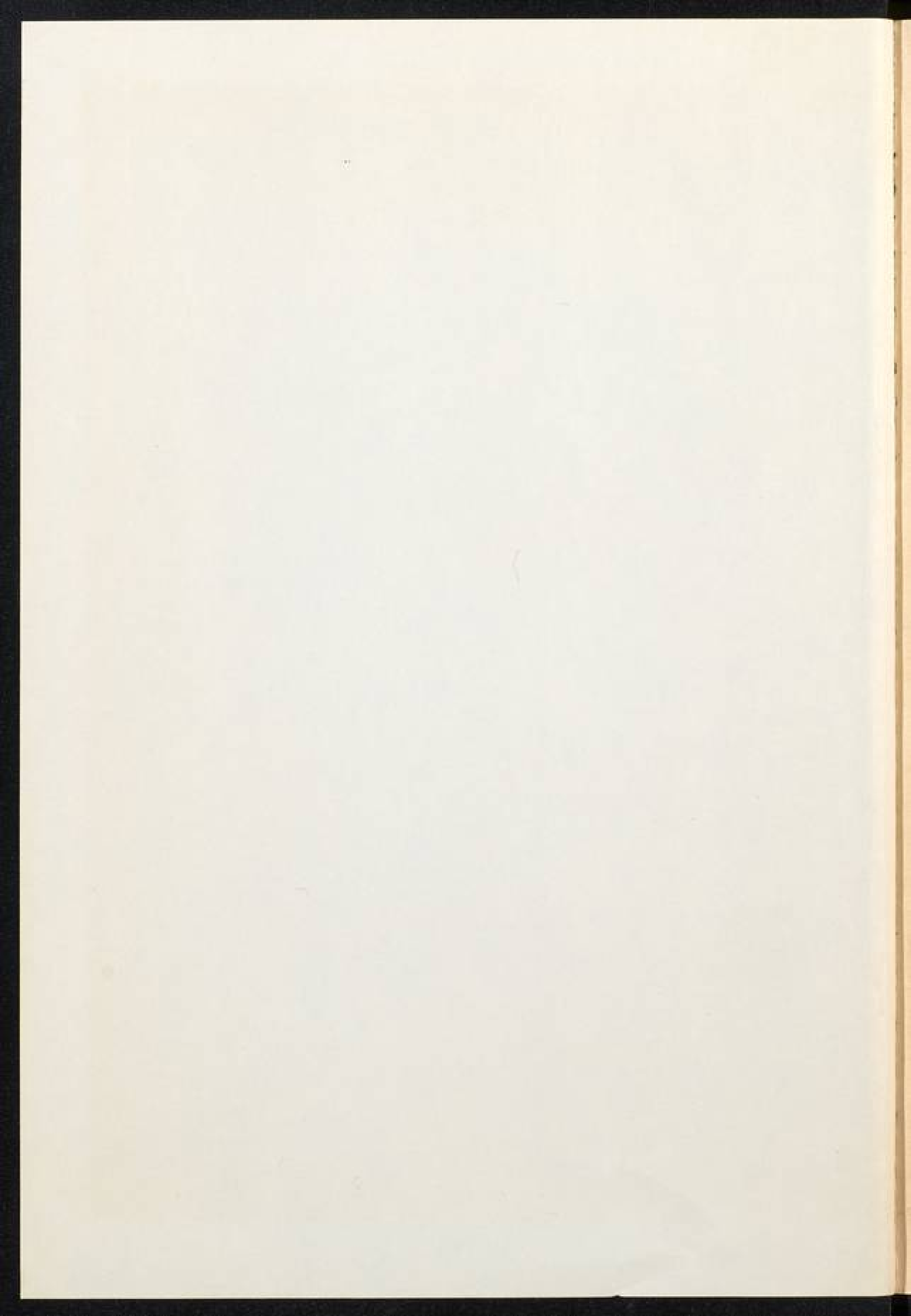
By

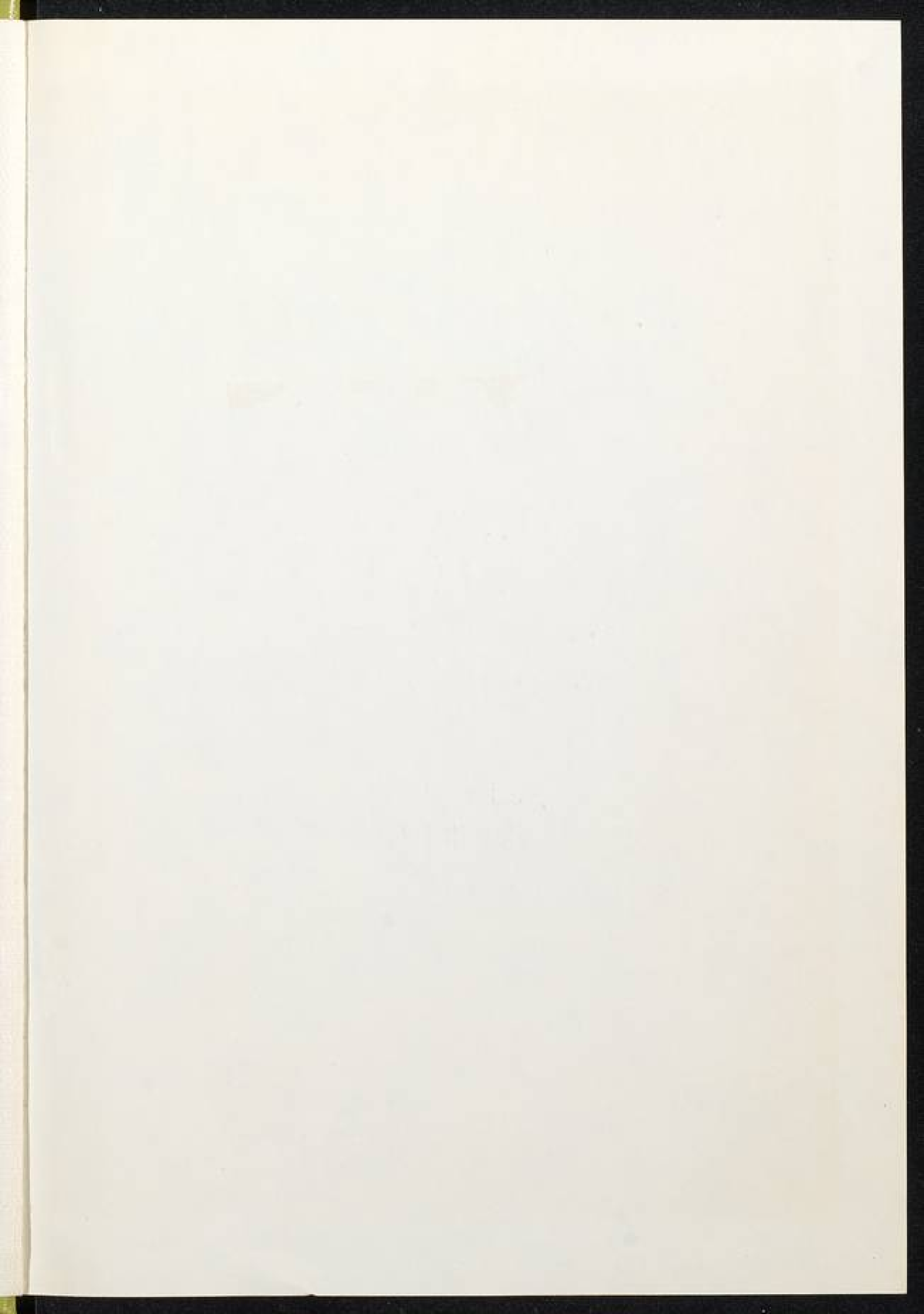
ABDULLAH AL- KHATJB

BASRAH 1967

PUBLISHED BY
AL-BASRI PUBLICATION HOUSE BAGHDAD

PRICE : 250 FILS   الثمن ٢٥٠ فلساً






NYU - BOBST
31142 01241 3418
PJ7741.S2 Z6